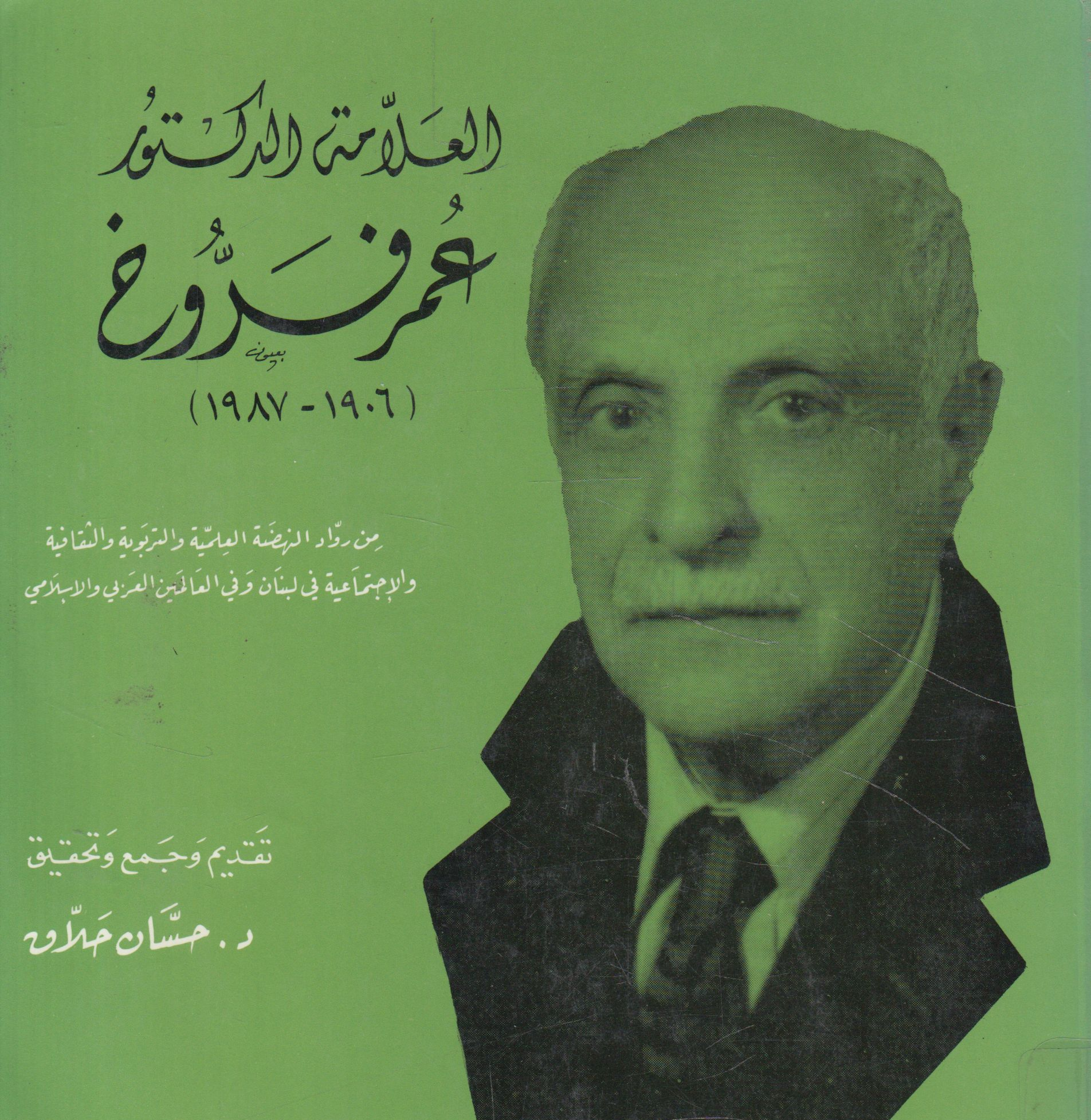


العلاّمة الدكتور
عمر فرّوخ
(١٩٠٦ - ١٩٨٧)

من روّاد النهضة العلميّة والتربويّة والثقافية
والاجتماعية في لبنان وفي العالمين العربي والاسلامي

تقديم وجمع وتحقيق

د. حسّان حلاّق

جامعة بيروت العربية - مجلس أمناء وقف البر والإحسان

لجنة تكريم العلاّمة الدكتور عمر فرّوخ

بيروت

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

العلّامة الدكتور

عُمر فرُّوخ

(١٩٠٦ - ١٩٨٧)

العلّامة الدكتور

عمر فرّوخ

(١٩٠٦ - ١٩٨٧)

من روّاد النهضة العلميّة والتربوية والثقافية
والاجتماعية في لبنان وفي العالمين العربي والاسلامي

تقديم وجمع وتحقيق
د. حسّان حلّاق

جامعة بيروت العربية - مجلس أمناء وقف البر والإحسان

لجنة تكريم العلّامة الدكتور عمر فرّوخ

بيروت
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

فهرس الموضوعات

بسم الله الرحمٰن الرحيم

مقدمة

يعتبر العلامة الدكتور عمر فروخ (١٩٠٦ - ١٩٨٧) علماً من أعلام الفكر والثقافة والأدب ، ورائداً بارزاً من روّاد النهضة العلمية والاجتماعية في بيروت ولبنان وفي العالمين العربي والإسلامي .

إن تكريم هذا العالم الجليل ، هو تكريم للقيم العلمية والأخلاقية ، وهو تكريم للمبادىء والمثل العليا ، التي تمثلت في حياة الرجل وفي علمه وعمله .

وبمناسبة تكريم العلامة فروخ ، وتكريم ما يمثل من قيم ومثل وعلم ، نقدم هذه « الأوراق العُمرية » المتواضعة ، التي تسلط بعض الأضواء على حياته، وعلى تطوراتها العلمية والعملية . كما تتضمن هذه الأوراق بعض ما كتبه الراحل الكبير عن نفسه ، وآخر ما كتبه من دراسات ، وما كُتب عنه بعد وفاته في ٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٧ من قِبل بعض المفكرين والأدباء والمؤرخين ممن عاصروه أو عايشوه أو رافقوه في رحلته مع الحياة .

د. حسان حلاق

بيروت ١ شباط (فبراير) ١٩٨٨

عمر فروخ : بقلمه

واقعات من حياتي*

الكلمة الأولى :

ليست هذه الواقعات من حياتي مذكّرات كتبت يوم اتّفقت لي ، ولكنّها مـذكّرات ـ أُذَكِّـر بها نفسِيَ ـ ممّـا اتّفق لي في مـاضي حيـاتي . ولست أرى لهذه الواقعات قيمة سياسيّة تُبَدّل حياة الأمّة أو حياة الوطن أو تقوم معـالمَ في تـاريخ بلدي أو تـاريخ الأقـطار المحيطة ببلدي . غيـر أنّها دلائـلُ على هـذا التخلّف الذي نشكو منه اليوم في لبنان خاصّة وفي البلاد العربية عامّة ثمّ في العالم الكبير إلى حدّ ما .

ولكن أرجو أن يكون لها فائدةٌ واحدة :

إنّ الطبيب لا يستطيـع أن يصف لمريضـه علاجـاً لما يعـاني منه ذلـك المريض إلّا إذا هو عَرَفَ شيئاً من تاريخ المـرض الذي يعـاني منه مـريضه . وهـذه « الواقعـات من حياتي » أعـراض لهذا المـرض الذي نشكـو نحن منه اليوم شَكْوَى مرّةً .

ثمّ إنّ على المريض الذي يطلُب الشفاء على يـد طبيب ألّا يَكذِبَ في ما يُخبِر به الطبيب ممّا يشعُر هـو به . وربّ أمـر يُحِسّ به المـريض في نفسه ولا يقيم له وزناً أو لا يُلقي إليه بالاً أو يَظُنّ أنّه أمرٌ عاديٌّ لا صلةَ له بالمـرض الذي يعانيه ، وهو سببُ مرضه ومِفتاحُ علاجه .

(*) كتبها في يوم السبت ٢٩ صفر ١٤٠٧ هـ ـ ١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٦ .

شيء من حياتي :

كـان مـولـدي في بيـروتَ في مـطلَع سَنـة ١٣٢٢ للهجـرة (ربيـع عام ١٩٠٦ للميلاد) . كانتْ بيروت في ذلك الحين لا تزال صغيرةَ الرُّقعـةِ ، وكان معظم أهلها لا يزالون يسكُنون في « المدينة » في البقعة المحصورة بين أوّلِ طريق النهر شرقاً وأوّل طريق الشام وطريق البسطة جنوباً وبـوّابةِ يَعقـوبَ (عند طلعة الأميركان) غرباً ، وأوّل سوق الطويلةِ وأوّل شارع فوش شَمالاً .

غير أن نفراً كثيرين أحبّوا أن يسكُنـوا خارجَ مـدينة بيـروت ، فنشأ منـذ أواخـر القرن الثـالثَ عَشَرَ الهجـريّ (النصف الثاني من القـرن التاسِـعَ عَشَرَ الشمسيّ) أحياء حول بيروت ممتدّةٌ قليلاً أو كثيراً في كلّ جهة . وأنا لا أزالُ أذكر أنّ جَدّتي لأبي أَخَذتْني مَعَها لزيارة جمـاعة من أقـاربنا كـانوا لا يـزالون يسكنـون في « زاروب الشيخ رسـلان » ـ وهو ممـرّ ضيّق كان مـواجهاً للبـاب الشَّماليّ من الجامع العُمَرِيّ الكبير .

كـانت القشلة (القشلاق : السـراي الكبير) خـارجَ مدينـة بيروتَ إلى الغـرب . وكان البيت الـذي وُلِدتُ فيـه يقـوم (غـربَ الســراي الكبيـر) في المكان الذي يقوم فيه اليومَ قصرُ هَنري فرعون . وكانت الغـرفة التي وُلِـدّت فيهـا تَقَـعُ في الـطرف الشَّمـاليّ الشّـرقيّ من ذلـك البيت المُحـاذي للطريق الواقعة شَمالَ ذلك القصرِ اليومَ .

وقـد وُلِـدُّت في بيت فيـه شيء كثيـر من العلم بـالإضـافـة إلى ذلـك الزمن : كان والدي عبد الله (١٨٧٢ ـ ١٩٤٦ م) يُتقِنُ ثلاثَ لُغاتٍ (العربية والتركيّة والفرنسية) وربّما عَرَف غيرها أيضاً لأنّه كان مُوظَّفاً في مكتب البريـد النمساوي في بيروت (في خـان أنطون بـك ـ شرقَ المـرفأ) . وكـان عمّاي حُسينٌ (نحـو ١٨٨٥ ـ ١٩٣٦ م) وحسنٌ (نحو ١٨٩٢ ـ ١٩٦٦ م) يَعْـرِفـان اللُّغتين العـربية والتـركيّة معـرفةً صحيحـةً ، وربّما عَـرَفَا غيـرَها لأنّهمـا كانـا يَعْمَلان في التعليم .

وكانت عمّتاي يَعْرِفْنَ القراءة ـ على نُدرة ذلك في ذلك الزمن . أمّا جَدّي لأبي عبدُ الرحمٰن بن سعد الدين بنِ عمر فرّوخ (نحو ١٨٤٥ ـ ١٩١٧ م) فكان في الأصل أُمّيّاً . ثمّ لمّا رُزِقَ أولاداً وعَلّمهم جميعاً تَلقّى مَبادىءَ القراءة والكتابة على ابنه البِكر أحمدَ (وقد تُوُفّيَ قبل مولدي بِبضع سَنوات . وكان جَدّي هذا في أوّلِ أمره نجّاراً ، ثم إنّه عَمِلَ قوّاصاً في القنصليّة الألمانيّة . وفي عام ١٨٩٨ ، لمّا جاء الإمبراطور ويلهَلْمُ (غليوم) الثاني إلى بيروتَ ثمّ زارَ دمشق كان جَدي في مَعيّته .

وأمّا وَالدتي شفيقةُ بنتُ سليمٍ المِكداشيَ (نحو ١٨٨٠ ـ ١٩٥٧) فكانت لا تقرأ ولا تكتُب ، ولكنّها كانت من النساء رَبّاتِ البيوت اللواتي يَسْتَطِعْنَ أن يَلْتَقِينَ أحداثَ الحياة بصبر وحِكمة وسَعْيٍ مفيد .

وكان بيتُنا بيتَ علم يُزورُنا علماءُ معروفون أذكر منهم الآن الشيخَ عبدَ الرحمٰن الحوت (١٨٤٦ ـ ١٩١٦) فقيهَ بيروتَ في أيامه ثمّ الشيخَ أحمدَ عُمَرَ المحمصانيّ (؟ ـ ١٩٥١) وجميلَ العَظم (ت ١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٣ م) . هذا بالإضافة إلى الصداقات التي كانت لجدّي ووالدي وعَمّاي بالأسر المعروفة في البلد وفي خارجه .

وبما أنّني كنت الطفلَ الوحيدَ في أُسرتنا مُدّةً طويلة ، فإنّ العناية بي كانت وافيةً : عَلّمني جَدّي الصّلاةَ وقِراءة القُرآن والسِّباحة وشِراء الأغراض من السوق . وكان عمّي حسنٌ وعمّتي هِندُ يُشرفان على مراجعةِ دُروسي في البيت . أمّا عمّي حسينٌ فكان دائمَ التّنبيه على قواعدِ الحياة العامّة . فممّا قاله لي :

ـ إذا كنتَ مُحتاجاً إلى شيء فاَشْتَرِهِ بالسِّعر الرائجِ . أما ما لَيْسَ لك به حاجة فلا تَشْتَرِهْ ولو عُرِضَ عليك بِعُشْرِ ثمنه .

ودخلت المدارس باكراً : مدرسة الشيخة حليمةَ الفيل (زُقاق البَلاط) ، وكنت صغيراً جِدّاً فلا أدري أنّني تعلّمت فيها شيئاً ، ثمّ مدرسةَ لجنة التّعليم (١٩٠٩ ـ ؟) ثمّ دارَ العلوم (١٩١٠) ثمّ سَكْزِنْجي نَمونه

(المدرسة الابتدائية النموذجية الثامنة) التابعة للمكتب السُّلطاني (البسطةِ التحتة) ثانوية المقاصد للبنات اليومَ (١٩١٣) ثمّ جاءت الحرب العالميّة الأُولى فدخلت مدرسة لا أذكر آسمها اليومَ كانت للشيخ يوسفَ الحَلْواني (رأس بيروت - إلى الجَنوب الغَربي عبرَ الطريق من السفارة الألمانيّة اليوم) . وفيها تعلّمتُ أشياءَ كثيرة : القرآن الكريمَ واللُّغة العربيّة والحِساب والخَطّ وأشياءَ من الدين والتاريخ وغيرهما .

وفي العام ١٩١٩ دخلتُ المدرسة الابتدائية التابعة بمنهاجها للكليّة السوريّة الانجيلية . وفي عام ١٩٢١ انتقلت إلى الصف الثالث الثانوي من الجامعة الأميركيّة (التي كان آسمها الكلّية السوريّة الإنجيلية) .

وتخرّجت في الدائرة الاستعدادية من الجامعة الأميركيّة عامَ ١٩٢٤ ثمّ تخرّجت في الدائرة العلميّة برتبة بكالوريوس علوم سَنَةَ ١٩٢٨ .

وبدأت حياتي التعليمية في مدرسة النّجاح الوطنيةِ في نابُلُسَ بِفِلَسْطينَ (١٩٢٨ - ١٩٢٩) ثمّ عُدتُ إلى بيروتَ وآرْتَبَطْتُ للتعليم في مدارسِ جمعيّة المقاصد الخيريّة الإسلامية في بيروت (١٩٢٩ - ١٩٨٢) سوى فَتْرتين يَسيرتين لم تَنْقطِع صِلتي في أثنائهما بجمعيّة المقاصد ذهبت لمتابعة دِراستي العالية في ألمانيا وفرنسا (١٩٣٥ - ١٩٣٧) ، ثمّ ذهبت إلى العراق للتعليم في دار المعلّمين العالية في بَغدادَ (١٩٤٠ - ١٩٤١) . وكذلك كُنتُ أستاذاً زائراً في جامعةِ دِمَشْقَ (الجامعة السورية) لتاريخ المغرب والأندلس ولتاريخ العلوم عند العرب (١٩٥١ - ١٩٦٠) مَعَ الاستمرار في التعليم في مدارس المقاصد في بيروت .

ثمّ إنّني كنت أعاني الصِّلاتِ بالمُجتمع : كُنْتُ عضواً في جَمعيّةِ آتّحادِ الشبيبة الإسلامية وفي المجلس الإسلامي فيما بعد ، كما كنت في أثناء ذلك عُضواً في نَقابة المعلّمين . أمّا المؤتمرات التي حَضَرْتُها في بيروت وفي خارج بيروت في العالم الإسلاميّ من شِنْقيطَ (موريتانيا) إلى

باكستانَ الشرقية (بنغـلادش) فلا عِـدادَ لها . هـذا إلى أنّني أصبحتُ عُضواً في مجمـع اللغة العـربية في دِمَشْقَ وجمعيّـةِ البُحوث الإسـلامية في بـومباي (الهنـد) ، عام ١٩٤٨ ، ثمّ عضـواً في مجمع اللغـة العـربيـة في القـاهـرة (١٩٦١) وفي المجمع العلمي العراقي في بغداد .

وقد تطوّفت في بلادٍ كثيرة وَعَقدتّ صداقاتٍ شخصيةً وعِلميّة . وكانت صِلاتي الشخصيّة بـالمستشرقين كثيـرةً واسعةً . إنّ كـلّ هذه الصِّـلاتِ كانتْ عِبْئاً آجتماعيّـاً وصِحّيّاً على كَتِفَيّ ، ولكنّهـا تـركــتْ في نفسي ثـروةً غنيّةً من المعرفة والاختبار . ولا أريد أن أنسى الأساتذة الذين تلقّيت عنهم الدُّروس في الشرق والغرب ، فإنّ عَدَدَهُمْ كبيـرٌ وصِلاتي بـالجانب الأكبـر منهم كانتْ وثيقــة ومستمـرّة . ولا أدري السّبب الــذي جَعَلَني صـديقــاً لمُعـظم هؤلاء الأساتذة .

وللتأليف قسط كبيرٌ من حياتي . ولكنّ هذا الجانبَ لا يَدخُـلُ الآنَ في هذا الموجز الصغير .

العلامة الدكتور عمر فروخ في سطور
(١٩٠٦ - ١٩٨٧)

العلامة الدكتور عمر فروخ
في سطور (١٩٠٦ ـ ١٩٨٧)*

ــ ولد عمر عبد الله فروخ في بيروت في ١٩٠٦/٥/٨[١] .

ــ تلقى علومه الأولى في مدارس رسمية (تركية) وأهلية قبل أن ينزل الإنتداب في هذا البلد .

ــ دخل المدرسة الابتدائية التابعة للجامعة الأميركية في بيروت[٢] ، عام ١٩١٩ . وفي عام ١٩٢١ دخل السنة الثالثة الاستعدادية في الجامعة الأميركية ، ونال شهادتها في حزيران (يونيه) من عام ١٩٢٤ .

ــ وكان خطباء حفلة التخرّج في ذلك العام ثلاثة : صبحي المحمصاني (باللغة الإنكليزية) وقسطنطين زريق (باللغة الفرنسية) وعمر فرّوخ (باللغة العربية) .

ــ ودخل الدائرة العلمية (في الجامعة الأميركية) ثم تخرج فيها (برتبة بكالوريوس علوم) عام ١٩٢٨ . ومنذ ذلك الحين بدأ يعمل في التدريس :

ــ ١٩٢٨ ـ ١٩٢٩ مدرّساً للتاريخ والجغرافية الطبيعية في مدرسة النجاح الوطنية في نابلس (فلسطين) .

(*) ـ توفي د. عمر فروخ ليل السبت في ١٩٨٧/١١/٧ .

(١) يقول د. فروخ قبل وفاته بأن هذا هو التاريخ الرسمي . ولكنني عثرت في بعض القيود القديمة على أن مولدي كان عام ١٩٠٤ للميلاد (١٣٢٢ للهجرة) ـ وكان الآباء يعملون على تأخير ولادات أبنائهم حباً بتأخير تجنيدهم .

(٢) كان اسمها أولاً : « الكلية السورية الانجيلية » . وفي عام ١٩٢١ أصبح اسمها جامعة بيروت الأميركية (أو الجامعة الأميركية في بيروت) .

ـ ١٩٢٩ تعاقد مع جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية ليعلّم في مدارسها .

ـ ١٩٣٥ ـ ١٩٣٧ تابع دراسته العليا في ألمانية للتخصص في الفلسفة واللغة وتاريخ العرب في أوروبة في غير الأندلس (أي في فرنسة وإيطالية وسويسرة) . زار فرنسة في هذه الأثناء مرتين . وفي المرة الأولى ، ١٩٣٦ ، حضر في عددٍ من معاهد العلم في فرنسة (الصوربون ، كلية فرنسة ، ومدرسة الدراسات العليا) كي يستفيد من وجوده في باريس (مدة أربعين يوماً) لا ليكون ذلك له منهجاً للدراسة يخوّله التخرج في فرنسة .

ـ دَرَسَ فَصلاً في جامعة برلين وفصلاً في جامعة ليبزغ وفصلين في جامعة أرلنجن وتخرّج فيها برتبة دكتور في الفلسفة ، في ٢٧ ـ ٨ ـ ١٩٣٧ .

ـ ١٩٣٧ عاد إلى بيروت إلى مكانه في التدريس في جمعية المقاصد .

ـ في ١٩٤٠/١١/٥ تزوج آمنة بنت أمين حلمي من بيروت ورزق خمسة أولاد : أسامة ، مروان ، مازن ، لينا ، لميس .

ـ ١٩٤٠ ـ ١٩٤١ ذهب إلى العراق أستاذاً للتاريخ الأموي والتاريخ العبّاسي في دار المعلمين العالية في بغداد .

ـ منذ عام ١٩٤١ في مدارس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية .

ـ ١٩٤٦ ـ ١٩٦٩ عضو مجلس نقابة المعلمين في بيروت .

ـ ١٩٤٦ عضو المؤتمر الثقافي الأول (بيت مري ـ لبنان) .

ـ ١٩٤٨ عضو اللجنة الوطنية .

ـ عضو الوفد الرسمي إلى الدورة الثالثة للأونسكو (بيروت) .

ـ عضو المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية) بدمشق .

ـ عضو المجمع العلمي العربي (المجمع العلمي العراقي) في بغداد .

ـ عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة سنة ١٩٦٠ .

ـ عضو جمعية البحوث الإسلامية في بومباي (الهند) .

ـ عضو الجمعية التاريخية (حلب ـ سورية) .

ـ عضو إتحاد المؤرخين العرب .

ـ ١٩٥١ ـ ١٩٦٠ كان أستاذاً زائراً في جامعة دمشق للتاريخ الأموي وتاريخ الأندلس ، إلى جانب وجوده مدرّساً في المقاصد .

ـ ١٩٥٤ ـ ١٩٦٥ عضو المجلس الإسلامي .

ـ ١٩٦٠ ـ ١٩٦٨ عضو جمعية أصدقاء الكتاب .

ـ منذ عام ١٩٦١ ـ ١٩٨٧ أستاذ محاضر في جامعة بيروت العربية للتاريخ العربي في جانبه الحضاري ولتاريخ العلوم عند العرب .

ـ ١٩٦٥ عضو جمعية البرّ والإحسان (بيروت) وأحد ممثليها في مجلس جامعة بيروت العربية .

ـ ١٩٦٨ رئيس نقابة المعلمين في لبنان .

ـ ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ أستاذ لتاريخ العلوم عند العرب في كلية التربية ـ الجامعة اللبنانية .

ـ ١٩٧٧ رئيس جمعية البر والإحسان (مجلس أمناء وقف البر والإحسان فيما بعد) .

ـ ١٩٧٠ ـ ١٩٨٢ أستاذ مشرف على رسائل الدراسات العليا في كلية الأداب ـ الجامعة اللبنانية .

الأوسمة والتقديرات التي نالها د. عمر فروخ منها :

١ ـ وسام المعارف (لبنان) من الدرجة الأولى .

٢ ـ وسام نجم باكستان من رتبة قائد أعظم ١٩٦٨ .

٣ ـ ١٩٧٠ جائزة رئيس الجمهورية (لبنان) التي تمنحها جمعية أصدقاء الكتاب (بيروت) على مجموع آثار مؤلف لبناني تميّزت بالجودة وصدرت باللغة العربية .

٤ ـ وسام الأرز الوطني (لبنان) من رتبة فارس ١٩٧١ .

٥ ـ وسام الاستحقاق (موريتانيا) من رتبة ضابط ١٩٧٧ .

٦ ـ وسام محمد إقبال (باكستان) ١٩٧٩ .

٧ ـ الوسام المذهب من جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت ١٩٨٠ .

٨ ـ دكتوراه فخرية من كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية ١٩٨٣ .

٩ ـ شهادة تقدير من مؤسسة الكويت للتقدم العلمي عن كتاب « تاريخ الأدب العربي » جـ ٦ ، ١٩٨٥ .

١٠ ـ وسام الأرز الوطني من رتبة ضابط ١٩٨٦ .

مشاركته في المؤتمرات :

ـ أما المؤتمرات التي حضرها (في لبنان وسورية والأردن والعراق والعربية السعودية وبلاد الخليج وباكستان ومصر وليبيا وتونس والجزائر وموريتانية والسودان وفرنسة) فكثيرة جداً منها :

ـ مؤتمرات اليونسكو في بيروت ١٩٤٦ .

ـ المؤتمر الثقافي العربي الأول في بيت مري ١٩٤٦ .

ـ المؤتمر الثقافي الأول : جامعة الدول العربية ١٩٤٧ .

ـ مندوب لبنان في الحلقة الدراسية الأفرو ـ آسيوية عن الفن والأدب والثقافة في لاهور ١٩٦٥ .

ـ مؤتمر إتحاد الجامعات العربية ١٩٧٢ .

- ملتقى التعرف على الفكر الإسلامي ـ الجزائر .
- ملتقى التعرف على الفكر الإسلامي ـ المغرب ١٩٧٣ .
- ملتقى التعرف على الفكر الإسلامي ـ الجزائر ١٩٧٥ .
- المؤتمر العالمي الثالث للسيرة النبوية ـ الدوحة ١٩٧٩ .
- المؤتمر الأول للدعوة الإسلامية ـ ليبيا .
- مؤتمر المعلمين العرب .
- المؤتمر العالمي للدعوة الإسلامية ـ الخرطوم ١٩٨١ .
- الحلقة الدراسية عن رعاية الطفولة في الإسلام ـ أبو ظبي ١٩٨٣ .

تجد عن الراحل أشياء من حياته وخصائصه وكتبه في المراجع التالية :

- مجمع اللغة العربية (القاهرة) في ثلاثين عاماً ، ٢ : ١٣٨ ـ ١٤٠ .
- مفكرون وأدباء من خلال آثارهم ، لأنور الجندي ، ش ١٥٧ ـ ١٦٣ .
- غبار السنين ، لعمر فروخ ، دار الأندلس ـ بيروت ١٩٨٥ .
- الثعالب والأرانب ، لعمر فروخ .

Who's Who in Lebanon.
The International Year Book and Statesman Who's who.
The Middle East (Europa Publications Ltd.) London 1948.
The International Who's Who (Europe Publications, London) 1949.
The Middle East and North Africa.
Who's Who in Egypt and the Middle East.
A History of Muslim Philosophy, edited by M.M. Sharif, 2 volumes (contribution of two chapters).
Anthologie de la Littérature arabe contemporaine, par Anwar Abdel-Malek (aux Editions de Seuil, Paris).
Geschiche der arabischen Litteratur, von Carl Brocklemann, III 425-426.
Who's Who, BERLIN/West (3. Auflage).
The American University of Beirut: Directory of the Alumni (1953).

مؤلفات د. عمر فروخ

(أ) كتب ثقافية عامة :

١ ـ تاريخ الأدب العربي: الأجزاء ١ ـ ٢ ـ ٣ (منذ الجاهلية إلى الفتح العثماني في المشرق) ؛ الأجزاء ٤ ـ ٥ ـ ٦ (من الفتح العربي في المغرب والأندلس إلى الفتح العثماني في المغرب) .

٢ ـ تاريخ العلوم عند العرب (استعراض عامّ موجز لجهود البشر في العلم منذ فجر التاريخ ثم فصول موجزة أيضاً لجهود العرب خاصة حتى أيام ابن خلدون) .

٣ ـ تاريخ الفكر العربي (استعراض عامّ للتفكير النظري منذ أقدم الأزمنة ، مع التوسّع في الفلسفة اليونانية والتوفُّر على تاريخ الفكر عند العرب إلى أيام ابن خلدون) .

٤ ـ التبشير والاستعمار في البلاد العربية (عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق المسلم للاستعمار الغربي من طرق مختلفة (من التطبيب والتعليم وأعمال الخير والجمعيات الخيرية والسياسية) (نقل إلى اللغة التركية واللغة الفارسية واللغة الروسية) .

٥ ـ الأُسرة في الشرع الإسلامي (إستعراض موجز لفكرة التشريع عند البشر منذ أقدم الأزمنة مع التوسّع في الكلام على تاريخ التشريع وأسسه في الإسلام وتعريف بالمذاهب الفقهية الثمانية في الإسلام . ويلي ذلك تسعةَ عَشر فصلاً تتناول أحوال الأسرة ابتداءً من عقد الزَّواج وانتهاءً بالإرث .

٦ ـ عبقرية العرب في العلم والفلسفة (نظرة عامة شاملة في معالم الفكر

الإسلامي في العلوم الطبيعية والرياضية والاجتماعية (نُقل إلى اللغة الإنكليزية) .

٧ ـ تجديد في المسلمين لا في الإسلام (قام الإسلام على العلم والنظام والأخلاق . والمسلمون اليوم متخلفون لأنهم هجروا العلم الصحيح وكرهوا التنظيم ثم فلسفوا الأخلاق بأن أقاموا الحياة العامّة والسلوك الشخصي على أُسُسٍ مادية عاجلة ، كما تركوا السُّبُلَ التي مكّنت أسلافهم من التقدُّم في ميادين الحياة كلِّها وتبدّلوا بها وسائلَ استوردوها من خارج حضارتهم أو فرضها عليهم السياسيون من خصوم قومهم وأعداء حضارتهم) .

(ب) كتب ذات طابع فكري نظري (فلسفيّ) وفكري عملي (علمي) :

١ ـ العرب في حضارتهم وثقافتهم (إلى آخر العصر الأموي) .

٢ ـ الطريق إلى النجوم (كتاب في الفلك منقول عن الإنكليزية من تأليف فإن در ريت وللي رئيس مرصد غرينيش) .

٣ ـ الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط (منقول عن الإنكليزية ، من تأليف جورج سارطون ، وفيه وجوه من فضل الإسلام والفكر الإسلامي على الثقافة الأوروبية) .

٤ ـ العرب والفلسفة اليونانية ـ الفلسفة اليونانية في طريقها إلى العرب (التعريف بالفلسفة اليونانية وبحركة نقل كتب العلم والفلسفة إلى اللغة العربية في العصر العباسي) .

٥ ـ الحضارة الإنسانية وقسط العرب فيها .

٦ ـ أثر الفلسفة الإسلامية في الفلسفة الأوروبية (في العصور الوسطى) .

٧ ـ موضوعات محللة في تاريخ الفلسفة الإسلامية .

٨ ـ التصوف في الإسلام (عند العرب والفرس والأتراك ـ مع التوسع في الجانب الأدبي ومع التفصيل في دراسة آثار عمر بن الفارض ومحيي الدين بن عربي) .

٩ ـ عبقرية اللغة العربية (مكانة اللغة العربية بالإضافة إليها وإلى غيرها من اللغات) .

١٠ ـ صَفَحات من حياة الكندي (مَعَ سرد لكتبه والإشارة إلى اختلاف عناوينها ـ ثم صفحات من آثاره العلمية والفلسفية) .

١١ ـ الفارابيان : الفارابي وابن سينا (دراسة عامة) .

١٢ ـ إخوان الصفا (دراسة تحليلية لرسائلهم ـ مع الإشارة إلى الصفحات التي يرد فيها كل رأي من آرائهم) .

١٣ ـ حكيم المعرة : أبو العلاء المعري (دراسة وافية مبنية على ديوان اللزوميات وحده) .

١٤ ـ ابن حزم الكبير : أبو محمد علي (دراسة شاملة لأدبه وشعره وفلسفته، ووجوه العلم الرياضي والطبيعي في كتبه) .

١٥ ـ ابن باجة والفلسفة المغربية (دراسة مفصلة مع صفحات من آثاره منها نموذج من مخطوطة برلين التي ضاعت) .

١٦ ـ ابن طفيل وقصة حيّ بن يقظان (مع التوفر على الجانب العلمي الرياضي والطبيعي) .

١٧ ـ كلمة في ابن خلدون ومقدمته .

١٨ ـ ابن تيمية (تحت الطبع) .

(جـ) كتب ذات طابَع فكري اجتماعي :

١ ـ القومية الفصحى (الفكرة الأساسية في هذا الكتاب أن لغة الأمة إذا تشعّبت لهجات تقسّمت الأمة نفسُها حينئذٍ شعوباً . والأمثلة المضروبة هنا مأخوذة في الأكثر من تاريخ الشعوب في شَماليّ أوروبة : الدنمرك ، أسوج ، نروج ، إيسلندة . ثم يأتي كلام مفصّل على « معركة الفصحى والعامية » في اللغة العربية .

٢ ـ الإسلام والتاريخ (في هذا الكتاب عَرْض لِنظرة الإسلام إلى أربعة مدارك : الله ، الإنسان ، المجتمع ، التاريخ . وجميع الشواهد هنا مأخوذة من القرآن الكريم وحده . مع أشارات في مقدمات الفصول إلى ما ورد من مثل ذلك في التوراة والإنجيل .

٣ ـ الإسلام منهج حياة (منقول عن الإنكليزية . يقول الدكتور فيليب حتى مؤلِّفُ هذا الكتاب : « في هذا الكتاب يُشرف القارىء على اختبار خِصب حيّ للمسلم ، للمسلم المؤمن بدين والمواطن في دولة والمفكّر المبتكر » .

٤ ـ الإسلام على مفترَق الطرق (منقول عن الإنكليزية : تأليف محمد أسد ـ ليوبولد فايْس . في هذا الكتاب مناقشة الأسباب التي أدّت إلى تأخُّر المسلمين ثم عرض للوسائل التي يستطيع المسلمون أن يستعيدوا بها مكانتهم) .

٥ ـ دفاعاً عن العلم (مناقشة الأسباب التي أدت إلى تخلّف التعليم في لبنان) .

٦ ـ دفاعاً عن الوطن (كلام يقوم على شواهد من الصحف المحلية في الفوضى السياسية والإدارية في الجمهورية اللبنانية إلى جانب الاتّجار بالطائفية) .

٧ ـ الأرانب والثعالب (مسرحية اجتماعية) .

٨ ـ الخوارزمي (مسرحية علمية) .

٩ ـ سفينة الحيوانات (مغناة للأطفال) .

١٠ ـ الأسئلة الثلاثة (تمثيلية فكاهية) .

(د) كتب في التاريخ :

١ ـ كلمة في تعليل التاريخ (موجز للمذاهب المختلفة في فهم التاريخ ، مع التأكيد على التعليل الاجتماعي عند ابن خلدون) .

٢ ـ تجديد التاريخ في تعليله وتدوينه (صياغة فصول من التاريخ القديم والوسيط والحديث في الشرق والغرب وفي الإسلام والنصرانية بحسب الأسباب والنتائج ـ لا بحسب الأهواء السياسية والحزبية) بعد مقدمة في « منطق التاريخ وقوانينه » .

٣ ـ نحو التعاون العربي (وهو درس للوجوه التي يجدي فيها التعاون بين البلاد العربية وتقرير لاتّجاه التاريخ في الوطن العربي الكبير . في هذا الكتاب ـ الذي نشر عام ١٩٤٦ ـ كلام على مكانة مصر في مستقبل العالم العربي) .

٤ ـ تاريخ الجاهلية .

٥ ـ العرب والإسلام في الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط (منذ الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية) .

٦ ـ تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية (يتناول الحِقبة التي يعالجها الكتاب السابق مع التوفّر على الجانب الإداري وعلى الحضارة) .

٧ ـ العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط (هذا الكتاب في الحقيقة ـ تطبيق للتعليل الاجتماعي أو لفلسفة التاريخ على

تاريخ الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط في إسبانية والمغرب قبل الفتح العربي وبعده : إلى آخر عصر الولاة ، نحو سنة ١٣٢ هـ = ٧١١ م . هذا الكتاب إعادة لسرد تاريخ تلك الحقبة على أساس الفهم الحضاري للحياة الإنسانية لا على التقلّبات السياسية) .

٨ ـ تاريخ سورية ولبنان المصور : بالاشتراك مع الدكتور زكي النقاش (وهو يشتمل على تاريخ سورية ولبنان في إطار التاريخ الإنساني منذ ٤٠٠٠ ق.م. إلى ١٩٤٥ م) .

٩ ـ وثبة المغرب (سرد لتاريخ المغرب ـ تونس والجزائر والمغرب ـ مع ربط حاضر المغرب بماضيه وتأكيد الجوانب الاجتماعية والحضارية والثقافية) .

١٠ ـ باكستان دولة ستعيش (كانت باكستان خيال شاعر ـ هو محمد إقبال ـ ثم أضحت دولة : عرض موجز للجهود التي أدت إلى نشأة هذه الدولة الاسلامية الكبرى) .

١١ ـ أصدقاء لا سادة (السيرة السياسية لأيوب خان رئيس دولة باكستان) بقلم أيوب خان نفسه (منقول عن الإنكليزية) .

١٢ ـ عمر فرّوخ وجهوده الثقافية في أربعين عاماً (١٩٣١ ـ ١٩٧١) .

١٣ ـ غبار السنين (لمحات من حياتي بين ١٩١٦ ـ ١٩٨٢) .

(هـ) كتب ذات طابع أدبي :

١ ـ خمسة شعراء جاهليون (مع مقدمة في خصائص الشعر القديم) .

٢ ـ كلمة في نهج البلاغة (ومختارات منه) .

٣ ـ الحجاج بن يوسف الثقفي (ترجمته ـ شخصيته السياسية والإدارية والحربية ـ ومختارات من خطبه) .

٤ ـ شعراء البلاط الأموي (مع التوفّر على جرير والأخطل والفرزدق ثم على النقائض) .

٥ ـ عمر بن أبي ربيعة (مع مقدمة مفصلة في الغزل وأنواعه وخصائصه وألفاظه في الجاهلية وصدر الإسلام) .

٦ ـ عبد الله بن المقفع وكتاب كليلة ودمنة .

٧ ـ بشار بن بُرد (مع مقدمة في عناصر البيئة العباسية وخصائص الشعر المولّد المحدث) .

٨ ـ أبو نواس (في قسمين : ترجمة ودراسة فنون شعره ـ مختارات من أشعاره) .

٩ ـ أبو تمام : دراسة تحليلية (ترجمة مفصلة لأبي تمام ثم درس مفصّل ومؤيّد بالشواهد لخصائصه وفنونه ـ مع مختارات وافية من شعره مشكولة ومشروحة شرحاً لغويّاً وبلاغيّاً وأدبيّاً) ، ١٩٦٤ .

١٠ ـ ابن الرومي .

١١ ـ أبو فراس .

١٢ ـ مختارات من الشعر الأندلسي للمستشرق عبد الرحمٰن نيكل (تحرير عمر فروخ ومقدمة قصيرة) .

١٣ ـ الرسائل والمقامات (مع التوفّر على عبد الحميد الكاتب وبديع الزمان الهَمذاني والحريري) .

١٤ ـ أربعة أدباء معاصرون (إبراهيم اليازجي ـ ولي الدين يكن ـ مصطفى لطفي المنفلوطي ـ سليمان البستاني ، مع تمهيد في مظاهر النهضة الأدبية الحديثة) .

١٥ ـ الشابّيّ شاعر الحب والحياة (دراسة شعر الشابي ومقارنته بحياة الشابي

وبيئته الخاصة ـ مع تمهيد في الشعر الحديث في تونس) .

١٦ ـ كلمة في أحمد شوقي (دراسة شعر شوقي بحَسْب الصور التي تتبدّى في شعر شوقي ، لا بحسب التقسيم المألوف : مدحاً ورثاءً وغزلاً . . . إن كل قصيدة من قصائد شوقي تعالج وجهاً من وجوه الحياة الاجتماعية في ماضي حياة العرب أو في حاضرهم) .

١٧ ـ شاعران معاصران : إبراهيم طوقان وأبو القاسم الشابي (دراسة مبنية على احتكاكي بإبراهيم طوقان في بلدي بيروت وبلده نابلس وفي مدة تدريسنا في بغداد (١٩٤٠ ـ ١٩٤١) ، ثم بالاستناد إلى شعره الذي في رسائله إليّ ـ قبل طبع ديوانه .

١٨ ـ هذا الشعر الحديث . . . (دراسة لخصائص الشعر منذ أيام اليونان ثم تفصيل لهذا الشعر الذي يسمّونه حديثاً مع بواعثه ومكانته الصحيحة في إطار الشعر الرصين وفي شذوذ قائليه) .

١٩ ـ فجر وشفق (ديوان فيه مختارات من الأشعار التي قلتها منذ عام ١٩٢٤ ، وفيه جانب منقول عن لغات أجنبية مع الإشارات إلى ذلك ـ وليس في هذا الديوان شيء من الأشعار التي نظمت لأغراض مدرسية . تلك الأشعار التي ستظهر في كتاب مستقل ، إن شاء الله) .

(و) كتب ألّفت بلغات أجنبية :

1 - Das Bild des Frühislam in der arabischen Dichtung, von der Higra bis zum Tode 'Umars (1-23 D.H. = 662-644 n. Ch.), Leipzig 1937.

2 - Ibn Taymiyyah on Puplic and Private Law in Islam, being a translation from the Arabic of As-Siŷ sah ash-Shar'iyyah: (السياسة الشرعية) Khayats, Beirut 1966.

3 - Qur'anic Arabic, an Elementary Course in Arabic for Non-Arabs, Khayats, Beirut 1964.

4 - L'Arabe Coranique, Cours élémantaire d'arabe pour les non-arabes, Khayats, Beyrouth 1965.

(ز) كتب مدرسيّة للمرحلة الثانوية :

١ ـ تاريخ العلوم عند العرب (في منهاج البكالوريا اللبنانية) .

٢ ـ الفكر العربي (منهاج الفلسلفة العربية للبكالوريا اللبنانية) .

٣ ـ المنهاج الجديد في الفلسفة العربية .

٤ ـ المنهاج في الأدب العربي (ثلاثة أجزاء) .

٥ ـ المنهاج الجديد في الأدب العربي (جزءان) .

٦ ـ النحو الثانوي (جزءان) ـ بالاشتراك مع الأستاذ منير البعلبكي والأستاذ نبيه حجاب .

(ح) كتب مدرسيّة للمرحلة الابتدائية :

١ ـ الإسلام ديني (خمسة أجزاء) ـ بالاشتراك مع الشيخ أحمد العجوز والأستاذ مدحت البنّا .

٢ ـ أنا مسلم (تمهيد للكتاب السابق) .

٣ ـ الطفل المسلم (خمسة أجزاء) على المذهب المالكي .

٤ ـ القراءة المصوّرة (خمسة أجزاء) ـ بالاشتراك مع واصف البارودي وعبد الله المشنوق وطاهر اللاذقي وفؤاد قاسم .

٥ ـ التمهيد للقراءة المصورّة .

٦ ـ النحو الابتدائي (ثلاثة أجزاء) ـ بالاشتراك مع الأستاذ منير البعلبكي والأستاذ نبيه حجاب .

٧ ـ الخطوات الأولى في الإنشاء العربي .

٨ ـ تاريخ الإسلام المصوّر (خمسة أجزاء) .

٩ ـ تاريخ سورية ولبنان المصوّر (ثلاثة أجزاء) بالاشتراك مع الدكتور زكي النقاش .

١٠ ـ تاريخ العرب المصوّر (ثلاثة أجزاء) ـ بالاشتراك مع الدكتور زكي النقاش ثم بهيج عثمان .

١١ ـ تاريخنا المصوّر (خمسة أجزاء) .

١٢ ـ (جزء تمهيدي للكتاب السابق) .

١٣ ـ الجغرافية الابتدائية (ثلاثة أجزاء) .

١٤ ـ الأناشيد المصوّرة (أناشيد تهذيبية ملحّنة وموقّعة بالعلامات الموسيقية) ـ بالاشتراك مع الأستاذ مدحت البنا .

مقتطفات من مذكرات وآراء الراحل الكبير

هكذا تكلم د. عمر فروخ
ذكريات من أيام التلمذة . . *

ـ ١ ـ

كنا تلميذين في الجامعة الأميركية في بيروت : كان هـو أكبر مني سنـاً وأعلى في صفوف الدراسة ، وكان بيننا مودة ، فلما ذهب إلى فرنسة لمتابعـة علمـه أرسل إلي ـ كمـا أرسل إلى نفـر آخرين من رفـاقه في بيـروت ـ بطاقـة يعلمني فيها بوصوله واستقراره وذهبت أنا إلى ألمانيا لمثل غايته ، ولكن بعده بسبع سنوات ، وزرت ، وأنا في ألمانية ، باريس مرتين ومكثت في كل مـرة منهما أربعين يوماً ، كان هو لا يزال في باريس ، ولكن لا أذكر أنني اجتمعت به مع رغبتي في ذلك .

كانت له في الحياة فلسفة مخـالفة لـرأيي ، أنا عـرفت ثلاثـاً وخمسين مـدينـة وبلدة وقـريـة في ألمـانيـة ، فـإن العلم ليس مقصـوراً على الكتب المطبوعة ، لكنه يؤخذ أيضاً من « كتـاب الطبيعـة » ، أما هـو فقد قـال الذين كانوا جيرانه بيت بيت أنه لم يعرف في فرنسة كلها غير الغرفة التي كان يسكنهـا ، ولم يعرفـوا هم عدد الـدروس التي حضرهـا في الجامعة. كـانت فلسفتـه في الحياة أن يكـون في كل حين إلى جـانبه شخصيـة « بفتح الشين والشخيص في القاموس الإنسان العظيم الجسم » .

ومكثت في ألمانية عامين رجعت بعدها إلى بيروت ، ثم عاد هو بعدي بثلاثة أعوام يحمل ورقة مثل الورقة التي عدت أنا بهـا غير أنـه لم يستطع أن يعمـل العمل الـذي كان مـذكوراً في ورقتـه ، ولكنه استـطاع أن يعيش على شيء من الراحة والـرفاهيـة لأن أهله كانـوا على شيء من الوجـاهة والمكـانة

---

* اللواء ١١/١١/١٩٨٧ .

والثروة ، ولعل وفاته كانت منذ نحو عشرين سنة ، ولم يتزوج .

إن نفراً كثيرين من التلاميذ لا يفهمون قولي حينما أقول لهم : إن الشهادة لا فائدة منها في نفسها ، إنها مفتاح يفتح لك باب الحياة ، وبعدئذٍ يصبح هذا المفتاح لا قيمة له ولا عمل .

وفي كل مرة يسأل نفر من التلاميذ : ماذا تقدر أن يأتينا من الأسئلة في الامتحان ؟ هم يظنون أن الجواب الذي يرضي الفاحص فيضع الفاحص عليه في ورقة الامتحان علامة مرتفعة هو كل شيء في العلم وكل ما في الحياة .

من الأفضل أن يكون مع الإنسان وثيقة بعمله الذي حصله لا بالمدة التي قضاها منتسباً إلى المدرسة يجلس على مقاعدها أحياناً .

ـ ٢ ـ

حينما كنت في ألمانية أتابع دراستي العالية سئلت بضع مرات ، أأنت أمير عربي ؟ .

وكنت أجيب لا ، وخطر لي أن أسأل أحد هؤلاء السائلين : ما الذي يحمله على هذا الإعتقاد ؟ فقال : نراك تنفق عن سعة ، حينئذٍ أخرجت جواز سفري من جيبي وأريته أن مصرف الدولة يسمح لي في كل شهر بمائتي مارك .

كان المارك الألماني في السوق الدولية يساوي اثنين وثلاثين قرشاً سورياً لبنانياً ، وكانت ألمانيا تعطي المارك للطلاب بستة عشر قرشاً ، والمبلغ كان يسجل في جواز السفر لئلا يسيء أحد تلك الطيبة الألمانية فيشتري المارك على أنه تلميذ ثم يبتاع به بضائع للتصدير ، أما الذي كان يحول المال من طريق السوق الدولية (باثنين وثلاثين قرشاً) فكان بإمكانه أن يدخل ما شاء من المال لحسابه في ألمانية .

كنت أنفق على كـل ما أحتـاج إليه ، وفي المناسبات كنت أدفـع كـل ما يجب علي ، بلا تأفف ، ولعل الذي جعل نفراً من الناس يظنون بي ذلـك الظن أن بعضنا كـان يرد إليـه من بلده ألف مارك في الشهـر (بالإضـافة إلى حقه بمائتي مارك بالسعر المخفض) ثم تجده يشكـو العسر ويبخـل في عدد من المناسبات .

وقـال لي سائلي : فكيف تنفق أنت من « مـائتي مارك » هـذا الإنفـاق الكـريم ، وفلان لا يستـطيع أن ينفق من ألف ومـائتي مـارك ، إلا إنفـاقـاً عسيراً ؟

فقلت لـه : يا صاحبي ليس في الأمر سر أنا أعيش هنا وحدي وهو هنا يعيش مثنى وثلاث ورباع .

ولم يفهم محدثي الألماني هذا التعبير ، ففسرته له قائلاً : أنا هنا أنفق على نفسي وحدها ، أمـا فلان هـو ينفق على نفسه ثم على اثنتين آخـرين أو على ثلاث أو أربع أخريات .

وسألت أنا طالباً من مثل فلان فقلت له : أنا سأنتهي في هذا العام بعد سنتين من الدراسة وأنت هنا منذ ثلاث سنوات ولا تعلم متى ستنتهي ، فقـال لي : « إذا أنـا أنهيت دراستي ورجعت إلى بلدي فـإن دولتي ستعينـني فـي وظيفة يبدأ راتبها باثني عشر جنيها ونصف جنيه وهي الآن تحول إلي في كـل شهر خمسين جنيهاً » .

ـ ٣ ـ

أعرف نفراً كثيرين جداً يقرأون الصحيفة ابتداءً باسمها وانتهاءً باسم المدير المسؤول .

هم يفعلون ذلك لأسباب مختلفة منها إنهم في العـادة يقرأون صحيفـة واحدة يوماً بعد يوم ، أما أنا فآخذ جريدتين في كل صبـاح ، وفي عديـد من

الأحيان آخذ ثلاثاً وأربعاً ، ثم يأتي عدد من المجلات العربية والأجنبية ، فليس بإمكاني ولا بإمكان غيري ، أن يقرأ الصحيفة كلمة كلمة كما يفعلون وأقضي في قراءة الجريدة الواحدة أحياناً (١٦ ـ ٢٠ صفحة) ثماني ساعات .

أقرأ الجريدة على دفعتين : في الصباح أمر ببطء على الصفحات واقف على عدد من العناوين وبعد الغداء ـ حينما أستلقي للقيلولة ـ أعود إلى الجريدة أنتقي منها ما أظن إني بحاجة إلى قراءته ، أنا أقرأ الأخبار التي هي أخبار ، لا الإعلانات التي تنشر على صورة الأخبار ، وفي المقالات الطوال أحياناً عدد مفيد أقرأه (ويرجع تقدير ذلك إلى عوامل مختلفة) .

كثيراً ما أسائل نفسي ـ أو أتبادل التساؤل ونفراً من إخواني الزملاء ـ عن هذه الصفحات الطوال إلى تنشر في عدد من الصحف يوم الأحد ، أهنالك فعلاً من يقرأ تلك الصفحات ؟ تلك الصفحات ليست طويلة فحسب ، ولكن أكثرها لا يفهم : هاك مثلاً يأتي ناشىء فينقل إلى اللغة العربية قصيدة لشاعر كبير مألوف أو شاعر آخر حديث (قل هو تي اس اليوت) ما حاجتي إلى قراءة هذا ؟ أنا أقرأ لشكسبير في لغة شكسبير . . . ثم لا تنس أن شاباً في العشرين من عمره ، لا يمكن أن يكون أميناً في نقل قصيدة نظمها شاعرها وهو في الستين من العمر ، هذا شيء لا يعرفه عدد كثير من الناس . .

ثم هنالك صورة وتصريح لرابوع بن خاموس في زيارة سادوس بن سابوع وقد استعرضنا الأحوال الراهنة في الداخل والخارج وكانت وجهات النظر عندهما متفقة وبعد يومين ترى في الصحيفة نفسها صورة ذلك الرجل الأول يشن حملة على الذي كان وجهة نظره ووجهة نظر الآخر متفقين . ثم هنالك المؤتمر الصحافي لفلان بعد رجوعه في البلد اليميني الفلاني ، وفي الأسبوع التالي خلاصة مؤتمر صحافي آخر عقده في أقصى بلاد الشمال فلان

ذلك نفسه .

إذا كـان في الصحف هذا المقـدار من الأشياء التي لا أقـرأها ، فـإنك تكون على حق إذا أنت سألتني : لماذا تشتري الصحيفة ؟

أنا أشتري هذه الصحيفة لأنني إذا لم أجد فيها خبـراً سيئاً ، اطمـأننت إلى أن العالم لا يزال بخير . . . .

حينما تفتح عينيـك ، يا صـاحبي . في الصباح ثم تستـطيع أن تنهض من فراشك وتسير على رجليك ، فأحمد (بفتح الحاء) لله تعالى على نعمته التي أسبغها عليك وادفع ثمن جريدة .

الفقر والغنى*

هذا موضوع دفعته عن قلمي مدّة طويلة ثم وجدت أن أكتب فيه هذه القطعة. الفقر والغني أمر نسبي.

في نحو عام ١٩٢٥ جاء الأمير سليم بن السلطان عبد الحميد (بعد إلغاء الخلافة العثمانية) لاجئاً إلى لبنان وسكن في بيت كان قبيل مدخل جونية (إلى يمين القادم من بيروت ـ وقبل مفرق الزوق). ولعل هذا البيت هو الذي سكنه، فيما بعد الحاج أمين الحسيني.

قال لنا الدكتور أسد رستم (أستاذ التاريخ في الجامعة الاميركية) يحسن أن نزور هذا الأمير ونرى ما عنده من مصادر التاريخ. وكان قد جُعِلَ لسليم بن عبد الحميد إعانة (لأنه لاجىء ومحتاج).

لم يكن قد مضى على قدومه زمن كاف لترتيب بيته. وأدهشني ـ لما دخلنا مسكنه ـ أن نرى قرب المدخل قطعاً من الأثاث الثمين (لا تزال مهملة، إذ لم يكن لها مكان في داخل البيت). وكان في تلك القطع من الأثاث واحدة أو آثنتانِ أغلى ثمناً من كل شيء كان موجوداً في بيتنا.

من الغريب والمألوف معاً أنك إذا ذكرت الفقر والغنى لم يذهب فكر معظم الناس إلا إلى قلة المال وكَثرته. مع أن الفقر الحقيقي إنما هو في عقول الناس لا في جيوبهم.

حينما كان راشد الحوري (بالحاء بلا نقطة) يبني مدرسة البِرِّ والإحسان في الطريق الجديدة ذهب إلى غنيّ من أغنيائنا الكبار (كان له قصر على طريق المطار وتولّى رئاسة الوزارة في عشر الستّين ـ ولا تقل: في الستينات) وطلب منه أن

* مذكرات وآراء د. عمر فروخ عن كتابه : من غبار السنين ـ صفحات متفرقة .

يساهم بثمن غرفة في تلك المدرسة (وثروته كانت تزيد على ستين. . . مليوناً بالإضافة إلى تجارته في بيروت والسعودية). فقال ذلك الغني لراشد الحوري: «والله، يا راشد، الأحوال الآن ضيّقة».

وكنت أعرف رجلاً (هو الآن في رحمة الله) وكانت ثروته تزيد على ثروة صاحب القصر على طريق المطار خمسمائة ضعف). جاء هذا الرجل إلى صديق له ولأبيه من قبله، وصديق لي أيضاً،وقال له: يا فلان، خذ كل ما لي من مال وتـولَّ عني الإنفاق على ما أحتاج أنا إليه.

ثم أنْحَدِرُ معك إلى تلك الطبقة التي تسمى ـ ظلماً وعدواناً ـ كادحة. يجلس أحدهم طول نهاره في المقهى أو يتنقَّل من مكان إلى مكان يشكو الزمان ويسبّ الدولة ويتمنّى السوء لمن أنعم الله عليهم بحبّ العمل. وأمثال هذا الرجل لا يعرفون قول عمر بن الخطاب: «إنّ السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة».

لو أن هؤلاء الناس آنصـرفوا الى العمل المنتج ـ بدلاً من الجلوس في المقاهي، وبدلاً من شتم الدولة وبدلاً من عرقلة أعمال الناس وإضاعة الوقت في منع العـاملين عن العمل ـ لما كانوا يشكون مما يشكون في العادة منه.

إن الجاهل هو الذي لا يريد أن يتعلّم،

وإن المريض هو الذي لا يطلب الشفاء،

وإن الفقير هو الذي وهبه الله عقلاً ثم هو لا يستخدم ذلك العقل الذي وهبه الله إياه.

إن ابن خلدون لا ينكر أن الفرد بعد الفرد يمكن أن يقع في حين بعد حين على ركيزة (كنز في باطن الأرض) ولكن لا يجوز لكل إنسان أن ينام في الشمس طول حياته وهو يَحلُم بأنه سيقع على كنز كبير.

ولا نكران أيضاً في أن في باطن الأرض كنوزاً كثيرة، ولكن يجب على الإنسان في سبيل الحصول على هذه الكنوز أن يَحْفِرَ في الأرض حتى يصل إلى الكنز.

(١٩٨١/٩/١١)　　　　١٩٨١/١٠/٢٤

أساتذتي . . . في البيت

لا شك في أن البيت هو المدرسة الأولى، ولا شك أبداً في أن الأمّ هي لأستاذ الأول في حياة كلّ طفل. ثمّ إنّ الأعمام والعمات والأخوال والخالات والأجداد والجدات والجيران والزوار، والرفاق والأصدقاء، كلّ هؤلاء يؤلفون المدرسة الكبرى التي يبدأ كلّ طفل بتلقي دروسه فيها. ثمّ إنّ هؤلاء جميعاً (ولو قلّ احتكاك الطفل بهم) أشد تأثيراً في نفس الطفل الغضة (الطرية) من الأساتذة الذين يجلس أمامهم طَوعاً أو كَرهاً على مقاعد الغرف في المدرسة المبنية بالحجارة.

لقد كان من حسن حظي أن نشأت في بيت فيه علم وفيه مكتبة (على قلة مثل هذا البيت في بيروت خاصة ـ وقديماً قالوا: بيروت مقبرة العلماء). كان جَدّي وأبي وعمّاي وعمتاي يقرأون ويكتبون (على قلة مثل ذلك بين المسلمين في القرن الماضي). وكان في بيتنا ثلاث لغات مُتْقَنَة (العربية والتركية والفرنسية) ثم لغتان ملموحتان (الإنكليزية والألمانية).

تعلمت من جَدّي لأبي الصلاة وقراءة القرآن والسباحة وشراء أغراض البيت من السوق.

وتعلمت من والدي السير الصحيح السليم في طريق الحياة. إن جانباً من أصدقائي، إلى اليوم كانوا من أبناء أولئك الرجال الذين كانوا أصدقاء والدي. وفي يوم من الأيام (عام ١٩١٠) أرسل والدي عربة أقلتني وحدي إليه ثم أخذني هو إلى مقهى فيه شيء من الرقص العربي.

كنت كثيراً، بعد ذلك، أتعجب من فعل أبي: «عربة» خاصة تحملني وحدي إليه، ثم حضور رقص في المقهى. أما اليوم فإني لا أعجب من ذلك. إنّ معاملة الطفل على أنه (اليوم) طفل وعلى أنه سيصبح (غداً) رجلاً هي المعاملة

الصحيحة في بناء شخصية الطفل. ثم إن حضور أماكن فيها أشياء من اللهو (بإشراف الآباء والأمهات) ينزع من نفوس الأطفال ذلك الفُضول الذي يرغب فيه الطفل، أن يعرف ما وراء الستور والجدران ثم يحول بعد ذلك، إذا شبَّ الطفل، مراهقة أو كبتاً. ولقد سلكت مع أولادي مثل هذا المسلك. وأنا أحمد الله على أن كان والدي منشرح الصدر للحياة وعلى أنه نقل أشياء من اختباره إلينا.

أما والدتي فلم تكن تخط أو تقرأ الخط. ولم يكن بالإمكان أن أتعلم منها شأناً من شؤون الثقافة. غير أنّ والدتي كانت ربة بيت من جميع النواحي (حتى من الناحية الاقتصادية): الجِد في التحصيل والحكمة في الإنفاق. ثم أن والدتي علمتنا الخدمة في البيت: كنا نعجن (لم يكن الناس في أيام طفولتنا يشترون خبزاً من السوق) وعلمتنا المساعدة في شؤون المنزل من الطبخ والغسل والمسح. ولقد انتقل ذلك كله إلى أولادنا. إن أبنائي الثلاثة قد تابعوا دراستهم في مصر وانكلترة والولايات المتحدة، فكانت معرفتهم بالشؤون المنزلية خير معين لهم على التغلب على مصاعب «تدبير المنزل» في الغربة.

وكان عماي وعمتاي يساعدونني في إعداد دروسي كثيراً أو قليلاً:

ومن عمي حسين (ت ١٩٣٦)، رحمه الله، تعلمت ـ فيما تعلمت منه ـ هذه القاعدة: الاقتصاد الصحيح أن تنفق في ما تحتاج إليه كلّ مبلغ مهما يكنْ كبيراً، وإياك أن تشتري شيئاً لا تحتاج إليه مهما يكن ثمنه متدنياً.

ومن عمي حسن (ت ١٩٦٦)، رحمه الله، تعلمت ـ فيما تعلمت منه أيضاً ـ هذه القاعدة الاجتماعية: كان يودعني وأنا أغادر بيروت (في خريف ١٩٢٨) ذاهباً الى نابلس (فلسطين) لأعلم هناك، فقال لي: لا تعمل في الغربة عملاً لم تعمل مثله وأنت في بيروت.

ومثل هذه النصيحة أسداها إلي أيضاً أنيس النصولي (ت ٢٤/١٠/١٩٥٧)، حينما قال لي، وهو يودعني في مرفأ بيروت في اليوم الذي سافرت فيه إلى المانيا، قال لي: أنت تذهب الآن واحداً، فارجع إلينا واحداً.

ولا أعلم أنني كنت ألعب في الشارع: كنت أخرج إلى بستان البيت (وكان في أحد البيوت التي سكناها ثلاثة بساتين كبيرة مزروعة أزهاراً ومغروسة أشجاراً) أو أخرج إلى الحقل المجاور لبيتنا وآخذ معي الحمل (الخروف الصغير) ليرعى فيه، تحت إشراف أهلي طبعاً. ولا أزال أذكر أن أهلي كانوا يستقدمون مرة طفلاً من أسرة مثل أسرتنا أو يرسلونني إلى تلك الأسرة فيكون لَعِبُنا في البيت باشراف الأهل، خوفاً من أن يحتك أحدنا (أنا أو أحد أطفال تلك الأسرة) بطفل لا تُرضي سيرته. ولقد نشّأت أولادي على مثل ذلك. وكنا ننصحهم بأن يصحبوا في المدرسة أطفالاً معينين.

لا فائدة من أن نترك الطفل (ادعاء بالانفتاح والتقدم والعصرية) عشرين سنة يفعل ما يشاء هو أو ما يشاء له نفر آخرون، ثم نأتي إليه يوماً فنعاقبه على أمر ما أو نعاتبه.

ولا أنسى أن أقول: إن الأساس الأول في التربية إنما هو «القدوة الحسنة». فعلى الأهل أن يسلكوا السلوك الصحيح في حضور الطفل وفي غيابه. إنّ كل شيء يفعله الأب في ستر سيعرفه طفله في يوم ما.

١٩٨٠/١٢/٦

الوضوح والجزم والنجاح

تخرجت عام ١٩٢٨، وذهبت إلى بلد عربي للتعليم. كانت سني اثنتين وعشرين سنةً، وكان وزني ثمانية وأربعين كيلوغراما. طلبت المدرسة مني أن أعلم الجغرافية الطبيعية (في الصف الرابع الثانوي، باللغة العربية)، وجغرافية بلاد آسية العربية (في الصف الخامس، باللغة الإنكليزية) والتاريخ العام (في الصف السادس - أعلى صفوف المدرسة، باللغة الإنكليزية).

كنت يوماً في الصف السادس، وفي أوائل عهدي بالمدرسة، فنهض تلميذ وسأل سؤالاً خارجاً عن نطاق الدرس (والتلاميذ عادة يحبون أن يختبروا المعلم الجديد). فقلت له: هذا سؤال لا صلة له بدرسنا. فإذا بقي وقت في آخر الدرس أجبتك عليه. فقال: أريد أن أعرف جوابه الآن. فقلت له: اجلس (بكسر اللام)، فقال: لا أريد. فقلت: ابق واقفاً. فجلس.

أصبح الأمر واضحاً جداً. إما أن أبتَّ في الأمر فتكونَ دروسي في حياتي القادمة هادئة ناجحة، وإما أن أترك الأمر غائماً فتضطرب حياتي التعليمية.

ذهبت إلى باب الغرفة وفتحته فأبصرت في باحة المدرسة خادماً اسمه أمين (وكان شاباً كبير الجسم قوي البناء) فناديته وقلت له: أخرج فلاناً. كنت أظن أنه سيذهب إلى الناظر وسيأتي به، أو أنه، في أسوأ الأحوال، سيخرج الطالب من الصف بالمعروف. ولكن استغربت كثيراً حينما رأيت ذلك الخادم يسرع الخطى إلى مكان التلميذ وينتزعه من مقعده كأنه ينتزع جزرة من أرض لينة. بعدئذ جره جراً. ولما وصل إلى باب الغرفة رفع ذلك التلميذ إلى ما فوق رأسه ثم ضرب به الأرض ضربة خلت أن عظام التلميذ قد اختلطتْ بلحمه.

وقفت مشدوهاً لا أدري تفسير ما حصل. أما التلميذ فنهض يجأر (كما

تصوّت البقر) ثم مضى على وجهه حتى خرج من المدرسة (ولا أعلم أَوَجَدَ هو باب المدرسة مفتوحاً أم فتح الباب له؟ فإن المدرسة كانت نصف داخليّة).

وانتهى الدرس وخرجت من الصف. وكانت العادةَ أن يكون الأساتذة حلَقات في باحة المدرسة وأن يكثر عدد الأساتذة في الحلقة (بسكون اللام) التي اختار الوقوف فيها. في ذلك اليوم أبصرت الأساتذة متفرقين يروحون ويجيئون فُرادى (كأنهم رهبان على سطح دير يقرأ كل واحد منهم صلاته في «الشحيمة»). فأخذت طريقي إلى غرفتي في الطابق الثاني. أظن أن خبري مع ذلك التلميذ كان قد انتشر قبل أن أخرج أنا من الصف.

واستمرّت تلك الحال طول اليوم. وبعد الدرس الأخير صعدت أيضاً إلى غرفتي رأساً. ولكن بعد قليل سمعت قرعاً على باب الغرفة.

كان الطارق أستاذاً قال لي:

ـ في غرفة المدير اجتماع.

كان في غرفة المدير: المدير وخمسة أساتذة أو ستة من الأساتذة الكبار في المدرسة ثم رجل لم أكن قد رأيته من قبل.

ساد صمت مقدار دقيقة خلته عاماً. ثم التفت المدير إلى ذلك الرجل وقال: الأستاذ عمر. وساد الصمت مرة ثانية «جزءاً من دقيقة» حسبته عامين. ثم تكلم المدير ثانية، بعد أن التفت إلي وقال: فلان، جَدّ التلميذ ورئيس عمدة المدرسة.

والتفت ذلك الرجل إلي وقال:

ـ بارك الله فيك. من الآن وصاعداً، كلما فعل «شوكت» (اسم التلميذ) شيئاً في البيت خارجاً على اللياقة سنقول له: سنخبر الأستاذ عمر.

* * *

ربما خطر لك، أيها القارىء العزيز، هذا السؤال فقلت لي:

ـ لو كنت تعلم أن ذلك التلميذ كان حفيداً لرئيس عمدة المدرسة، أكنت فعلت ما فعلت؟

أعتقد أنني كنت فعلت ذلك الذي فعلته. والدليل على ذلك أنه اتفق لي حادثة شبيهة بهذه الحادثة، في بيروت. وكنت أعلم أن ذلك التلميذ ابن مدير الإدارة في المؤسسة التي كنت فيها. ومع ذلك فقد توليت عقابة في الصف بيدي، ولم استدع خادماً أو ناظراً أو مديراً. كان ذلك يوم خميس. وفي اليوم التالي لقيت والد هذا التلميذ في الشارع اتفاقا فقال لي أيضاً: «سلم الله يديك». من الآن فصاعداً كلما فعل فلان شيئاً في البيت سنقول له إننا سنخبر الأستاذ عمر. ولا أزال أحتفظ ببطاقة من ذلك الوالد يسألني فيها عن سلوك ابنه في المدرسة.

ستقول لي: مرة ثانية: إن العقاب الجسدي ممنوع. وسأقول لك: إن القحة (بكسر ففتح بلا تشديد) ممنوعة أيضاً. ثم إنني لجأت إلى مثل هذا العقاب أربع مرات في مدى ثلاث وخمسين سنة، وليس في تلك النسبة شيء يذكر.

هنالك أسئلة أخرى عندي وعندك، أيها القارىء، ربما جاء دورها في المستقبل.

(٨١/٨/٨) ٨١/٩/٥

الآباء والأبناء

لعلك لا تصدق أحداً (إذا لم تكن واسع الاطلاع على الآداب القديمة والحديثة) إذا قال لك: أن نفراً من الآباء يفسدون أبناءهم. سأكتفي بعدد من الأقوال المشهورة:

ـ في الحديث الشريف: «كل مولود يولد على الفِطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجسانه» (ولا شك أيضاً في أنهما يعلمانه ويجهلانه، ويعزانه ويُذلانه، الخ). هذا القول وحده كاف في هذا المقام. ولكن إليك أقوالاً أدنى طبقة ولكنها تشرح هذا القول:

ـ إن قطعة المنفلوطي (ت ١٩٢٤ م) مشهورة: «شريكك في الجريمة أبوك... (من لا يعرف القطعة فليقرأها، فإن قراءتها مفيدة).

ـ وقال شوقي (ت ـ ١٩٣٧ م):

ليس اليتيمَ مَنِ آنتهى أبَواهُ مِنْ ... هَمِّ الحياة وخَلّفاهُ ذليلا.
إنّ اليتيمَ هو الذي تَلْقَى لَهُ ... أُمّاً تَخَلَّتْ أو أباً مشغولا.

ـ واذكر أنني وجدت في أواسط الحرب العالمية الأولى كتاباً في مكتبة «بيت جدي» عنوانه الآباء والبنون لرئيس الجمهورية الفرنسية بول دومر، وقد نقله إلى اللغة العربية عبد الغني العريسي (أقول هذا الآن من ذاكرتي ـ وسأرجع إلى مكتبتي لأرى مكان ذاكرتي بعد هذا العهد الطويل) ـ اسم الكتاب «كتاب البنين»، ومؤلفه بول دومر وقد كان في ذلك الحين (١٩١٦) رئيساً لمجلس الأمة ثم أصبح (١٩٣١) رئيساً للجمهورية. قرأت أشياءَ في هذا الكتاب لا أذكرها الآن (في ذلك الحين كنت قد ختمت القرآن وحفظت قسماً صالحاً منه غيباً).

الأب الذي يفسد أبناءه هو الأب الذي يحملهم على كتفه ليخفف عنهم «في

ظنه» مشاقّ الحياة فيظلون طول حياتهم عاجزين. وطريقة هذا الفساد أو الإفساد أن يقول الأب أو يعتقد أن أولاده «غير شكل»، وأن ابنه أذكى الطلاب. وأن كل الأولاد مخطئون وابنه فقط على صواب. يجب أن يُعَدّ (بالبناء المجهول) كل طفل للحياة المقبلة. سأترك القصص المحزنة وأكتفي بهذه القصة المشرقة:

كان في الصف الثالث الابتدائي من مدرسة البنين الثانية لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية - بيروت - القنطاري، تلميذان (عام ١٩٢٩ - ١٩٣٠)، كان أبوهما صاحب دكان صغير يبيع فيه جبناً وما يتبع الجبن. مات الأب في ذلك العام واضطر ذانك الطفلان إلى أن يأخذا في ذلك الدكان الصغير مكان أبيهما. تحصيلاً للرزق. وهما الآن يملكان أكبر «سوبر ماركت» في هذا الوطن. ولولا هذا «السوبر ماركت» لَمَاتَ نِصفُ أهل بيروت جوعاً، عامَ ١٩٨٢، في أثناء الحِصارِ المزدوج: الحصار الإسرائيلي العامّ والحصار ...... الخاصّ.

١٩٨١/٣/٢١

لَمَحات

وظَبْيٍ مِنْ ذَوِي حَسَبٍ ظَرِيفٍ ... أشارَ إليَّ بالطَّرْفِ الأثيمِ.
ولَمْ أكُ قد كَلِفْتُ بهِ، ولكنْ ... جديدُ الوَجْدِ كالوَجْدِ القديمِ.

نابلس ١٩٢٨.

بين الإدارة والتعليم

في عام ١٩٣٤ زارني الأستاذ عبدالله مشنوق (وكنا نصطاف في فيترون - كسروان)، وقال لي: «إنهم يفكرون في أن يعهدوا إليك بإدارة بعض مدارس الجمعية»، فقلت له: أنا لا أصلح للإدارة، وأذا جعلتموني مديراً فإنكم تفسدون مكاني في التعليم ولا تصلحون إدارة المدرسة التي تريدون أن تعهدوا بها إلي. وتكرر هذا الإقتراح مراراً، وكنت في كل مرة أعتذر، والسبب الحقيقي أن الإدارة تقتضي من صاحبها اتجاهاً (هو المحافظة على الشكل والهيبة الخارجية، ولو أضر صاحب المَنصِب بالجانب الفني من حياته). وهذا أمر لم أكن أطيقه. ثم إن الإدارة طاعة المرؤوس للرئيس في كل صغيرة وكبيرة وسير على سكة من حديد لا تحيد يميناً ولا يساراً.

* * *

سأبقى في الكلام على سنواتي الأولى في المقاصد (١٩٢٩ - ١٩٣٥).

لما أصبح في المقاصد صف فلسفة أصبحت المدرسة بحاجة إلى مكتبة يستفيد منها طالب البكالوريا في الأدب والفلسفة، وقد أنشأت جمعية المقاصد مكتبة في كلية المقاصد (مدرسة البنين الأولى - الحرج)، ولكنّ هذه المكتبة على قيمتها لم تكن تضم المصادر والمراجع التي يحتاج إليها الطالب... إن رأي الجمعية في المراجع والمصادر النافعة للتلميذ غير رأي معلم الأدب والفلسفة.

ذهبت إلى المكتبة الأهلية لصاحبها محمد جمال (وكان بيننا مودة)، واخترت من مكتبته كتباً بأربعمائة ليرة (نحو ثمانين ليرة ذهباً) وقلت له: أرسل الكتب إلى كلية المقاصد واحجز «الفاتورة» (القائمة بالأسعار) إلى حين أخبرك بإرسالها.

وصلت الكتب إلى كلية المقاصد فسجلناها وختمناها ورقمناها ووزعناها في

الخزائن، وبعد أسبوعين قلت للسيد محمد جمال أن يرسل القائمة بالأسعار إلى مكتب الجمعية. استدعاني حسن القاضي ـ مدير الإدارة في الجمعية، وكان رجلاً صريحاً عنيفاً مع كرم في النفس وإخلاص في الخدمة ـ وقال لي: ما هذا (وأراني الفاتورة)؟ فقلت له (وقد أدركت غضبه): لقد أخطأ محمد جمال في إرسال الفاتورة، فقال: أنا لا أدفع ثمن هذه الكتب التي لم يؤخذ فيها رأينا. قلت له: لا تدفع، عُـدَّ هذه الكتب هبة من محمد جمال.

وبعد أسبوع آخر استدعاني حسن القاضي وقال: يا عمر، ليس من الحق أن نأخذ هذه الكتب من غير أن ندفع ثمنها. فقلت له: إذا شئت أن تدفع ثمنها فافعل. فقال لي: ولكن لا تفعل ذلك مرة ثانية.

واحتاجت المدرسة إلى آلة نسخ (فإن معظم مناهج البكالوريا كانت لا تزال تعتمد محاضرات الأساتذة ـ ولم يكن هنالك بعد كتب للتدريس وافية بالمقصود).

اشتريت آلة نسخ جيدة (وكان ثمنها خمسين ليرة: عشر ليرات ذهبية)، ولكن لم أرسل الفاتورة إلى مكتب الجمعية، بل أخذت من عبدالله المشنوق، خمساً وعشرين ليرة وأضفت إليها خمساً وعشرين ليرة من جيبي. وكان لآلة النسخ هذه مفتاح احتفظت به أنا. وكنا ننسخ بهذه الآلة كل ما كانت المدرسة تحتاج إلى نسخه.

وفي آخر السنة المدرسية استدعاني عبدالله المشنوق وقال لي: حسن بك على التلفون، وهو يريد أن يكلمك.

قال لي حسن القاضي على التلفون: يا عمر، عندنا غداً الحفلة الرياضية، ونريد طبع منهاج الحفلة. فقلت له: وهل عندي أنا مطبعة للطبع؟ فقال: وآلة النسخ التي في المدرسة. قلت له: هذه لي أنا. فقال اطبع لنا منهاج الحفلة الرياضية بالأجرة. فقلت أفعلْ. قال: كم تريد أجرة طبع المنهاج؟ فقلت خمسون ليرة. فقال خمسون ليرة مبلغ كبير. فقلت له: يا حسن بك، التجارة عرض وطلب. قال لا بأس، اطبع لنا المنهاج وغداً أرسل لك خمسين ليرة. فقلت له أريد

الأجرة سلفاً.

وفعلاً، أرسل حسن القاضي خمسين ليرة مع نسخة برنامج الحفلة. رددت إلى عبدالله المشنوق خمساً وعشرين ليرة ورددت إلى جيبي خمساً وعشرين ليرة ثم سلمت مفتاح آلة النسخ إلى كاتب الإدارة في المدرسة.

١٩٨١/٩/٦ ١٠/١٠/٨١ (ص ١٠)

لمحات

مَنْ رأى الغِيدَ الظِّباءَ يَتَنَزَّهْنَ عِشاءَ؟
يَتَسَارَعْنَ إلى اللَّهْـ ـوِ دَلالاً ورَخاءً.
تَضْحَكُ الآمالُ عَنْهُنْـ ـنَ إذا مِسْنَ آزْدِ هاءَ.
يتسابقن وجفنيـ ـي ابتساما وبكاء.
انَّ في نَفسيَ منهنَّـ ـن عذابا وشقاء.

لماذا ذهبت إلى أوروبة؟

حينما كنت في أوروبة أتابع الدراسة؛ سألني نفر كثير من الأساتذة الذين درست عليهم: لماذا جئت إلينا؟ إنك لا تحتاج إلى هذا الذي تدرسه علينا.

كنت أقول لهم ما قاله ابن خلدون: إن الرِّحلة في طلب العلم مَزيدُ (بفتح الميم) كمال في التعلُّم، إن العاقل يرحل في طلب العلم (كما يقول ابن خلدون أيضاً) للقاء المشيَخة (الأساتذة الكبار) ليحتك بهم، فيستفيد من اختبارهم، ويَعْرف طرق تفكيرهم؛ وأساليبَ بحثهم (لا ليعرف عشر حقائق عن المتنبي، مثلاً، بعد أن يكون في بلده قد عرف خمساً منها).

سيعجب القارىء إذا قلت له: إنني زرت ثلاثاً وخمسين مدينة وبلدة وقرية في المانيا وحدَها (كنت وأنا أسافر ربما قطعت سفرتي ساعة أو ساعتين ثم تابعت طريقي بالقطار التالي). رأيت مستشرقين كباراً كثيرين فتلقيت عليهم أشياء من اختبارهم. وكان في المانية في ذلك الحين نفر من المستشرقين الكبار قد بلغوا السن القانونية وتركوا التعليم. لقد زُرتُ من هؤلاء أوغست فيشر (وكنا في ليبزغ نسكن في شارع واحد). زرت مِتْقُخْ (مع أنه كان قد نحي في أيام هتلر عنْ الجامعات لأنه يهودي). وعدني ماكس فايسفايلر (أمين مكتبة برلين) أن ألقي بروكلمن حينما يزور المكتبة، ولكن بروكلمن كان في زيارة خاطفة فرأيته ولم أحدثه.

حضرت دار الأوبرا مراراً، ومواسم الموسيقى والمسارح المألوفة والحديثة (في المانية وفرنسة) وكذلك حضرت معظم حفلات الأولمبياد في برلين (١٩٣٦)، ومَعرض باريس الدولي (١٩٣٧)، والأعياد القومية في المانية (بقدر ما يسمح الزمن)، وعقدت صداقات مع أناس بارزين. وبينما كان نفر من الطلاب يستأجرون غرفاً بثمانية ماركات في الشهر أو بعشرة ماركات أو باثني عَشَرَ ماركاً،

كنت أستأجر غرفة (أو غرفاً) بأربعين ماركاً أو بخمسين ماركاً، وفي مرتين كان أجار سكني اثنين وسبعين ماركاً في الشهر. ولا شك في أن الخدمة التي كنت ألقاها في سكني والطعام الذي كان يُقدّم لي لم يكونا ممكنين في الغرفة ذات الثمانية ماركات.

لما ذهبت إلى باريس في المرة الأولى (١٩٣٦) حضرت على أساتذة كثيرين حضوراً جيداً، كنت أحضر على ليفي بروفنسال «الخطوط على الخشب» (وفي كثير من الأحيان لم تكن تلك الخطوط مقروءة أو واضحة). كنت أجلس في أواخر الغرفة (وكنت عند لويس ماسينيون في صدر القاعة ـ أما وليم مارسيه فكنا نجلس معه على طاولة مستديرة).

مشى إلي ليفي بروفنسال يوماً وقال لي: أنت لست تلميذاً. فمددت يدي إلى جيبي وأخرجت بطاقة جامعة برلين، وبعد أن تأملها قال لي: ولكن أنت غير هؤلاء (وأشار إلى طلبة في صدر القاعة أعرفهم). قلت له: طبعاً، أنا غير هؤلاء، هؤلاء حصلوا على البكالوريا (ومن الخير ألا أذكر نوع تلك البكالوريا) وجاءوا تواً إلى هنا، أنا أحمل شهادة بكالوريوس علوم (فوق البكالوريا بثلاث سنوات) من الجامعة الأميركية. ثم إني علمت سبع سنوات، وقد ألفت عدداً من الكتب المدرسية والأدبية. وأنا أحسن أربع لغات وأُلِمُّ بلغة خامسة.

حينئذ قال لي ليفي بروفنسال: وما جئت تفعل عندنا؟

دعاني عبدالله المشنوق يوماً إلى الإدارة وقال لي: هذا «الدكتور» فلان (جاء في نطاق البعثة للأساتذة في جمعية المقاصد). سألته: في أي الجامعات كنت؟ قال: في جامعة لندن. فقلت وعلى من حضرت؟ فقال على جِب (المستشرق هـ. أ. ر. جب)، أو كذلك قال لي. فقلت وماذا درست عليه؟ قال كتاب تاريخ اللغات السامية لولفنسون.

لا حاجة إلى التعليق على هذا، فاسمع القصة التالية:

دعاني عبدالله المشنوق مرة ثانية وقال: الدكتور يريد أن يدرس في الصف الأعلى عندنا، ويريد أن يدرس الفلسفة. فقلت له لا مانع عندي (وكنت أنا أدرس الفلسفة). وبعد أيام قليلة دعاني عبدالله المشنوق للمرة الثالثة لهذا الأمر وقال: الدكتور متضايق من تدريس الفلسفة: إنه يسهر كل ليلة إلى الساعة الثانية بعد منتصف الليل في إعداد محاضرته. ولم يقل لي عبدالله المشنوق أن التلاميذ لم يكونوا يفهمون شيئاً مما كان في تلك المحاضرة. واستعفى «الدكتور» من تدريس الفلسفة فرجعت إلى تلاميذي. ويكفي أن أقول إنّ المذكور لم يكن حائزاً على الرتبة التي آدّعـاها.

من الناس من يتعلم ليحصل على شهادة، ومن الناس من يريد الحصول على شهادة ليقال إنه متعلم (والعلم عند الله).

(٨١/٨/٨) ١٩٨١/٨/٢٩ (ص ١٠)

أساتذتي . . . في المانية

قبل أن أذهب إلى أوروبا كنت أعرف نفراً من المستشرقين من طريق المراسلة أو من طريق اللقاء بهم في بيروت. ثم كنت قد علّمت سبع سنوات وألفت عدداً من الكتب المدرسية والأدبية. إنني لم أذهب إلى أوروبا شاباً فطيراً، بل شاباً ناضجاً، وفي الثامنة والعشرين من العمر.

استقبلني المستشرق يوسف هل (وهو الذي أشرف على دراستي) في مُنشِنْ (ميونيخ) وبعد أن مكثت معه أُسبوعاً، قال لي: من الخير أن تذهب في الفصل الأول (فصل الشتاء ١٩٣٥ ـ ١٩٣٦) إلى برلين وبعدئذ ترجع إلي في أرلنغن (في فصل الصيف شباط ـ تموز). ثم قال لي: هنالك الآن نفر من الأساتذة المستشرقين يجب أن تحضُرَ دُروسَهم. وفي برلين درست على يوليوس روسكا وشايدر وبيوركمن وروست وفرانكل وغيرهم ورأيت بروكلمن (ولم يكن في ذلك الحين يدرِّس) وزرت مِتْقُخْ (وكان قد نُحِّيَ عن التدريس ـ أريد أن أستخدم التعبير الصحيح ـ لأنه كان يهودياً). وكثيراً ما كنا نذهب إلى بيت الأستاذ أو نذهب إلى مكان آخر (حينما يكون عددنا قليلاً) نستمع فيه إلى شرح الموضوعات أو نناقش فيها.

وفي يوم من الأيام قال لنا روست (أستاذ العهد القديم): غداً مساء سنتناول طعام العشاء في بيتي. ثم التفت إلي وقال: أريد أن أراك بعد الدرس. وبعد الدرس قال لي: أنا دعوتكم كلّكم دعوة عامة. ولكني أريد أن أقول لك: كن واثقاً من أنه لن يكون على المائدة خمر ولا خنزير، ولا شيء آخر يدخل في إعداده خمر أو خنزير.

وفي برلين كان على جدولي أربع ساعات في الأسبوع في الرياضة البدنية.

وكان معلم الرياضة طبيباً. ففي الدرس الأول فحصنا الأستاذ ووصف لنا ما نفعله. وقال لي: يجب أن يرتفع وزنك إلى ثلاثة وستين كيلو (لما تخرجت في الجامعة الأميركية كان وزني ثمانية وأربعين كيلو ثم ارتفع إلى سبعة وخمسين). وكان اشراف الأستاذ علينا دقيقاً جداً. وفعلاً أصبح وزني في ذلك الفصل ثلاثة وستين كيلو، ثمّ استمر ثابتاً نحو أربعين عاماً. ومنذ نحو سبع سنوات بدأ وزني ينخفض. وقد قال لي الطبيب: من حسن حظك أن وزنك يَقِلُّ.

وكان أستاذ الرياضة يشرف علينا (في الملعب أو في المسبح)، وكان في يده ورقة عليها أسماؤنا وصفاتنا ومدى طاقاتنا ـ فكان بين الحين والحين يقول: يا فلان، اخرج أنت الآن من الماء أو توقف عن التمرين. ـ أنا أنتقل بفكري الآن إلى نفر من الأساتذة اليوم من أولئك الذين لا يعرِفون أسماء تلاميذهم، وإلى جماعات من الطلاب لا يحضُرون إلى الجامعة إلا في أسبوع تقديم الامتحان.

والطالب الجامعي يقضي معظم أوقاته في المكتبة، وكانت المكتبة العامة في برلين تفتح أبوابها من الساعة التاسعة صباحاً إلى الساعة التاسعة مساء. كان كل طالب منصرفاً إلى عمله أو مطالعته لا تسمع منهم همساً. وكثيراً ما كنا (في أيام العطل أو في الأيام التي لا دروس عندنا فيها، نقضي الساعات الآثنتي عَشْرَةَ في المكتبة. فإذا أراد أحدنا في نصف النهار أن يأكل ترك كتبه وأدواته على الطاولة حيث كان يدرس ثم نزل إلى استراحة المكتبة ليتناول شيئاً من طعام.

منذ بضعة أيام كنت في مكتبة الجامعة الأميركية (في بيروت) فاتفق أن جلس على الطاولة التي كنت أشتغل عليها طالب ثم فتح جريدة وبدأ يتطلع فيها. ودفعني الفُضول إلى أن أعرف ما يقرأ، فإذا به مجتهداً في قراءة صفحة الاعلانات.

لقد تغير الزمن، كما يقولون. لا، إن الزمن لا يتغير: لقد فسدوا وما فسد الزمان. أنا أمرّ الآن في بيروت بثلاث جامعات: لا نكاد نرى تلميذاً إلا وهو يأكل أو يشرب أو يدخن أو ترى يده في يد تلميذة، فمتى يدرسون؟ (غير أن هذا

لا يمنع من أن قِلّةً من الطلاب اليوم يسلُكون المسلك الصحيح، كما أنه كان في أيامنا قِلّةٌ تسلك المسلك القبيح)..

وقضيت فصل الصيف الجامعي في أرلنغن معَ يوسف هل. وفي فصل الشتاء (١٩٣٦ ـ ١٩٣٧) أشار علي بالذهاب إلى جامعة ليبزغ، وهنالك درست على بروينلش وشوارتز وأرنست برغمن وزرت فيشر (لأنه كان قد بلغ سن التقاعد). سألني فيشر: عم تكتب رسالتك؟ قلت له عن أثر الإسلام في الشعر العربي (في السنوات العشرين الأولى من صدر الدعوة الإسلامية). فقال لي: فهل وجدت الألفاظ التي تريدها في اللغة العربية؟ (إن الكثرة من المستشرقين يعتقدون أن الألفاظ الإسلامية: صلاة، صياماً، زكاة، الخ) جاءت من العبرية أو من الآرامية بتأثير اليهود والنصارى ـ ولكن هذا لم يكن رأي أستاذي المشرف على رسالتي يوسف هل). فقلت نعم، وجدتها كلها. فقال: وكلمة «صيام». قلت هذه وردت أيضاً عند النابغة: «خيل صيام وخيل غير صائمة» (صام الحصان: وقف على رجل واحدة). فقال لي: لعلك أخذت ذلك من ديوان في طبعة غير علمية. قلت له: أعطني ديوان النابغة من مكتبتك. فجاءني بديوان النابغة في طبعة لمستشرق. ففتحت ذلك الديوان إلى الصفحة المطلوبة.

إن الرحلة في طلب العلم، كما يقول ابن خلدون، ليست للتعلّم، ولكن ـ كما يقول ابن خلدون ـ «لمزيدِ كمالٍ في التعلم». وهذه غاية لا تَتِمّ إلا بالاحتكاك بين البشر لينتقل الاختبار الإنساني من فرد إلى فرد (في نطاق الاستعداد الفطري الفائق وفي نطاق الجهد البشري).

وفي جامعات المانية لا يناقشون الرسائل، لأن الرسالة تكتب بإشراف الأستاذ فصلا فصلا وصفحة صفحة (بخلاف الأمر في فرنسة، إذ يتفق أن يرى الأستاذ رسالة طالبه بعد أن تنتهي). وفي المانية توضع الرسائل في متناول الأساتذة والباحثين، فإذا ظهر فيها ضعف ما ـ وقل ما يحدث ذلك، لأسباب كثيرة ـ ألغيت الرسالة جملة.

كنت مرة في بيت أستاذي يوسف هل أقرأ عليه فصلا من رسالتي، فمر في أثناء الكلام ذكر محمد رسول الله. قال: يا عمر، أنت تكتب رسالة علمية وتقول محمدٌ «رسول الله»! فطويت الأوراق التي كانت بين يدي ونهضت قائماً. فقال لي: لم فعلت ذلك؟ قلت له: لأنني أريد أن أرجع إلى بيروت. فقال مستغرباً: لماذا؟ قلت له؛ لا أريد أن أدرس على أستاذ يضيق صدره إذا إنا قُلتُ «محمد رسول الله»، وهو يعتقد (وكان يوسف هل كاثوليكياً) أن المسيح هو الله بالذات.

قال لي: اقعد واكتب ما بدا لك.

وفي الامتحان أتى دوري للدخول إلى غرفة الاستاذ هرّيكل (عميد دائرة الفلسفة وأستاذ الفلسفة). سألني سؤالاً واحداً (رأى أرسطو في الله). أجبت بما أعرفه في موضوع علّمته بضع سنوات (ولا فائدة من ذكر تفاصيله في جريدة سيارة). فأثار نقطة تخالف جوابي، فرددت عليها. وطالَتِ المناقشة ساعة كاملة، وأنا مصر على رأيي الأول. ثم خرجت فتلقاني الطلاب المنتظرون أدوارَهم. فقصصت عليهم القصة. فقالوا لي: إن للأستاذ هريكل كتاباً يرى فيه ما يخالف الرأي الذي دافعت أنت عنه.

ورأيت في عيون أولئك الطلاب أن نجاحي في مادة الفلسفة مستحيل.

وفي المساء أخبرني أستاذي يوسف هل القصة التالية. قال: لقد طلب لك هريكل في اجتماع العمدة أن تكون شهادتك من الدرجة الأولى. فكان الاعتراض الرسمي أنّ الشهادة من الدرجة الأولى تعطى لمن كانت لغة الأم عندهم هي اللغة الالمانية. فقال هريكل أن لغة عمر صحيحة. فقيل له: إذا أعطي طالب شهادته من الدرجة الأولى ثم طلب أن يعين أستاذاً في جامعة المانية كان لزاماً على الدولة أن تفعل ذلك (ولا نَنْسَ أن ذلك كان في عام ١٩٣٧ - في ذروة الحركة الوطنية الالمانية والنزعة الجرمانية).

فكانت شهادتي من الدرجة الثانية.

١٩٨٠/١٢/٢٠

لَمَحات

لَمّا طَلَعْتُ على أترابِها ٱلْتَفَتَتْ كما أُثِرْتَ ظِباءً عَنْ مراعيها.

وزادَها فَتنَةً في العَيْنِ أنّ لها دَلّاً تُناغيه حيناً أو يُناغيها.

قد لَفَّنا العَيْشُ لا نَلْوِي على أحدٍ، ولا نَقولُ لِشَيْءٍ جازنا: إيها.

فلا نُبالي مِنَ الأيام مُقْبِلَها، ولا نَعُدُّ مِنَ الأيام ماضِيها.

نَمْشي على الدَّهْرِ نَشْوانَيْنِ تَغْمُرُنا فيه الأماني تُرَوِّينا ونُرْوِيها.

ثمّ ٱفتَرَقْنا ، فلم أُنْسَ الهَوى، وعَدَتْ على البرايا من الدُّنّيا عَواديها

٤٣/٨/٨

قصص من بيروت
ـ مراقبة الصحف والكتب ـ

كان في الحرب العالمية الثانية، في لبنان، مراقبة على الصحف وعلى الكتب. وكانت المفوضية العليا الفرنسية هي التي تقوم بالمراقبة. وكنت أنا أيضاً أذهب بمقالاتي وكتبي إلى المفوضية العليا (في السراي الكبير) لمراقبتها. وكانت تلك المراقبة تستغرق دقائق أو بعض ساعة ثم أعود بما أحمل من الأوراق وعليها كلمة «الموافقة».

في أوائل العام ١٩٤٤ كان عندي كتاب مدرسي للتاريخ، وكنت على وشك أن أذهب به إلى السراي الكبير. ولكني قرأت في الصحف، في صباح أحد الأيام، أن المراقبة ستنتقل قريباً إلى الحكومة الوطنية. ففضلت حينئذ أن أنتظر الأيام لتجري مراقبة كتاب التاريخ على يد الحكومة الوطنية.

وبعد مدة انتقلت المراقبة إلى الحكومة الوطنية فحملت مخطوطة كتابي «تاريخ سوريا ولبنان المصور» (الجزء الرابع) وذهبت إلى السراي الصغير (مقر الحكومة الوطنية). وشدَّ ما كانت دهشتي حينما أبصرت هنالك نجيب اليان وأدمون وهبه ـ وهما اللذان كانا يراقبان المطبوعات في السراي الكبير.

ناولت مخطوطة الكتاب لادمون وهبه ثم جلست ـ على عادتي في كل مرة من قبل ـ أنتظر انتهاء المراقبة. فقال لي أدمون وهبه: الآن نحن مشغولون. تعال غداً. وجئت في اليوم التالي، فقال لي: لم تنته المراقبة بعد.

وما زلت أتردد على السراي الصغير حتى طال ترددادي. ثم ناولني أدمون وهبه مخطوطة كتابي مزينةً بالقلم الأحمر. وكان عليها امضاء وزير الداخلية. كان كل شيء يتعلق بالتعاون مع الدول العربية والقومية العربيّة. . ووو . . . مضروباً عليه بالقلم الأحمر.

وصعدت إلى الطابق الثاني في السراي الكبير. . . ثم نزلت إلى الطابق الأول. فقال لي: أدمون وهبه: هذا من شأني أنا. وفلان لا شأنَ له. . فقلت له: يا أدمون، هذا الكلام المشطوب هنا تكتب مثله الجرائد في كل يومٍ، ثم هو مكتوب في مناشير ملصقة على أعمدة «الترامواي».

فهز أدمون وهبه رأسه، وهو يضحك، ثم قال لي، وقد رفع كفه إلى مقرُبةٍ من فمه ونفخ فيها: «كلام الجرائد يذهب في الهواء. والمناشير على أعمدة القطار الكهربائي سيتكفل المطر بإزالتها. أمّا في الكتاب فإن الكلام يبقى».

لا بأس بالتصريح بهذا السرّ، فقد مر على مخالفتي هذه سبعة وثلاثون عاماً. . . لقد طبعت الكتاب من غير أن أحذف منه شيئاً.

١٩٨٠/١٢/٢٩ ١٩٨١/١/٢

سؤال لا يحتاج إلى جواب . .

أنا لا أحب أن أتكلم في السياسة، لأن الكلام في السياسة لا يفيد. والدليل على ذلك ما يقوله رجال السياسة عندنا في الصحف والراديو والتلفزيون من الحُوار والوفاق والسلام، ووو. . . والنتيجة ما نراه. إن رجال السياسة عادة ـ في كل مكان ـ يقولون ما لا يعنون. من أجل ذلك يقال في «علم السياسة»: إن اللغة لستر أفكار السياسي لا لإيضاحها.

في لبنان اليوم ـ وفي أثناء هذا القتال الدائر ـ نفر وجماعات يطلُبون المجيء بقوات دولية لإعادة السلام الى البلد . لا اعتراض لي على ذلك. وإذا كانت القوات الدولية (من نيجيريا وسنغافورة والسنكال والصومال أو من الدنمرك والمكسيك ونيكاراغوا) قادرة على أن تُقِرَّ السلام بين اللبنانيين، فأهلا وسهلاً ومرحبا بها.

ولكنّ هنالك سؤالاً واحداً: في جنوب لبنان قوات دولية منذ عشرين سنة أو تزيد، والسلام ليس له في الجنوب وجود. فما الفائدة من وجود قوات دولية في الشمال؟

قلت: إن سؤالي لا يحتاج إلى جواب، ذلك لأني أوردتُ قبل بضعة أسطر تعريف اللغة في علم السياسة: اللغة تستخدم لستر أفكار السياسي لا لإيضاحها.

٨١/٤/٥ — ١٩٨١/٤/١١

السمن والعسل

إذا أنا نظرت إلى حياتي في المقاصد (منذ ١٩٢٩) بالعين التي ينظر بها عامة الناس والموظفون منهم في سلك التعليم، لم أرحياتيَ من سمن وعسل. ولكن إذا أنا نظرت إليها بعيني أنا وبالعين التي تميز (بفتح وكسر بلا تشديد) الصحيح من غيره، فإن حياتي كلها كانت (في المقاصد) سمناً وعسلاً وقمحاً وماء ولؤلؤاً وذهباً.

حينما تكون في مؤسسة مدة تشهد في أثنائها خمسة رؤساءَ وعشرات المديرين ومئات الأعضاء وألوف المعلمين وعشرات ألوف التلاميذ ومئات ألوفهم، فليس من المعقول ولا من المنتظر أن تكون آراؤك وآراء هؤلاء في كل شيء واحدة ولا تعجب إذا قلت لك إن هذا الاختلاف كان يصل أحياناً إلى حدود فاصلة في أحد الملفات عندي رسالة منها هذه الأسطر.

«وسواء وقعتم الارتباط الحالي أم لم توقعوه، فالسنة المدرسية الحالية تنتهي في نهاية شهر أيلول ١٩٥٦ .وللجمعية عندها ملء الحق في تجديد التعاقد معكم أو عدمه.. (التاريخ): ١٩٥٥/١٢/٢٢، (العدد): ٢٤٧٢، (الامضاء): أنيس النصولي، رئيس لجنة المدارس».

لا فائدة من أن أخبرك بمناسبة هذه الرسالة، لأن السبب الصحيح شيء آخر. كان الأمر متعلقاً بنشاط المعلمين. كانوا يعتقدون أن قانون المعلمين سيحمّل الجمعية أعباء مالية باهظة. ذهبت مرة إلى الأستاذ أنيس النصولي فجعل يجادلني في الرواتب الجديدة ويعاتبني. فقلت له: ليست ميزانية الجمعية أمامي، ولكني سأسرد عليك هذه الأرقام من ذاكرتي: تدفع الجمعية لفلان كذا (وحقه في القانون أقل من ذلك) وتدفع الجمعية راتب فلان كذا... حتى جمعت له مبلغاً ضخماً يمكن الجمعية أن توفره لو طبقت القانون على معلميها.

ثم زاد هذا الاختلاف لما صدر قانون التعويضات، وكنت أنا من أعضاء النقابة الذين أصروا على أن يكون الصرف من الخدمة بقانون واضح وأن تتحمل الدولة تعويضات الصرف. فقلت لأحدهم: حسبتك ستسر من ذلك، فإن تعويضات الصرف من الخدمة تؤلف مبالغ كبيرة تنوء بها ميزانية كل مدرسة خاصة . ولكن جوابه لي كان: «بذلك يفلت المعلم من يدنا» (لأن تعويض الصرف، إذا كان من المدرسة، فالمدرسة تستطيع أن «تعامل» المعلم كما تريد هي - ولو أدى ذلك إلى اثقال ميزانية المدرسة بمبالغ كبيرة).

لما صححت الرواتب بحسب القانون أرسلت الجمعية إلى الأساتذة إعلاماً برواتبهم الجديدة. ونظرت إلى راتبي فوجدته يزيد مائة ليرة. ذهبت إلى أمين الصندوق (سعد الدين جمال الدين، رحمه الله) وقلت له: هذا الراتب يزيد عما يقره القانون، ودللته على موضع الخطأ. لقد حسب أمين الصندوق راتبي على أساس «شهادة الدكتوراه» منذ ارتباطي مع الجمعية (عام ١٩٢٩)، بينما أنا قد نلت الدكتوراه عام ١٩٣٧ . فحسبان الراتب على الشهادة يجب أن يبدأ من عام سبعة وثلاثين لا من عام تسعة وعشرين. فقال لي السيد سعد الدين، كذلك عاملنا فلاناً وفلاناً، وأحد هؤلاء جاء إلى التعليم في المقاصد عام ١٩٢٢ ونال شهادة الدكتوراه عام ١٩٤٦ أو بعد ذلك.

فقلت له: هذا يجوز لكم، فإن الراتب المقرر في القانون هو الحد الأدنى، ويجوز لكل مؤسسة أن تدفع لمعلميها ما تشاء من الزيادة فوق هذا الحد الأدنى. أما أنا - وقد اشتركت في وضع القانون (مع نفر من أعضاء نقابة المعلّمين) ثمّ دافعت عنه (برفقة زميلي الدكتور موسى سليمان) في اللجنة القضائية اللبنانية، فلا يجوز لي أن أتناول إلا ما يقره القانون من الحد الأدنى، حتى إذا احتكم إليّ معلم في أمر راتبه استطعت إن أبدي في ذلك رأياً حراً.

أريد أن تعرف ما كلفني هذا الرأي. لقد بلغت السن القانونية بعد تلك الحادثة بعشرين سنة. وسأفرض أن راتبي في عشرين سنة لم يتبدل، فمعنى ذلك

أنني قد أضعت أربعة وعشرين ألف ليرة (في مائتي وأربعين شهراً) ثم خمسة وسبعين ألفَ ليرة في تعويض انتهاء مدة الخدمة في الملاك.

كان بإمكاني في ذلك الحين أن أسكت فلا يضيع علي مائة ألف ليرة، ولكن كان يضيع علي حرية الحكم في الأمور أو ـ إذا أنا حكمت حكماً حراً ـ لا يسمع قولي في مثل ذلك الحكم.

١٩٨١/٩/٦ ١٩٨١/١٠/١٧

ذاك شوقي ما قُلْتُ فيه بظَنٍ، إنّما قُلْتُ فيه بالإيقانِ.
كان في مِصْرَ مَفْرِقانِ وتاجا نِ وأُفُقٌ في ظِلّهِ عرشانِ:
قُبّةٌ تَنْزِلُ المُلوكُ إلَيْها كالدّراري وكَرْمَةٌ لابنِ هاني.

١٩٣٢

الحُوار المُجدي

هذه القطعة ليست، عند التحقيق، من غبار السنين. إنها لا تنفض شيئاً من غبار الزمن، ولكنها تنفض أشياءَ كثيرةً من غبار هذا الوطن.

منذ أعوام كثيرة، أو منذ سبع سنوات على الأقل ـ ولنسم الأشياء بأسمائها ـ يتظاهر اللبنانيون بالدعوة إلى الحوار. فما دام في هذا الوطن، لبنان، عصبيات كثيرة، فلا يمكن أن تحيا هذه العصبيات المختلفة (كيلا أقول المتناقضة) حياة هادئة سليمة إلا بعد الاتفاق على قدر من الوفاق والتفاهم. ولا شك في أن الحوار يمكن أن ينتهي بالمتحاورين أحياناً إلى شيء من حسن الجوار.

فمنذ سبع سنوات يتداعى اللبنانيون إلى إقامة حوارٍ: المسلمون يدعون إلى مثل هذا الحوار، والنصارى يدعون إلى مثل هذا الحوار. والزعماء والرؤساء والمتطرفون يميناً والمتطرفون يساراً والمعتدلون وسطاً، والناصحون من العرب الآخرين ومن الافرنج يحثون الأنصار منا والخصوم على البدء بهذا الحوار.

ونشهد، في الفَينة بعد الفينة، على صفحة «المرياء» نفراً من كبار القوم يجلسون ويتحاورون. ولكنهم لا يتحاورون الحوار المطلوب، أيِ الحوارَ المجدي. وسبب ذلك أن كل واحد من هؤلاء لم يأت ليحاور عن قومه، بل جاء ليعرض نماذج من آرائه: تلك الآراء التي نسمعها في أوقات مختلفة في معان مختلفة ومَبانٍ مختلفة، وكأن كل محاور من هؤلاء وهؤلاء قد نسي اليوم ما قاله بالأمس.

وهذا الحوار لم يصل بالمتحاورين إلى نتيجة.

وأخيراً جاء رجل فبدأ حواراً صحيحاً ـ مع أنه لم يقصد أن يبدأ حواراً ـ وما دام هنالك رجل قد بدأ حواراً صحيحاً بعد أن وضع له قاعدة (وهذا هو المهم في

كل وجه من وجوه الحوار)، فقد أصبح عمله ذلك دعوة واضحة إلى الذين يريدون أن يتحاوروا حواراً نافعاً.

في مساء ٢٢/٤/٨١ (الثاني والعشرين من نيسان من هذا العام) ظهر في «المرياء» جوزف أبو خاطر ـ وهو المحامي والسياسي والعامل في جمع الصفوف، ثم عمل سفيراً وتولى في هذا الوطن مراراً وزيراً ـ وقال، في معرض الكلام على معالجة الأحوال الحاضرة: لا يجوز في مثل هذه الأحوال أن يختلف الباحثون على «المناصب والمغانم» (هاتان الكلمتان من كلامه).

هذا أساس صحيح واضح للحوار:

لا يجوز لأحد الجانبين ـ عند البحث في شؤون الوطن العامة ـ أن يتطرق إلى شؤون خاصة من حظ أهل جانبه في المناصب والمغانم.

هنا يبدأ الحوار:

لا يجوز أيضاً أن يفترض أحد الجانبين أن الرئاسة الفلانية له وأن القيادة الفلانية من حقه (عُرفاً على الأقل) أو أن المنصِبَ في الأمر الفلاني له.

ثم لا يجوز في معنى الوطن أن يكون في أحد الجانبين موظفون من أحد الجانبين فقط، بينما يكون الموظفون في الجانب الآخر من الجانبين معاً.

وكيلا نضيع نحن والقارىء في مثل هذه الإشارات أضع للحوار المجدي هذه الأسس (والذي أعتقده أنْ لا مخالف لي في ذلك. وإذا كان أحد يرى أن هذه الأسس التالية غير صالحة، فهذه صفحات الصحف مفتوحة لإعلان الآراء):

- جميع المواطنين متساوون في الحقوق والواجبات.
- جميع المناطق مفتوحة لجميع المواطنين.
- جميع المناصب في الدولة حق لجميع المواطنين إذا تساوَوا في الأهلية.
- جميع المناطق يجب أن تنال من عناية الدولة قدراً واحداً.
- ليس في الوطن امتيازات خاصة بجماعة دون جماعة.

ـ من العدل أن تنال كل جماعة من المناصب والمنافع (قدراً ونوعاً) ما تستحقه كثرتها العددية (فإن ذلك من الديموقراطية).

ـ يجب أن يكون الحكم في لبنان واضحاً: غير فاعل وغير مسؤول (كالنظام الملكي في بريطانية)، أو فاعلاً ومسؤولاً (كالنظام الرئاسي في الولايات المتحدة).

ـ لجميع ربوع الوطن حرمة واحدة: لا يجوز إذا حدث قصف مرة على الشرق (مثلاً) أن تقوم الأرض ثم لا تقعد، أما إذا كان القصف على الجنوب (مثلا)، يوماً بعد يوم وأسبوعاً بعد أسبوع وشهراً بعد شهر وعاماً بعد عام، فلا يسمع صوت من الغرب ولا من الشرق.

أنا أُوَقِّعُ هذه الأسس، وغيرَها من مثلها أيضاً، فهل من محاور يوقع عليها، وحينئذ لا يبقى حاجة إلى حوار. إن القَبول بهذه الأُسُس ـ ما دامت هذه الأسس من حق الفريقين المتحاورين على السواء ـ يعني أن لا فضل لشرق على غرب ولا لغرب على شرق، ولا آمتيازات لأحد دون أحد، ولا ضمانات من أحد لأحد. إن مثل هذه المطالب لا تكون بين المواطنين ولا بين الأصدقاء والأحباب.

١٩٨١/٥/٤ ١٩٨١/٥/٩

متى يترك ابن رشد العلم؟

ابن رشد (ت ٥٩٥ هـ = ١١٩٨ م) فيلسوف العصور الوسطى في الشرق والغرب وفي الإسلام والنصرانية، قال مرة: ما تركت العلم والمطالعة والتأليف منذ عقَلت (منذ أدركت وأصبحت قادراً على فهم ما يقال) إلا في يومين: يوم زَواجي ويوم وفاة والدي».

كان ابن رشد ينظر في ذلك إلى حقيقة الحياة الإنسانية، وكان فيما قال أميناً مخلصاً. ويبدو أن هذا الرأي ليس رأي الكثيرين من الناس. في أيامنا هذه تكثر الدواعي إلى الاحتفال بالأحداث الكبرى في تاريخنا. وأول ما نفكر فيه في يوم الاحتفال أو في يوم الذكرى إغلاق المدارس:

اليوم ذكرى مولد فلان، اليوم ذكرى موت فلان، اليوم ذكرى المصيبة الفلانية واليوم ذكرى الفرحة الفلانية. ومصائبنا لا نهاية لها. وأفراحنا الموهومة لا نهاية لها أيضاً. وفي كل مرة تغلق المدارس آحتفالاً بالمصيبة أو بالفرحة.

أما دكاكين الفلبيرز، أما دور السنما، أما البارات والحانات والكازينات فهذه تبقى طول النهار وطول الليالي مُشرَعةَ الأبواب.

وحينما نطلق الأطفال والأولاد من صفوف المدرسة في ذكرى «استقلال مونتي نيغرو»، فإن التلميذ الصغير يخرج من باب المدرسة إلى دكان الفليبرز المجاور للمدرسة أو إلى أقرب دار للسينما. وحسبنا نحن «الكبار» أنّنا أغلقنا المدارس فرحاً بذكرى استقلال البرازيل أو كوريا الجنوبية أو الشمالية.

إن الاستعمار يصفق فرحاً ـ فرحاً حقيقياً ـ كلما أضاع العرب يوماً من أيام العلم، لأن كل يوم ضائع من أيام العلم يؤخر رقي العرب عشرين سنة.

ليس للعرب رقي إلا بالعلم وبالعلم الحقيقي الصحيح المفيد. وإذا كانت المدارس تعلم خمس ساعات في الأيام العادية، فأنا أقترح أن تعلم المدارس عشر ساعات في أيام الأعياد، حتى في يوم عيد الفطر، وفي يوم عيد الأضحى، وفي ذكرى المولد النبوي الشريف.

هذا إذا أراد العرب، أو القائمون على أمور العرب، أن يرتقي العرب أو أن يصبح العرب شيئاً في ميزان الحياة السياسية أو في ميزان الحياة الإجتماعية.

٨١/١/١٦ ١٩٨١/١/٣١

لمحات: من شكسبير

أنـــا إنْ أخْفَتَ الـحِمـــامُ فُـؤادي	وخَلَعْتُ الحيــاةَ عـن مَنْكِبَيَّــا،
لا تَـدَعْ زهرةً على النَّعْشِ فـوقي	قـد كَساهـا الـربيـعُ زَهْـواً ورِيَّـا،
لا ولا صــاحبــاً يَمُـرَّ بِقُـربي.	حَسْبَـه مـا بكى وقـد كُنتُ حَيّـا.
ألـقِنـي حيـثُ لا يَـراني مُـحِـبٌّ	عــاثـرٌ في الهــوى فيبكي عليّـا.

١٩٣٠

إتحاد الشبيبة الإسلامية والاشتغال بالسياسة

١٩٣٨ أصبحت عضواً في جمعيّة آتحاد الشبيبة الإسلامية (بيروت) وهي جمعيّة اجتماعية «تعمل في الحقل السياسي» (ولكنّها ليست جمعيّة سياسيّة). إنها تبحث في شؤون المسلمين من جميع النواحي، ولكنْ لا يجوز لأحد من أعضائها أن يقبل مَنصِباً سياسياً.

* قبل عام ١٩٣٨ كان جميل بيهم (ت ١٩٧٨) رئيساً للجمعيّة. وكانت الرئاسة عقدة في الجمعيّات (يريد كل رئيس أن يكونَ حَلُّها له وحدَه بِحَسْبِ ما يرغب). آقترحت أنا أن يكونَ للجمعية «مديرٌ مسؤول» يمثّل الجمعيّة لدى السلطة وينفّذ المقرّرات التي يتّخذها الأعضاء في الجلسات. أمّا رئاسة الجلسة فتكون بالدور بين الأعضاء (ويحقّ للمدير المسؤول أن يترأس الجلسات مرّة بعد مرّة، ولكن لأنّه عضو من أعضاء الجمعيّة، لا لأنّه مديرها المسؤول). ومنذ ذلك الحين أصبح الدكتور محمد كنيعو «المدير المسؤول» لجمعية آتحاد الشبيبة.

* كان لجمعيّة اتّحاد الشبيبة الإسلامية اليدُ الطولى في تأليف الوزارة الأولى (عام ١٩٤٣) في عهد الاستقلال. كانتِ المنافسة شديدةً بين أربعة أشخاص: سامي الصلح وآبن عمّهِ رياض الصلح وعبدالله اليافي ومحيي الدين النصولي. جمعناهم معَ آخرين في نادي الجمعيّة (وكان بناء لجمعيّة المقاصد، في سوق الخضار، شمال شرق بناء المالية: المالية التي كانت في أول شارع فوش). وبعد أن تعذّر جمعهم على رأي واحد، جمعهم حسين سجعان (مدّ الله في حياته) في غرفة جانبيّة وأسمَعَهم كَلِمات حَمَلَتْهُمْ على أن يُجمعوا على واحدٍ منهم (رياض الصلح).

* ثمّ إنّ جمعيّة اتّحاد الشبيبة تطوّرت إلى «المجلس الإسلامي» (لأنّ أعضاء الجمعيّة هم الذين أصبحوا أعضاء المجلس) مَع تبديل يسير. وكان في قانون المجلس الإسلامي أنّه لا يجوز لعضو من أعضائه أن يقبل مَنصِباً سياسيّاً. وإذا ظهر أن هذا المَنصِب ضروريٌّ للأمّة، فيجب حينَئِذٍ أن تكون الموافقة على ذلك بالاجماع. وفي عام ١٩٦٤ (فيما أذكُر) عُرِض على حسين العويني رئاسةُ الوزارة (وكان رئيساً للمجلس الإسلامي). لم يكن بدّ من أخذ الموافقة على ذلك بالإجماع. صوّتت أنا ضدّ الاقتراح. وحاول نفر من إخواني إقناعي بالموافقة، فلم أقنَعْ (كنت أعتقدُ أن ذلك ليس في صالح الأمّة، وأنّ صالحَ الأمّة في غير ذلك). ولّما أصرَّ نفرٌ من إخواني على رأيهم، حلَلْتُ لهم المشكلة بأنْ أُغادرُ أنا الجلسة ثمّ يعاد التصويت فينجح الاقتراعُ بإجماع الأعضاء الحاضرين. من ذلك الحين «دخل المجلس الإسلامي في السياسة المحلّية» وخَسِرَ قُدرته على «مراقبةِ المجرى السياسي في البلد». ثمّ رأيت أنا أنْ أستَعْفِيَ من المجلس، لأنّني لا أرى أن أعمل في حقول السياسة المفلوحة بكلّ آلة والمزروعة بكلّ أنواع النبات.

- ١٩٣٨ - ١٩٤١ أصدرت مع نفر من الزملاء والأصدقاء مجلّةِ «الأمالي» (أسبوعيةً ثقافيةً) ثمّ وَقَفْتُها عن الصُّدور لأنّ جميعَ أمورها أصبحت متعلّقةً بي وحدي، ولأنّها كانت قد بدأت تمَنعني من نَشاطي الصحيح في التعليم وفي التأليف وتحاول زَجّي في تيّار السياسة.

آخر ما كتبه الراحل الكبير

شبه المقدَّمة للتراث الإسلاميّ*

هنـا نص أخير كتبـه الدكتـور عمـر فـروخ (١٩٠٦ ـ ١٩٨٧) لمجلة « الباحث » (في بيروت) ، التي عهد إليه في الإشـراف عليها مـع الدكتـور علي زيعور . كتبه لعددها الجديد الذي صدر أمس .

بقلم
الدكتور عمر فروخ

للتراث الإسلامي ـ كما لكل تراث آخر لـلأمم المختلفة : للمصـريين القدماء والبابليين والهنود والصينيين ثم للإنكليز والألمـان والفرنسيين ـ وجـوه كثيرة من المستحيل أن يحيط بهـا الباحث في كتـاب واحد مبسط فضـلاً عن مقـال واحد مـوجز . فـلا بد من قصـر موضـوع البحث في هذا المقـال على جانب واحد معين واضح المعالم . ولقـد اخترت أن أتنـاول في هذا المقـال « طبيعة التراث ونشأته وتـطوره » إلى جانب العنصـر الأساسي فيـه « توارثـه » (إنتقاله من الأسلاف إلى الأجيال اللاحقة بلا انقضاء) ، إذ بغير ذلك البقـاء المستمر لا تكون خصائص الأمم تراثـاً . « التراث » هـو الإرث . من الجذر « ورث » . وكان في الجاهلية يطلق على الأشياء المادية التي يتنازعها الأفراد من مخلفات ذوي قرباهم . وعلى هذا جاء قول الله تعالى في القرآن الكريم (٨٩ : ١٩ ، سورة الفجر) : « وتأكلون التراث أكلاً لماً (شديداً) وتحبـون المال حباً جماً » .

ذلك كان الجانب المادي من التراث ، ثم يأتي الجانب المعنوي وفيـه

---

* النهار ١٩٨٧/١١/٩ .

« بقاء ما يرثه قوم عن أسلافهم ثم استمرار هذا الذي ورثوه فيهم » . وبغير هذا البقاء والدوام لا يكون الموروث تراثاً . ففي تاج العروس (الكويت ٥ : ٢٨٢ ـ ٢٨٣) : المجد ـ وهو وجه من وجوه التراث ـ متوارث في القوم يتوارثونه كابراً عن كابر أو جيلاً بعد جيل . وقد تنبه الشاعر الحطيئة (ت ٣٠ هـ = ٦٥١ م) إلى هذا الفرق لما قال :

فإن تك ذا عزٍ حديث ، فإنهم   لهم إرث مجدٍ لم تخنه زوافره

والزوافر جمع زافرة أو زفر (بكسر فسكون) أو زفر (بضم ففتح) : الجماعة من الناس . وقوم الرجل ثم الرجل السيد الكبير في قومه لأنه يحمل عنهم الحمالات (جمع حمالة بالفتح) : الدية التي يحملها قوم عن قوم (القاموس المحيط ، مصر ، المطبعة الحسينية المصرية ١٣٣٢ هـ ١٩١٣ م ، ٣ : ٣٦٢ ، السطر الأول) ، أو يحملها سيد القوم عن قومه .

غير أن هذا الاستعمال الذي يجعل « الزافرة » قوماً أي مجموعاً من الناس أو يجعله رجلاً سيداً في قومه ـ قديراً ـ إنما هو إستعمال مجازي . أما الزافرة على الحقيقة فهي « ركن البناء » الذي يعتمد البناء عليه (تاج العروس ١١ : ٤٣٤ ، العمود الأول ، السطر ١٥) .

وبعد ، فما التراث في مصطلح التاريخ وفي الحياة الحضارية ؟ التراث في الاصطلاح التاريخي هو الجانب الثقافي (المعنوي) . الثابت من الحياة الإنسانية ـ بالإضافة (بالنسبة) إلى الجانب الحضاري (المادي العملي) المتبدل بحسب الحاجات الآتية للأفراد والجماعات . أي أنه ، أي التراث ، مجموع الخصائص الفكرية والنفسية التي تنشأ ثم تنمو بالتلقين (بالتعليم) وبالقدوة (بالتقليد) وبالتمرين في أمة من الأمم ، كما نقول تجاوزاً وتساهلاً : التراث اليوناني أو التراث الإسلامي . ثم إن التراث يتوارثه البشر جيلاً عن جيل فيبقى متصلاً حياً في جميع أطوار الأمة . فإذا

غاب مظهر ما منه ـ في دور من أدوار تاريخ الأمة ـ من حياة أمة من الأمم ، فقد بطل أن يكون جزءاً من تراثها ـ حينئذٍ تعد تلك الأمة متخلفة في ذلك المظهر الذي غاب من حياتها .

والتراث يجمع اللغة والدين والفلسفة والعلم والأدب والفن والرسم والغناء واللهو البريء . ولا شك في أن هذه كلها تتطور في أثناء حياة الأمة بعوامل مختلفة داخلية في حياة الأمة نفسها وخارجية بالاحتكاك بالأمم المجاورة وبالأحداث الطارئة والحاجات المستجدة . والمفروض ـ في نطاق التراث ـ أن يكون هذا التطور نحو الأسمى والأفضل . وهذاما يعنينا في هذا البحث .

والتراث مدرك إنساني تشارك فيه الأمم . ولا يمكن أن يكون تراث أمة مقطوعاً عن مجموع التراث العام ولا أن يكون مفصولاً عن تراث الأمم المختلفة . ولعل أبرز الأمثلة في ذلك موقف الفيلسوف اليوناني ارسطبوس (نحو ٤٣٥ ق م ـ ٣٥٦ ق م) والشاعر العربي الجاهلي طرفة بن العبد (نحو ٦٢ قبل الهجرة ـ ٥٦٠ م) على ما بينهما من التباعد في المكان وفي الزمان (نحو سبع مائة وخمسين سنة) وفي الإتجاه في الحياة (أولهما فيلسوف وثانيهما شاعر) . إن أرسطبوس كان يرى السعادة في اللذة الراهنة (الحاضرة) العاجلة (من غير تفكير فيما يمكن أن يعقبها من النتائج الحسنة أو السيئة) . وقد قال طرفة في مثل ذلك أيضاً :

ولولا ثلاث هن من لذة الفتى   وجدك ، لم أحفل متى قام عودي
فذرني أروي هامتي في حياتها   ستعلم أن متنا غداً أينا الصدي

لا عجب في ذلك فإن العقول الكبيرة تتجه في التفكير إتجاهاً واحداً أو متقارباً .

وكل تراث في أمة فإنه في الحقيقة جزء من التراث العام أو متطور من تراث أمة أخرى ، بزيادة في عدد من وجوهه أو بالتحسين في عدد من

وجوهه (وهذا الآن خارج عن نطاق البحث في التراث الإسلامي أو في التراث في الإسلام) .

في الإسلام

ونأتي الآن إلى وجوه التراث في الإسلام :

١ ـ إن أحسن الأمثلة على التراث في الإسلام « اللغة العربية » . إنها قد اتسعت في أوجهها من غير أن تتبدل أو تنحدر عن فصاحتها . إن العربي (والعربي معناها المسلم في الاستعمال المألوف) يتكلم اللغة التي كان الجاهلي قبل خمسة عشر قرناً أو تزيد ينظم فيها الشعر . تأمل قول عنترة : يخاطب حبيبته عبلة :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل　　مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها　　لمعت بارق ثغرك المتبسم

أما اليوناني فإنه لا يعرف اليوم لغة هوميروس ، وإن الإيطالي لا يعرف لغة يوليوس قيصر ، وإن الإنكليزي لا صلة له باللغة التي تكلمها أسلافه من قبل وليم الفاتح (عام ١٠٦٦ للميلاد : ٤٥٨ هـ) ، في أيام الإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ ـ ١١١١ م) .

واللغة العربية لا يزال لها صرفها ونحوها الكاملان وبلاغتها وعروضها (بفتح العين : قواعد نظم الشعر) . واستطاعت اللغة العربية أن تتناول ألفاظاً من لغات أجنبية فتتمثلها (تجعلها تبدو كأنها عربية خالصة) : فردوس (يونانية : باراثيوس) ـ دينار (لاتينية : ديناريوس) ـ فيل (هندية : بيل بباء بثلاث نقط من تحتها) ـ بستان (فارسية : بوستان ـ مكان الزهر أو الفاكهة) .

٢ ـ الدين : في الدين جانبان : إيمان وشريعة . أما الإيمان فهو الأساس

في الإعتقاد ، وهو من عمل القلب (بين الإنسان والله) فلا يدخل فيه التبديل . ومع ذلك فإن جماعات بدلوا في مدرك الإيمان فأصبحوا فرقاً بعيدة (لا تدخل معالجتها في نطاق هذا البحث) .

وأما الشريعة فهي المنهج الذي خطه الدين للحياة الاجتماعية أو هي الأحكام التي يتعايش بها الناس في حياتهم . ففي الزكاة مثلاً ـ وهي من أركان الإسلام ـ الغاية منها نفع الناس ، لأن الله تعالى « غني عن العالمين » . والزكاة تعطى بحسب النص إلى ثمانية أصناف من الناس . من هذه الأصناف « المؤلفة قلوبهم » (من المسلمين الداخلين حديثاً في الإسلام تثبيتاً لقلوبهم على الإيمان) إلى غير المسلمين (ممن يخشى شرهم على الإسلام والمسلمين) . غير أن عمر بن الخطاب قد علق العمل بهذا الصنف وقال :

كانت الحاجة ضرورية لإعطاء هذا الصنف من الناس من الزكاة يوم كان الإسلام لا يزال ضعيفاً . أما الآن فقد قوي الإسلام ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .

وجاء الفقهاء الكبار العالمون ففرعوا المذاهب (والمذهب في الأصل رأي للفقيه ، كما أن لكل مسلم عاقل عالم رأيه في أحكام الدين ، وليس لأحد أن يجبر أحداً آخر ، على العمل برأيه هو) .

غير أن الفقهاء الكبار أرادوا أن يسهلوا على الناس وجوه حياتهم فكانت القاعدة : لا ينكر تغير الإحكام بتغير الأزمان (المادة التاسعة والثلاثون من مجلة الأحكام العدلية) ، استناداً إلى القواعد الشرعية : الأمور بمقاصدها (المادة الثانية) ـ العبرة في العقود للمقاصد والمعاني لا للألفاظ والمباني (المادة الثالثة) ـ الضرورات تبيح المحظورات (المادة الواحدة والعشرون) .

ثم تأتي القاعدة : « المشقة تجلب التيسير » (المادة السابعة عشر)

وهي مقتبسة من الآية الكريمة (القرآن الكريم ٢ : ١٥٨ ، سورة البقرة) : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » . والأمثلة على هذا التيسير قصر الصلاة فـ (تخفيف ركعاتها) في السفر والخوف (الحرب) ثم الفطر في المرض وفي السفر (مع الرجوع إلى صيام ما أفطر المريض والمسافر من الأيام) . وربما أعفي المريض من الصيام مقابل فدية تقدر بمقدار ثروة المفطر . ولا شك في أن انتفاع الفقير بفدية تمكنه من التغلب على مشقات حياته أفضل من أن يلحق المريض ضرر من صيامه أياماً لا يطيق صيامها .

والحج من أركان الإسلام الخمسة ، ولكنه لا يجب إلا مع الأمن التام والقدرة الجسدية والمالية . فالإسلام لا يقصد تعذيب النفس بالعبادة (كما نجد في الديانات القديمة كلها) بل أراد أن تكون العبادات تهذيباً للنفس أو نفعاً لبني الإنسان .

التوحيد

ولا بد من كلمة في التوحيد . والتوحيد في الإسلام هو التوحيد الصحيح : إن الله واحد في العدد وإن الله ليس كمثله شيء : لا يشبه أحداً من خلقه ، ولا يشبهه أحد من خلقه . وإذا نحن تأملنا الديانات القديمة كلها لم نجد فيها توحيداً . إن الله عند أصحاب الديانات التي جاءت قبل الإسلام أنسان يتمتع بصفات خرافية .

ـ في التوراة (التي في أيدي الناس) : إن الله نزل إلى مدينة بابل ليرى ما يفعل أهلها (كأن الله لا يعرف شيئاً إلا إذا رآه كما يراه البشر) .

ـ وفي النصرانية الكنسية أن عيسى ابن الله (في المذهب الأرثوذكسي) وإنه الله بالذات (في الكاثوليكية ـ والكاثوليك يسمون الكاثوليكية ديناً لا مذهباً) . وهم كلهم يزعمون أن الله (المسيح) صلب وقتل ثم قام من القبر بعد ثلاثة أيام . وهذا الذي يروى عن المسيح في

الكتب الكنسية يُروى عن أشخاص عند المصريين القدماء وعند الهنود وعند الفرس . وفي القرآن الكريم قول الحق في عيسى المسيح بن مريم .

٣ ـ الفلسفة : إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي دعا الإنسان إلى التفكير في كل شيء حوله ، وفيما هو بعيد عنه أيضاً ـ في خلق السماوات والأرض (القرآن الكريم ٣ : ١٩١ ، سورة آل عمران) . وقد نتج من ذلك أن المسلمين تناولوا الفكر الفلسفي من الأمم السابقة فتوسعوا فيه وأصلحوا منه ما كان فاسداً وزادوا عليه ثم وهبوا جهودهم هذه للناس جميعاً . ولم تهتد الشعوب الحديثة بهدي العقل إلا بعد أن استناروا بنور فلاسفة الإسلام. وبينما كانت في الفلسفة عدوة للدين عند النصارى كانت في الإسلام كما يقول ابن رشد (ت ٥٩٥ هـ) « صاحبة الشريعة والأخت الرضيعة » .

من أجل ذلك انفتح العقل في الإسلام على أشياء لم يكن العقل القديم (إلا عند اليونان) متفتحاً عليها .

٤ ـ في أسس المجتمع ـ قبل الإسلام كان أصحاب الديانات يعتقدون أن الإنسان وُلد نجساً مذنباً يحمل الذنب الذي كان آدم أبو البشر قد ارتكبه . ولا يزال الأمر في النصرانية على هذا . أما في الإسلام فإن الله « كرم بني آدم » (١٧ : ٧٠ ، سورة الإسراء) . وفي الإسلام لا يسأل الإنسان إلا عن ذنبه هو : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » (٦ : ١٦٤ ، سورة الانعام ، إلخ) .

والإسلام أقر أسس الدولة حتى يصلح الناس وتصلح الحياة ثم أقام الدولة حتى يصلح الناس وتصلح الحياة ثم أقام الدولة على الحق والعدل : « وأمرهم شورى بينهم » (٤٢ : ٣٨ ، سورة الشورى) . ثم جعل رئيس الدولة مسؤولاً عن الموظفين الذين هم تحت يده لأنه هو الذي عينهم في مناصبهم . قال الله تعالى (٤ : ٥٨ ، سورة النساء) : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » . ويكون ذلك بأن يُعين صاحب الدولة الرجل الكفؤ في المنصب الملائم ،

وإلا كان هو المسؤول عن أخطاء ذلك الـذي عينه في منصبه . ونعلم مُؤدى هذه الآية من قول محمد رسـول الله ـ لما طلب أبـو ذر الغفاري منه أن يعينه في منصب ـ فقـال له رسـول الله : يـا أبـا ذر ، إنـك رجـل ضعيف ، وإنهـا أمانة . . . (أو كما قال) . وكـذلك قـال عمر بن الخـطاب : « لو أن نعجـة عثرت بجانب الفرات لكان عمر مسؤولاً عنها » .

ـ ومن المؤسف أن تكـون البلاد الإسـلامية اليـوم ـ وكان بعضهـا قبل اليوم ـ متخلفاً في مدرك الدولة عما جاء في الإسلام . والسياسة اليـوم ليست من التراث الإسلامي .

وليس في الإنجيل مدرك للدولة ، ففي إنجيل يوحنا (١٨ : ٣٦) قول منسوب للمسيح « مملكتي ليست من هذا العالم » .

٥ ـ العلم مطلقاً . كان قبل الإسلام (حاشا عند اليونان) قـاصراً على كهنـة الدين يكتمـونه عن النـاس . لم يكن العلم ـ بهـذا النـظر ـ من تـراث الأمم . أما الإسلام فقد مدح العلم وحث عليه :

ـ « وأنـزل عليك الكتـاب والحكمة وعلمـك ما لم تكن تعلم . وكـان فضل الله عليك عظيماً » (٤ : ١١٣ ، سورة النساء) .

ـ « قل : هل يستـوي الذي يعلمـون والذين لا يعلمـون ؟ إنما يتـذكر أولو الألباب » (٣٩ : ٩ ، سورة الزمر) .

فإذا نحن نظرنا في العلم بجميع فنونه وفـروعه أدركنـا أنه كـان التراث الثابت المستمر في الإسلام منذ جاء الإسلام . فإن السورة الأولى التي نزلت من القرآن الكريم هي السورة السادسة والتسعون . في المصحف .

« أقرأ باسم ربـك الذي خلق * خلق الإنسـان من علق * أقرأ وربـك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم . » . . .

٦ ـ العلم التـطبيقي . وكـذلـك حث الإسـلام على معـرفـة العلوم

التطبيقية من الحساب والفلك والطبيعيات والطب ، مما ترى عليه شواهد كثيرة في القرآن الكريم . فما أن انطلق العرب بالفتوح في العالم ثم اطلعوا على ما كان عند الأمم المجاورة من فروع العلم حتى أخذوا تلك الفروع من العلم واشتغلوا بها . ومع أن العرب خاصة والمسلمين عامة قد خسروا قوتهم السياسية والعسكرية في العصور الحديثة ، فإنهم لم يتخلوا عن رسالة العلم . ومع أن نتاجهم العلمي قد انخفض إلى درك عميق ، فإن حبهم للعلم لم ينقص ، فاستمر العلم بفروعه تراثاً واضحاً في حياتهم الثقافية وإن قل أثره في حياتهم الاجتماعية .

الفن

٧ ـ الفن والفن أبرز وجوه التراث الإنساني في جميع الأمم ، حتى في الشعوب البدائية . إن غاية الفنان أن يحسن الطبيعة المألوفة ، فصورة الجبل على لوحة الفنان يجب أن تبدو أجمل من الجبل نفسه على سطح الأرض . والصوت في أثناء الغناء يجب أن يبدو أشجى من صوت المغني إذا تكلم هذا المغني مع نفر من الناس .

والشعوب الفطرية تعجز عن أن تحسن الطبيعة ، لضعف استعدادها وقلة ثقافتها ، فتحاول أن تشوه الطبيعة ، فتراها تصنع أقنعة غريبة وأشكالاً مشوهة ، فالجمال عندها أن تبدو صور الأشياء مختلفة عما تبدو عليه تلك الأشياء في بيئتها المألوفة .

لم يكن للعرب في الجاهلية ما يمكن أن يسمى فناً إلا الأدب الذي سيأتي الكلام عليه في المقطع التالي . ولكن لما انطلق العرب في العالم القديم وأبصروا ما كان عند الأمم من الفنون أخذوا ما كان منها موافقاً لأذواقهم مما ليس مخالفاً للتوحيد فقلدوه وزادوا هنا ونقصوا هناك ، وأنشأوا وجوهاً من « الفنون الجميلة » كان القدماء قد قصروا عنها .

ويعجز الإنسان أحياناً عن تحسين الثوب المألوف في بيئته ثم لا يرضى أن يلبس ثوباً مشوهاً فيصنع لنفسه ثوباً مختلفاً من الثوب المألوف ويعتقد أن هذا الاختلاف يميزه من غيره فيبرز للعيون أوضح صورة وادعى إلى لفت الأنظار .

ومظاهر التراث الفني في الإسلام كثيرة جداً ولعل أعجب ما عرفه البشر سرعة التطور في وجوه التراث « البناء في الإسلام » . إن العرب الذين خرجوا للفتح كانت الكثرة الغالبة منهم من نجد ، بدواً يسكنون الخيام . ومع ذلك فقد أنشأوا من فنون البناء في البلاد التي نزلوا فيها ما لم يكن لأهل الحضارات قبلهم مثله . لقد استبدلوا بالبناء الروماني المكعب الأصم (الذي لا نوافذ فيه) جدراناً رشيقة ذات نوافذ وأدراج . وفرشوا أرضها بالقيشاني (البلاط اللماع الملون بأنواع الزخرف) والفسيفساء (الصور المكونة من قطع صغيرة من البلاط الملون) ، كما جعلوا في أعلاها المقرنصات (الأشكال التي تتدلى من السقوف أو تكون في الزوايا) وبما أن صور البشر والحيوانات لم تكن مألوفة ـ اعتقاداً بأنها محرمة ، مع أن عدداً من الأبنية قد احتوى صوراً مختلفة ـ فإن التزيين في القصور اتجه نحو الأشكال العربيات (آرابسك) المؤلفة من أشكال هندسية وأغصان تتشابك . فأصبحت الأبنية التي كانت على هذا الشكل تراثاً للإسلام يأخذه نصارى أوروبة على أنه عربي أصيل بينما هو « معرب » مزيد فيه .

ومن الفنون التي أصبحت من تراث الإسلام النسيج والسجاد والتحف المزخرفة من الخزف والزجاج والعاج . والخشب ثم المنمنمات (الزخارف البالغة في الصغر) ، مما يدرك الناظر للوهلة الأولى أنه امام فن إسلامي رفيع .

بعدئذٍ تأتي الكتب المخطوطة بالخط الجميل الملون والمذهب والمزين بالأشكال والصور والمجلدة .

والغناء أيضاً أصبح في الإسلام من التراث البارع المشهور حتى احتاج منذ القرن الرابع للهجرة (العاشر للميلاد) تأليف كتب منها كتاب « الأغاني » لأبي الفرج الأصبهاني (ت ٣٥٦ هـ ـ ٩٦٧ م) . ويتبع الغناء أنواع من آلات العزف الصوتية والوترية والإنشاء والرقص .

ولا شك في أن هذه كلها لم تنشأ بغتة في الإسلام مقطوعة عن كل ما قبلها وما بعدها ، بل إن جميع هذه المظاهر من التراث تتفاعل مع ما يشبهها عند الأمم القريبة بالاحتكاك المستمر ثم مع الأمم البعيدة أيضاً بالتقليد حينما تسنح الفرص باللقاء .

الأدب

٨ ـ والأدب هو الوجه المشرق من تراث الأمة ، هو فيها نتاج أصيل لاتصاله باللغة التي هي أخص خصائص كل أمة . وتطور الأدب العربي لما انتقل العرب من الجاهلية الوثنية إلى التوحيد في الإسلام غابت منه مدارك (كالكلام في الثأر) وجدت فيه مدارك (كالبديعيات : مدح الرسول وكالكلام في الدين) .

ولما اتسعت الفتوح ودخلت الأمم في الإسلام بلغاتها وآدابها وثقافاتها اغتنى الأدب العربي بفنون (كالقصص) وبأغراض (كالتفصيل في الخمر وفي مجالس الخمر) وبأشكال من النظم (كالتخميس والتوشيح) ، ولكنه ظل عربياً مسلماً .

ويحسن أن نذكر أن الأدب العربي لم يتأثر بالآداب القليلة التي عاصرته . ولكن الأدب العربي ترك آثاراً كثيرة وعميقة في الآداب الأجنبية (في الأدب البيزنطي مثلاً) .

إن أبا فراس الحمداني (ت ٣٥٧ هـ ـ ٩٦٩ م) الذي قضى مدة أسيراً في بلاد الروم لم يتأثر شعره بالشعر البيزنطي . ولكن الشعر البيزنطي كان في

ذلك الحين يتأثر بالشعر العربي (ذلك لأن الشعر العربي كان أرقى من الشعر البيزنطي) .

ثم لا بد من القول بأن نفراً من الوشاحين المتأخرين كانوا أحياناً يتملحون بذكر ألفاظ أجنبية أو جمل أجنبية في موشحاتهم . ولكن ذلك لا يعني تأثراً في الموشح ، إذ الموشح كان قد استقر يومذاك شكلاً وفناً .

وكذلك لم يتأثر الأدب العربي بالمسرحية اليونانية مع أن العرب قد نقلوا العلم اليوناني والفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية ، ولكنهم لم ينقلوا شيئاً من الأدب لا شعراً ولا نثراً ، مع أن الأدب اليوناني القديم كان راقياً جداً ، وخصوصاً في المسرحية .

٩ ـ التاريخ والتاريخ حافظ تراث الأمة وحافظ حياة الأمة ، فإن الأمة التي لا تاريخ لها لا وجود لها .

وفي التاريخ جانبان : القصة (أو سرد حكايات متفرقة تسر الأذن لكن لا توجب حكماً) ، ثم أحداث متعانقة ترتبط بأسباب ونتائج متعانقة . وما دامت الأمة تعي تاريخها فإنها تظل موحدة . ربما أن التاريخ هو الذي يربط ماضي الأمة بحاضرها، فإنه يكون بهذا النظر، جامعاً لوجوه التراث كلها.

لم أتعرض في هذا المقال لمفردات المعارف الإسلامية في نطاق العلم والفلسفة ولا لأثر الإسلام في الأمم ، لأنني أحببت أن أستوفي الأسس التي يقوم عليها التراث في الأمة .

حقوق الإنسان في الإسلام في العدالة والقضاء*

ـ ١ ـ

هذا البحث للفقيد الدكتور عمر فروخ كان قد أعده ليطرح في المؤتمر السادس للفكر الإسلامي الذي سينعقد في طهران في أواخر كانون الثاني المقبل .

« السفير » تقدمه كوثيقة تنشر للمرة الأولى وتحت العنوان الذي وضعه له الكاتب .

* * *

المقصود بكلمة إنسان هنا « الفرد من الناس » كبيراً كان أو صغيراً ، غنياً أو فقيراً ، آمراً أو مأموراً ، قريباً أو غريباً ، موافقاً لنا في الدين أو مخالفاً . ثم إن النظر في إعطاء كل ذي حق حقه جاء ـ أول ما جاء ـ في الإسلام . قال الله تعالى (٤ : ٥٨ سورة النساء) : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس ، إن تحكموا بالعدل » .

لقد قال الله تعالى في هذه الآية الكريمة : أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ـ وإذا حكمتم بين الناس ، ولم يقل « إلى المؤمنين أو بين المؤمنين أو المسلمين » . أما الشرائع الوضعية القديمة فقد إنطلقت من مبدأين اثنين ومن قاعدة : أما المبدأ ان فهما :

حفظ حق المجموع في مقابل الفرد ثم حفظ حق الوالي (الأب ، الحاكم ، رئيس القبيلة ، رب العمل ، السيد) على المتولي عليه (المحكوم : الابن ، المواطن ، الشخص من أفراد القبيلة ، العامل العبد الرقيق) . فمن الأمثلة على ذلك في الشريعة السومرية والشريعة البابلية

---

* السفير ١٥/١١/١٩٨٧

(في حمل الذنب على غير المذنب) .

* إذا بنى بناء بيتاً ثم اتفق أن تهدم هذا البيت وقتل فيه ابن لصاحب هذا البيت ، قتل ابن للبناء ولم يقتل البناء .

* إذا قتل رجل سيد عبداً رقيقاً لرجل سيد آخر ، قتل أحد عبيد السيد القاتل لا الرجل السيد الذي قتل .

وأما القاعدة فهي التي تلي :

* إن المعتدي ـ القاتل ، السارق ، الظالم ، المغتصب ـ يكون في العادة قوياً ، بينما المعتدى عليه يكون في العادة المألوفة ضعيفاً . من أجل ذلك كان العرف إذا التجأ مظلوم إلى القضاء القديم ، حاول القاضي القديم أن يسترضي المظلوم بشيء من التعويض أو بالكلام اللين العاطفي وأن يسكت عن ظالمه .

ثم إن من الأمثلة على ذلك من التوراة الموجودة بأيدي الناس :

« قال يهوذا لإخوته : ما الفائدة (من) أن نقتل أخانا (يوسف) ونخفي دمه ؟ تعالوا فنبيعه للإسماعيليين . . . واجتاز رجال مديانيون تجار فسحبوا يوسف وأصعدوه من البئر وباعوه للإسماعيليين بعشرين من الفضة . . أما المديانيون فباعوا يوسف في مصر لفو طقار خصي فرعون رئيس الشرط (التكوين ٣٧ : ٢٧-٣٦) .

أما اليونان فكانوا ـ برغم ما كان عندهم من الفكر الفلسفي ومن الكلام في الحقيقة وفي الحرية وفي القانون ـ يرون أن الاستعباد حال طبيعية من أحوال المجتمع الإنساني . والفيلسوف الكبير أفلاطون كان في أول أمره عبداً رقيقاً فاشتراه صديق له وأعتقه .

وأما الرومان وهم عمالقة التشريع في العالم القديم ـ فقد كانوا

يأخذون بالسلطة الأبوية ، فكان الأب هو الحاكم المطلق في الأسرة يقتل أولاده أو يبيعهم أو يرهنهم .

ثم نأتي إلى النصرانية . ففي الإنجيل الذي بأيدي الناس تعطيل لدور القضاء في المجتمع الإنساني وإلغاء لحقوق الإنسان :

قال واحد من الجمع للمسيح : يا معلم ، قل لأخي أن يقاسمني الميراث . فقال له المسيح : يا إنسان ، من أقامني عليكما قاضياً أو مقسماً ؟ (لوقا ١٢ : ١٣-١٤) .

ثم إن النصرانية المسيحية كانت منذ نشأتها تأخذ بالتعميد أو المعمودية (غمس المولود في الماء لتطهيره من الخطيئة الأولى على آدم) . والمعمودية هذه أول أسرار الدين المسيحي وباب النصرانية ـ أي لا يكون الإنسان نصرانياً ، إلا إذا تلقى المعمودية ـ . وفي الإنجيل الذي بأيدي الناس أن المسيح نفسه قد تلقى هذه المعمودية (إنجيل متى ٤ : ١٣ وما بعد) . ثم إن المسيح نفسه أرسل رسله ليعمدوا الذين يدخلون على أيديهم في النصرانية (راجع رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١ : ١٣ وما بعد) .

ويكفي أن نأخذ من جاهلية العرب مثلين : طرفة بن العبد وعنترة بن شداد . كان الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد من بني بكر من جهة أبيه . ولكن أباه كان قد تزوج امرأة اسمها وردة ـ وكانت نصرانية من بني تغلب وليست بكرية وثنية مثله . وولد طرفة من هذا الزواج المختلط . ثم مات الأب وشيكاً . فلم يرض أعمام طرفة أن يعطوه شيئاً من إرث أبيه لأن أباه قد أضر بالعصبية القبلية في بني بكر بزواجه امرأة غريبة . فإذا نحن قبلنا أن يكون الأب قد أضر بالقبيلة ، فما ذنب الإبن في أن يمنع حقاً من حقوقه ؟

وأما عنترة فكان شاعر بني عبس وفارسهم ، ولكن أمه كانت جارية رقيقة ، فنشأ هو عبداً رقيقاً : يخوض المعارك دفاعاً عن بني عبس أو في

سبيـل بني عبس فيغنم الغنـائم فـلا يقسم لـه شيء من تلك الغنـائم لأنـه عبد رقيق كل جهوده لسيده . وسيـده هنا هـو قبيلته . ثم إن عنتـرة أحب ابنة عمه عبلة ، فلم يستطع أن يتزوجها لأنه عبد رقيق وهي حرة .

أمـا إذا تجاوزنـا الأعصر في الغـرب إلى العصـر الحـديث وجـدنـا أن الإنكليز يورثـون الإبن البكر كـل مال أبيـه ولقب أبيه أيضـاً ، وليس لإخوتـه ولا لأخواته حق فيما كان يملك أبوهم .

وكذلك المرأة الفرنسية ـ إلى اليوم ـ إذا هي تزوجت فإنها تفقد حقوقها على ما كانت تملك قبل الزواج ثم لا تستطيع التصرف فيما كـانت تملك من قبل ، بل يصبح هذا التصرف لزوجها .

في الإسلام :

أمـا في الإسلام ، فـإن الإنسان الفـرد ـ كائنـاً ما كـان مقامـه في البيئة الاجتماعية ـ كـانت له جميـع حقوقـه ، ولـم يكن يعاقب بـذنب جناه غيـره . ففي القـرآن الكـريم (٦ : ١٦٤ سـورة الانعـام؛ ٣٥ : ١٨ سـورة فـاطـر) : « ولا تـزر وازرة وزر أخـرى » (أي لا يحمـل رجـل بـريء ذنب رجـل مخطىء) . فالإنسان الفرد في الإسـلام مسؤول عما يعمـل هو ، أخيـراً كان ذلك العمل أم شـراً بينما في اليهـودية يعـاقب الإنسان بـالذنب الـذي ارتكبه غيره قبل سبعة أجيال . وفي النصرانية يولد كل مولود من البشر نجساً لأن آدم أبو البشر ارتكب خطيئة .

والإنسان الفرد في الإسـلام مسؤول عن عمله هو . والآيـات في ذلك كثيرة أورد هنا منها آيتين :

* وكـل إنسـان ألـزمنـاه طـائـره (أي عـمـله) فـي عـنـقـه (١٧ : ١٣ سورة الإسراء) .

* وقول الله تعالى في أن الإنسان نفسه يكسب الخير أو يكسب الشر ثم يجازى (يثاب أو يعاقب) بما كسب فكثير في القرآن الكريم .

ثم إن الإنسان الفرد نفسه قد اختار أن يحمل التبعة عن نفسه وعن غيره . قال الله تعالى : « إنا عرضنا الأمانة (مما في عمله ثواب وفي تركه عقاب) على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها ـ وأشفقن (أي خفن) منها ـ وحملها الإنسان . إنه كان ظلوماً (لنفسه) جهولاً (بحقيقة تلك الأمانة) (٣٣ : ٧٢، سورة الأحزاب) .

ومعنى هذا أن الإنسان الفرد ـ فيما يتعلق بالعدل الإلٰهي وبالعدالة في الناس ـ مختار في سلوكه وإنه مسؤول عما يفعل هو نفسه بنفسه أو بالآخرين ، فمن حق الإنسان على الإنسان أن يعيش كل واحد منهما في إطار ما له من الحقوق وما عليه من الواجبات .

بعد هذا الاستعراض العاجل نأتي إلى « حقوق الإنسان » لنتوفر منها على جانب « العدالة والقضاء » . إن حقوق الإنسانية الأساسية أربعة : المساواة والحرية والأمن والكرامة . وموضوعنا يقع في نطاق الحق الأول : « المساواة » .

غير أن المساواة أنواع : المساواة الطبيعية (من الطبيعة والصحة والقوة والجمال والفكر والطبائع) وهذه المساواة قليلة الاتفاق في البشر ، إذ هي ترجع إلى عناصر وعوامل من الوراثة والبيئة لا سلطة للإنسان عليها . ثم هناك المساواة الاجتماعية في المكان والزمن (من النسب والثروة والجاه والحضارة والثقافة ونوع العمل) . وهذه أحوال يسيطر الإنسان على أجزاء قليلة منها . ثم هنالك المساواة أمام القانون . وهذه مدار بحثنا على الحصر . غير أن هذا المدار ليس ضيقاً كما يتخيل نفر من الناس .

* حق العدالة : في التعامل والقضاء .

أما حق العدالة في التعامل (بين الناس) فيكاد وحده يتناول موضوع حقوق الإنسان كله (المساواة والحرية والأمن والكرامة) . ثم يأتي حق الإنسان الفرد أمام القضاء .

إن العدالة بين البشر منتشرة لا ضابط لها . وهي لا تتحقق إلا إذا بلغ كل فرد في الأمة مستوى سامياً من الوعي العام ومن الثقافة الشخصية ومن الأمانة الخلقية . والبلوغ إلى هذا المستوى يحتاج إلى تربية الأفراد والجماعات مدة طويلة من الزمن مع بذل الجهد الكثير وإقناع الناس . والصعوبة في وجه تحقيق هذا الغرض أن البشر في كل مكان وزمان من أسنان ، أي أعمار ، مختلفة : فيهم الطفل والمراهق والناضج الذي بلغ أشده والشيخ الحكيم والشيخ الخرف ثم فيهم الغني والفقير المحتاج وفيهم القوي الظالم والضعيف الذي يخاف ظلم الأقوياء كما أن فيهم العالم والجاهل . وأظن أن مثل هذا المستوى في الأفراد ـ العدالة في المعاملة بين الأفراد ـ قد تحقق مراراً في الإسلام . ولكني سأكتفي من ذلك بالأحداث التالية :

* الهجرة من مكة إلى المدينة : إن الأوس والخزرج في المدينة قد أغمضوا عيونهم عما كان بينهم من الخصام والنزاع وطلبوا من محمد رسول الله أن يهاجر إليهم يتولى أمورهم . واحتمل أفراد المسلمين المشقات في سبيل ذلك . فالمهاجرون المسلمون الذين كانوا يتسللون سراً من مكة إلى المدينة كانوا يلاقون مشقة في السفر كما كان أهلهم الباقون خلفهم في مكة يلاقون اضطهاداً من المشركين . ولقد احتمل الجميع ذلك في سبيل المصلحة العامة . . في سبيل الإسلام . وكذلك لما نام علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، في ليلة الهجرة في فراش محمد رسول الله وكان المشركون يراقبون البيت ويحاصرونه ، قد قام بمغامرة شديدة الخطر على حياته .

ولما استقر المهاجرون المسلمون من أهل مكة في المدينة وآخى الرسول بين المهاجرين (من أهل مكة) والأنصار (من أهل المدينة) ، قاسم نفر كثيرون من أهل المدينة أولئك المهاجرين أملاكهم وأموالهم في سبيل المصلحة العامة . لقد وقف كل رجل من أهل المدينة موقف القاضي الحكم فوجد أن للمهاجرين الذين تحملوا العبء الأثقل من تاريخ الدعوة الإسلامية ثم جاءوهم أهل المدينة يقطفون ثمرة تلك الدعوة يانعة وهم آمنون في بلدهم وأهلهم ومالهم ، إن لأهل مكة حقاً في أموال المدينة ؛ فقاسم كل مدني غني أخاً له في الإسلام من أهل مكة أملاكه وماله .

ثم برز ذلك المثال الرائع على لسان أحد المهاجرين عبد الرحمٰن بن عوف لما قال للمدني الذي أراد أن يدفع إليه نصف ما يملك من مال ومتاع : « أبق ، يا أخي ، عليك مالك ودلني على السوق » .

وأصبح عبد الرحمٰن بن عوف فيما بعد من كبار الأغنياء في الحجاز . ولما كان عام الرمادة ، في السنة السابعة عشرة للهجرة (٦٣٨ م) وأغبرت الأرض حتى أصبحت تشبه الرماد . وامتد القحط لانقطاع المطر وعمت المجاعة ، إتفق أن وصلت إلى عبد الرحمٰن بن عوف من تجارته قافلة دفع التجار له في محمولها مبالغ جسيمة ـ حباً في أن يبيعها أولئك التجار بأثمان يفرضونها ويجمعون منها ثروات « طائلة » .

ولكن عبد الرحمٰن بن عوف وهب محمول هذه القافلة لأهل المدينة طلباً للأجر من الله .

للخليفة أو الملك أو رئيس البلاد حق في تسيير الأمور كما يرى لأنه يحمل تبعة ما يرى وما يعمل . وكان الخليفة الأول أبو بكر الصديق قد عين خالد بن الوليد قائداً لخوض معركة اليرموك . ثم توفي أبو بكر وشيكاً قبل نشوب المعركة وخلفه عمر بن الخطاب . وقد كان عمر منذ أيام أبي بكر مخالفاً لخالد بن الوليد في شأن مقتل مالك بن نويرة : يرى عمر بن الخطاب

أن خالد بن الوليد قد قتل مالك بن نويرة ظلماً . من أجل ذلك أراد عمر بن الخطاب أن يعزل خالد بن الوليد وأن يولي مكانه أبا عبيدة عامر بن الجراح ، ولقد كان ذلك حقاً من حقوق عمر بن الخطاب أمير المؤمنين والخليفة على المسلمين ، وفعلاً أرسل عمر بن الخطاب كتاباً إلى أبي عبيدة بتوليته على الجيش الواقف على اليرموك وبعزل خالد .

نظر أبو عبيدة في الأمرين : في أمر عمر بعزل خالد وفي أن يتولى هو مكانه ثم في أمر معركة اليرموك التي كان خالد قد رتب منهاجها .

إجتمع أبو عبيدة وخالد فلم يريدا كلاهما مخالفة أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ولم ير أبو عبيدة أن يتخلى خالد عن قيادة المعركة وقد رتب خطتها . وقد تنشب المعركة قريباً قبل أن يكون أبو عبيدة قد وضع خطة جديدة للمعركة أو قبل أن يستطيع استيعاب تفاصيل الخطة التي كان خالد قد وضعها .

من أجل ذلك إتفق أبو عبيدة وخالد على الحال التالي :

يكون أبو عبيدة القائد الرسمي لقيادة معركة اليرموك (كيلا يخالف أمر الخليفة عمر بن الخطاب) ثم يكون خالد بن الوليد القائد الفعلي للمعركة حفاظاً على المصلحة العامة (فلا يحدث شقاق بين الجنود المجاهدين المشتركين في المعركة فينقسمون في الرأي بين ما يعتقدونه خطأً أو صواباً في عزل خالد ثم حباً في سير المعركة سيراً واحداً اعتقاداً من أبي عبيدة أن خالداً كان أقدر على تنفيذ خطة وضعها في مدة من الزمن قضاها في درس أرض المعركة وفي أحوال جنوده وأحوال جنود الروم) .

إن هذا الإدراك للعدالة في التعامل بين أفراد الناس أمر نادر في التاريخ . ثم إن معركة اليرموك كانت معلماً من معالم التاريخ الحضاري في العالم . وكذلك كان من نتائجها أنها دلت على مقدرة المسلمين في خوض المعارك الخارجية كما كانت سبباً في القضاء على إمبراطورية كانت تخطط

للقضاء على الإسلام منذ ظهوره . أما في التعامل بين أفراد النـاس فقد حفظ لنـا التاريـخ تلك الجملة الخالـدة التي قالهـا خالـد بن الوليـد الـذي خـاض المعركة وهو معزول عن قيادتها : « أنا لا أحارب من أجل عمر » . .

وكان عمر بن عبد العزيـز خليفة أمـوياً في مكـانه من التـاريخ . ولكن المؤرّخين ـ لمـا نظروا إليـه في مسلكـه في الحكم ـ عـدّوه خـامس الخلفـاء الراشدين . واقتدى الناس بعمر بن عبد العـزيز في تقـواه ومسلكه في الحكم فعم الإنصاف وحب الخير في زمـانه وهـانت سبل العيش حتى كـان المسلم يحمل زكاته على كفه ويطوف بها في العالـم الإسلامي فلا يجد لها مستحقاً . ذلـك كان التكـافل الاجتمـاعي والعدالـة الشخصيـة في المسلمين في ذلـك الحين .

* قصـة من المغـرب : في سنـة ٥٩١ لـلهجـرة (١١٩٥ م) أراد المنصـور الموحـدي سلطان المغرب أن يسيـر إلى الجهاد في الأنـدلس ، إذ كـان النصـارى يمعنـون في دفـع المسلمين عن أراضيهم وديـارهم . فـأبى الفقهاء أن يعينوه على حشد المجاهدين وجعلوا يثبطون الناس عن الاستجابة له بحجة أنه يقرب إليه الفلاسفة وبأنه صديق للفيلسـوف ابن رشد . فـاضطر المنصـور إلى استرضـاء الفقهاء والعـامة فـأمر بجمـع عـدد من نسـخ الكتب الفلسفية من تأليف ابن رشد وأحرقها علناً ثم أنه نفى ابن رشد إلى قرية اليسانة على مقربة من قرطبة في الأندلس ـ وكان معظم سكانهـا من اليهود ـ وكـذلك أمر المنصور نفراً من الشعراء فأكثروا في ذلك الحين من هجاء ابن رشد .

وجمع المنصور الموحدي جيشـاً كبيراً وسـار على رأسه إلى الأنـدلس وحـارب ملك الإسبـان ومن كـان معـه من الصليبيين الـذين كـانـوا آتين إلى الحـرب في الشام فنـزلوا في الأنـدلس ليساعـدوا في قتال المسلمين فيهـا . وكانت معركة الأرك قرب بطليوس (في منتصف الحدود بين إسبانيا والبرتغال اليوم) . فانتصر المنصور على جموع الفرنجة من الإسبان ومن الصليبيين إنتصاراً

عظيماً ورد أذى الإسبان عن مسلمي الأندلس زمناً طويلاً .

بعد هذه المعركة استدعى المنصور الموحدي ابن رشد من منفاه واصطحبه إلى عاصمته في مراكش وأكرمه .

علّي تناولت في الأحداث الأربعة السابقة نطاقاً أوسع قليلاً مما قصد في الجدول المقترح لموضوعات المؤتمر . ولكن هذه الأحداث الأربعة تدل على التعامل العاقل في الأحوال الاجتماعية التي تنشأ بين فريقين أو أكثر في الحياة . والحكم فيها حكم قريب من الأحكام الشرعية العدلية . وأنا أرى أن كثيراً مما قصد في باب التعامل في العدالة ينطوي في الجانب التالي من العدالة في القضاء .

* العدالة في القضاء : العدالة في القانون تقتضي أن يذهب الخصمان (أي المدعي والمدعى عليه) إلى القاضي وهما كلاهما مطمئنان : المدعي مطمئن إلى أنه سينال حقه والمدعى عليه مطمئن إلى أنه لن يظلم .

إن آيات الأحكام في القرآن الكريم كثيرة ، حتى أن استعراض ما يتعلق منها بالإنسان الفرد وحدها تملأ صفحات كثاراً . وسأشير هنا إلى ما يقصد إلى المحافظة على حقوق الإنسان الفرد ، وخصوصاً إذا كان ذلك الإنسان الفرد ضعيفاً . أما الإنسان القوي فإنه قادر على الاحتفاظ بحقوقه جميعاً والاستيلاء على حقوق من هم أضعف منه . من أجل ذلك جعل الإسلام للضعاف حقاً في أموال الأقوياء . قال الله تعالى (٥١ : ١٩ سورة الذاريات ثم ٧٠ : ٢٤ سورة المعارج) : « وفي أموالهم حق للسائل والمحروم ـ والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » .

ويلحق بهاتين الآيتين آية تتعلق بالمطلقات . ولا شك في أن المطلقة تكون في العادة ضعيفة ، إذ هي تكون قد كبرت في السن أو خسرت من جمالها أو من مالها أو كانت عاقراً ، فجاء قول الله تعالى في ذلك

(٢ : ٢٤١ سورة البقرة) : « وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المحسنين » . والمتاع هنا مبلغ من المال يدفعه الرجل الذي يريد طلاق امرأته ـ فوق صداقها الذي يسميه الناس اليوم « المهر المتأخر » .

ـ وحينما يأتي الناس إلى القضاء يكون منهم الصغير والجاهل بأصول المحاكمات والغافل عن عدد من دقائق القوانين ، فأراد الإسلام لهؤلاء إلا يغبنوا أو يخدعوا ، فقال الله تعالى : (٢ : ٢٨٢ سورة البقرة) في أمر الدين الذي يعقده الضعيف المحتاج :

« يا أيها الذين آمنوا ، إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه . وليكتب بينكم كاتب بالعدل . ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب ؛ وليملل الذي عليه الحق ، وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً . فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً (مبذراً قليل الاحتياط للأمور) أو ضعيفاً (لا يعرف الاملاء لصغر سنه مثلاً أو لجهل القراءة والكتابة) أو لا يستطيع أن يمل (لأنه أخرس) فليملل وليه بالعدل . . . » .

إن هذا الاحتياط الوارد في هذه الآية ، بعدد من وجوه الاحتياط ، غايته حفظ حقوق الإنسان الفرد ، وخصوصاً إذا كان هذا الإنسان الفرد ضعيفاً .

وفي هذه الآية نفسها احتاط الإسلام احتياطاً آخر هو من باب « سد الذرائع » (أي حماية الناس من الوقوع في المعاصي) . فقال الله تعالى في الآية السابقة نفسها :

« . . . واستشهدوا شهيدين من رجالكم . فإن لم يكونوا رجلين ، فرجل وامرأتان ـ ممن ترضون من الشهداء ـ أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى . . . » .

إن الشاهدين في أمر من أمور القضاء والحقوق (وهي أمور مهمة

ودقيقة في الوقت نفسه ، وفيها منافع مادية أحياناً وأسباب من الإغراء) تحتاج أحياناً إلى التداول جهراً وسراً في المجتمع وفي خلوة . فإذا كان الشاهدان ، في مثل هذه الأحوال ، رجلاً وامرأة جاز أن يدخل بينهما الشيطان فيقعان في معصية .

ــ ومن باب الاحتياط المادي أن يشهد الوصي على اليتيم إذا بلغ اليتيم رشده وأراد الوصي أن يدفع إليه ماله ، فقال الله تعالى : (٦ سورة النساء) . . . » .

« . . . فإذا دفعتم إليهم أموالهم فاشهدوا عليهم . وكفى بالله حسيباً » . إن ذلك حق لليتيم الضعيف على الوصي القوي .

ــ وأصحاب الحقوق الضعفاء كثيرون . قال الله تعالى : (١٧ : ٢٦ سورة الإسراء ثم ٣٠ : ٣٨ سورة الروم) :

« . . . وآت ذا القربى حقه ، والمسكين وابن السبيل . . . ـ فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل . . . » .

حقوق الإنسان في الإسلام في العدالة والقضاء*

ـ ٢ ـ

حقوق الإنسان ليست قاصرة على الإنسان وحده ، بل هي تتصل أيضاً بالأشياء التي يستخدمها الإسان لينتفع بها . ويتجلى هذا كله في خطبة لأبي بكر الصديق يوصي فيها أسامة بن زيد بن حارثة لما وجهه إلى الفتح في الشام : أبو بكر الصديق يوصي فيها أسامة بن زيد بن حارثة ومن معه لما وجههم إلى الفتح في الشام :

يا أيها الناس ، قفوا أوصكم بعشر فاحفظوها : لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا . ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأةً ، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاةً ولا بقرةً ولا بعيراً إلا لمأكله . وسوف تمرون بأقوام فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له . . .

في هذه الخطبة من حقوق الإنسان أشياء : السلوك السليم نحو الآخرين (لا تخونوا ؛ إلخ) ـ ترك الابتداء بالاعتداء (لا تقتلوا طفلاً ، إلخ) ـ لا تفسدوا (لا تقطعوا شجرة مثمرة ، إلخ) ، فإن هذه الأشياء حق للإنسان ، فاحترامها كاحترام الإنسان نفسه) ـ ترك الإعتداء على من لا يبدأكم بالقتال كالرهبان مثلاً فإن هؤلاء إذا لم يتعرضوا لأحد بأذى فلا يجوز لأحد أن يبدأهم بالإعتداء) .

وكان النظر إلى حقوق الإنسان واضحاً جداً في خلافة عمر بن الخطاب : في مسلكه في عام الرمادة وفي موقعة من نزاع ابنٍ لعمرو بن

(*) السفير ١٦/١١/١٩٨٧ .

العـاص مع ولـد قبطي في مصـر ثم في عهده إلى أبي مـوسى الأشعري لمـا ولاه القضاء في العراق .

ـ في السنة الثامنة عشرة للهجرة (٦٣٩ م) كان عام الرمادة : فاغبرت الأرض ـ من قلة المطر حتى صار لونها لون رمادي ، فكـان قحط ومجاعـة . فلم يشأ عمر بن الخطاب أن يأكل المآكل الدسمـة التي كان قـادراً ـ بوصفـه أميراً للمؤمنين وحاكماً في البلاد ـ على الحصول عليها ، بل فضل أن يصيبـه ما يصيب عامة الناس حتى يظل يشعر بمـا يعانـون فلا يضيـع حقهم عليهم ، حتى اسمر وجهه من النحول وسوء الغذاء .

ـ كـان عمرو بن العـاص عـامـلاً (وكيـلاً على جمـع الضـرائب) في مصر . ففي يوم من الأيام تنافر ولد لعمرو بن العاص مع ولد قبطي ، فغضب ولد عمرو بن العاص من الولد القبطي فلطمـه. فجاء والـد الولـد القبطي إلى المـدينة وشكـا أمره إلى عمـر بن الخطاب . فـأرسل عمـر بن الخـطاب إلى عمـرو بن العاص يستـدعيـه مـع ابنـه . واجلس الخليفـة عمـر بن الخـطاب الخصمين أمامه . ولما ثبت له أن ولد عمرو بن العاص قد اعتدى على الولد القبطي اقتص من ولد عمرو بن العاص ثم توجـه إلى عـمرو بن العـاص نفسه بتلك الجملة التي ذهبت مثلاً في حقوق الإنسان .

« متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم أحراراً ؟ » .

وولي عمر بن الخطاب ، سنة سبع عشرة للهجرة أبـا موسى الأشعـري على قضاء البصرة وكتب له الكتاب التالي الذي هو دستور في القضاء :

أمـا بعد ، فـإن القضاء فـريضة محكمـة وسنة متبعـة ، فأفهم إذا أُدلي إليـك فـإنـه لا ينفـع تكلم بحق لا نفـاذ لـه . وآس بين النـاس في وجهـك ومجلسـك وعدلـك حتى لا يطمـع شريف في حيفـك ولا ييـأس ضعيف من عـدلك . البينـة على من ادعى واليمين على من أنكـر . والصلح جـائـز بين

المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً . ولا يمنعك قضاء قضيته أمس فراجعت اليوم فيه عقلك وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق ، فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل . الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة . ثم أعرف الأمثال والأشباه ، وقس الأمور بنظائرها . واجعل لمن ادعى حقاً أو بين أمداً ينتهي إليه ، فإن جلب بينته أخذت له بحقه وإلا استحللت القضية عليه ، فإن ذلك أنفى للشك وأجلى للعمى . المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حد أو مجرباً عليه شهادة زور أو ظنيناً في نسب أو ولاء ، فإن الله سبحانه عفا عن الإيمان ودرأ بالبينات . وإياك والقلق والضجر والتأفف بالخصوم ، فإن استقرار الحق في مواطن الحق يعظم الله به الأجر ويحسن به الذكر . والسلام .

في هذه الرسالة يجعل عمر بن الخطاب حقاً للمتقاضي (للإنسان الفرد) على القاضي (على الحاكم) :

ـ على القاضي أن يواسي (يساوي) في مجلس القضاء بين جميع الناس فلا يجعل للشريف (الخصم المعروف بالقوة والوجاهة فضلاً على خصمه الضعيف فيظلمه) .

وإذا اتفق أن أخطأ القاضي في الحكم يوماً فيجب أن يستأنف (يعيد النظر فيما أخطأ فيه) كيلا يقع ظلم من جراء حكمه على أحد المتقاضين .

ـ وإذا لم تكن دعوى أحد المتخاصمين واضحة فيجب أن ينظره (يؤخر الحكم له أو عليه حتى يأتي ذلك الخصم ببينته (بحجته أو دليله على ما له من حق) .

• ـ وجميع المسلمين ـ الشريف منهم والوضيع والغني والفقير والمواطن والبعيد في السكنى والنسيب والغريب ـ كلهم عدول (صالحون متساوون) تقبل دعوى بعضهم على بعض كما تقبل شهادة أحدهم على الآخر ، إلا إذا

كان أحدهم قد أتى عملاً مخلاً بالاجتماع الإنساني ومخالفاً للدين .

وإذا نحن استعرضنا وقائع القضاء في الإسلام وجدناها كلها تنحو نحو العدل العملي (إنصاف صاحب الحق وحفظ الوازع الاجتماعي) .

ـ الإنسان مطلقاً بريء غير مسؤول عن ضرر يلحق بالآخرين إذا لم يثبت أن شخصاً ما معيناً قد قام به . ولذلك قالت المادة الثامنة من مجلة « الأحكام العدلية » « الأصل براءة الذمة » . وفي القانون الأجنبي (الإنكليزي والفرنسي ـ وقد جاءا فيما بعد) : « الإنسان بريء حتى تثبت إدانته » .

ـ وفي الإسلام جاء الشرع لمصلحة البشر ، فما كان صالحاً للبشر في زمن من الأزمان يجوز ألا يبقى صالحاً في الزمن الذي يليه . من أجل ذلك قالت المادة التاسعة والثلاثون من مجلة الأحكام العدلية : « لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان » . وقد جاءت المادة الواحدة والعشرون فقالت : « الضرورات تبيح المحظورات » . إن لحم الخنزير مثلاً محرم أكله في الإسلام . ولكن إذا اتفق أن كان شخص في مكان ولم يجد فيه سوى لحم الخنزير فإنه يأكل منه لدفع الجوع عن نفسه وللإبقاء على حياته . وكذلك إذا جاع إنسان في مكان وهو لا يملك ما يشتري به طعاماً ، فإنه يباح له أن يأكل طعاماً لا يملكه ولا يسمح له أصحاب الطعام بأكله . ولكن إذا ملك فيما بعد مالاً وجب عليه أن يدفع ثمن ما كان أكله اختلاساً أو اغتصاباً .

ثم أن منفعة الفرد ومصلحة المجموع مقدمتان (مفضلتان) على نص القانون ، ذلك لأن القانون وضع لمصلحة البشر ولم يجعل البشر عبيداً لنصوص القوانين . من أجل ذلك جاء في المادة الثلاثين : « درء (أي دفع ، منع) المفاسد أولى من جلب المنافع » . هذه قاعدة عامة من القواعد الاجتماعية ، فإن عملاً ما قد يجلب نفعاً لقوم ثم يجلب ضرراً أكبر لأولئك القوم أنفسهم أو قد يضر بجماعة أخرى أكثر عدداً . إن الإتجار مثلاً حق من حقوق كل فرد في المجتمع . ثم إن حرية الفرد تجيز له أن

يتجر بما يشاء كما يشاء . فإذا كانت حرية الإتجار في نوع من الكماليات (في صنع حلوى على شكل مخصوص أو تزيين حديقة على هيئة معينة) ، جاز لكل فرد أن يفعل في ذينك الأمرين ما يشاء كما يجوز لكل فرد آخر أن يشتري من تلك الحلوى أو أن يطلب العناية بحديقته على ذلك الشكل إذا هما أرادا .

أما إذا تعلقت حرية الإتجار بنوع من الحبوب أو بإجراء الماء إلى البيوت أو ببيع النسيج العادي ، ثم نشأ من ذلك ضرر عام أو كثير ، فإن حرية التجارة بهذه الأنواع وبأمثالها يجب أن تلغى .

وهنا تأتي المادة التاسعة عشرة: « لا ضرر ولا ضرار ، أي لا يجوز لأحد أن يغيره قصداً أو عفواً ، وإذا أضر أحد بجار له (كأن هدم له جداراً أو قطع شجرة له) ، فلا يجوز للمتضرر أن يهدم جداراً لجاره أو يقطع شجرة من بستانه . ومؤدى هذه المادة من الناحية القانونية أنه لا يجوز لأحد أن يتولى إحقاق حق نفسه بنفسه لئلا تعم الفوضى في المجتمع .

ويؤكد هذه المادة التاسعة عشرة مادة بعدها هي المادة الخامسة والعشرون : « الضرر لا يزال بمثله » . إن هذه المادة إصلاح للشرائع القديمة كالشريعة البابلية وشريعة التوراة اللتان كانتا تجيزان للمتضرر أن يفعل بخصمه ما فعله خصامه به . مثال ذلك أن الشخص إذا اتفق إن قلع عين شخص آخر (عفواً أو قصداً) ، فإن تلك الشرائع القديمة كانت تجيز للذي قلعت عينه أن يقلع عين المعتدي عليه .

وهنالك مثل مقابل لهذا المثل : إن جماعة كانوا يصنعون متاعاً من الحاجيات أو الكماليات ويعيشون منها هم وعيالهم . ثم اتفق إن جاء إلى بلدهم أو إلى سوقهم من يصنع ذلك المتاع صنعاً أجود أو يبعه بثمن أقل ، فلا يجوز أن نمنع الصانع الجديد من ممارسة عمله والإضرار به ، ذلك لأن عمله أنفع لمجموع الناس من عمل القوم الآخرين . هذا بالإضافة إلى

العدالة القانونية في التعامل .

ويبدو أن هذه الحال الاجتماعية والاقتصادية معاً (مع أن الاقتصاد فرع من فروع الاجتماع) قد لفتت نظر الشارع لفتاً شديداً ، فجاء في مجلة الأحكام العدلية عدد من المواد الكلية ثم عدد آخر من المواد الفرعية في هذا المعنى لتأكيد المواد التي سبقت لنا في هذا الموضوع . من ذلك مثلاً : « يحتمل الضرر الخاص لأجل دفع الضرر العام » (المادة السادسة والعشرون) ثم « الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف » (المادة السابعة والعشرون) ثم « يختار أهون الشرين » (المادة التاسعة والعشرون) . وأظن أن هذه المواد لا تحتاج إلى شرح هنا ولا إلى ضرب أمثلة جديدة .

إن المجتمع مؤلف من مجموع من الناس وإن مجموع الناس مؤلف من جماعات . ثم إن كل جماعة مؤلفة من أفراد . وقد يتفق في حين من الأحيان أن يقوم جماعة من أهل ذلك المجتمع أو يقوم فرد من أفراد إحدى جماعات المجتمع بعمل ضار بقوم من الأقوام أو بشخص من الأشخاص . فلا يجوز في مثل هذه الحال أن نعاقب جماعة من الأبرياء إنتقاماً منهم لأن شخصاً منهم ، أو من غيرهم قام بعمل مضر بنا ثم لم نعرف من كان ذلك الشخص . إن مثل هذه المقابلة بالضرر ليست عقاباً للمعتدي بل اعتداءً على قوم أبرياء ، في سبيل شفاء حقد في صدر المنتقمين .

والمثل على ذلك من تاريخ الإسلام قديم ومعروف وواضح .

كان في شمالي لبنان (في مطلع الدولة العباسية) جماعة من المردة (المتمردين الثائرين والخارجين على القانون) لجأوا إليه من بلاد الروم (اليونان) . فاتفق إن جماعة من هؤلاء ، بالاشتراك مع نفس جماعة من الموارنة الذي كانوا قد لجأوا إلى جبل لبنان ، قبل نحو قرن من الزمن - وكانوا كلهم نصارى - أغاروا على جماعة من المسلمين كانوا يعيشون في سهل البقاع ، وذلك سنة ١٤٢ للهجرة (٧٥٩ م) .

واستطاع الوالي العباسي صالح بن علي أن يهزم المغيرين المعتدين ويشتت شملهم . حينئذٍ أقر من كان قد بقي من أهل شمال لبنان في قراهم على دينهم ثم رد الباقين إلى قراهم بعد أن أجلى جماعة منهم عن قراهم ممن ظن أنهم كانوا يمالئون المغيرين المعتدين .

عرف الإمام عبد الرحمٰن الأوزاعي بذلك فكتب إلى صالح بن علي يلومه على أنه عاقب جماعة قد يكونون أبرياء ، وقال في رسالته إلى الوالي العباسي .

« وقد كان في إجلاء أهل الذمة من جبل لبنان ـ ممن لم يكن ممالئاً لمن خرج على خروجه ـ ممن قتلت بعضهم ورددت بعضهم إلى قراهم ما علمت ـ فكيف تأخذ عامة بذنوب خاصة حتى يخرجوا من ديارهم وأموالهم ، وحكم الله : « ألا تزر وازرة وزر أخرى » . .

إن الإمام الأوزاعي قد وجد في عمل صالح بن علي مجانبة للعدل الكامل واعتداءً على جانب من حرية قوم ربما لم يكن لهم ذنب .

ومن قواعد الإسلام في القضاء أن الإمام (الخليفة ، الملك) لا يحكم لنفسه ولا يشهد لنفسه ، ولكن إذا كانت له قضية فيجب أن يحتكم إلى القاضي ـ ولو كان القاضي أدنى منصباً منه . فإن في القضية الواحدة يتساوى الخصمان ولو كان أحدهما في الأصل أعلى مرتبة من الآخر .

من أمثلة ذلك أن رجلاً جاء إلى مجلس عمر بن الخطاب وادعى على الإمام علي بن أبي طالب في قضية . واتفق أن الإمام علياً كان ساعتئذٍ في مجلس عمر بن الخطاب . فالتفت عمر إلى علي وقال له : قم ، يا أبا الحسن ، وأجلس مع خصمك . فقام علي وقعد إلى جانب المدعي وتناظرا في القضية التي بينهما. ثم انصرف المدعي ورجع علي إلى مكانه وهو ممتقع اللون . ولما سأله عمر عما به أجاب : كنتني (أي ناديتني بكنيتي « أبي الحسن » . ـ والمناداة الكنية في عرف العرب تشريف

للمنادي) ، فهلا قلت : قم ، يا علي ، فاجلس مع خصمك ؟ فقام عمر فاعتنق علياً وقبل وجهه . ثم قال له : بأبي أنتم (يا آل البيت) ، بكم هدانا الله وبكم أخرجنا من الظلمة إلى النور ، (شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة ، مستشهد بها من « تراث الخلفاء ، لصبحي المحمصاني ، ص ١٥٩) .

لا يجوز للقاضي أن يجتهد في قضية واحدة باجتهادين مختلفين ، ولكن يجوز له ـ إذا عرضت عليه قضيتان متشابهتان في زمنين مختلفين ـ أن يجتهد فيهما اجتهادين مختلفين . ذلك لأن حكم القاضي يتعلق به حق أحد الخصمين ، ولا يجوز سلب إنسان حقه بعد أن أعطاه إياه القضاء . فالحكم الصادر في زمن ما عن أحد القضاة يثبت ، ولو كان خطأً ، إذ كل إنسان معرض لأن يخطيء ، لأن العصمة الكاملة المطلقة لله وحده . من أجل ذلك نصت المادة السادسة عشرة على أن « الاجتهاد لا ينقض بمثله » . (في القضية الواحدة) .

قال صبحي المحمصاني (الأوزاعي ، ص ٨٢) :

إذا قضى القاضي بجور (مقصود) أو بخلاف (ما قاله) أهل العلم فحكمه مردود عند جمهور الفقهاء . أما إذا كان خطأه هذا صادراً على وجه الاجتهاد ، فلا إثم عليه ولكنه مسؤول وضامن . فإذا وقع الخطأ (من قاض) في قضية قتل أو جراح ، فالضمان في مذهب الأوزاعي تتحمله عاقلة (ذلك) القاضي ـ أي قبيلته ـ (إذا كان هو عاجزاً عن أداء ذلك الضمان ؟) . وقد وافقه على ذلك الشافعي وصاحبا أبي حنيفة (أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم المتوفي سنة ١٤٢ للهجرة ثم أبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة ١٨٩ للهجرة) . أما أبو حنيفة وأحمد (بن حنبل) فقالا إن الضمان يقع على بيت المال . وقد قال الإمام (عبد الرحمن) الأوزاعي (ت ١٥٧ هـ) : إذا حكم القاضي خطأً في قضية

تمليك أو عقد زواج أو (في) طلاق أو ما شابه (ذلك) فلا ينفذ حكمه . . .
وقد وافقه على ذلك سائر أئمة المذاهب باستثناء أبي حنيفة فقال بأن هذا الحكم نافذ ظاهراً وباطناً . (ويعلق صبحي المحمصاني على ذلك فيقول) : إن قول الأوزاعي وجمهور الفقهاء أصح دينياً وإنسانياً وأعدل نظرياً ، ولكن قول أبي حنيفة أوفق عملياً وقضائياً لأنه يضع حداً للمنازعات ، ولأن القضاء مبني بالضرورة على الظاهر (من قضايا النزاع) إذا تعذرت معرفة الباطن . ولقد تبنت القوانين العصرية ما يقرب من قول أبي حنيفة فعدت الحكم الصادر في قضية ما يتمتع بقوة القضية المحكمة، ولكنها (ولكن تلك القوانين) احتاطت بأن فتحت باباً للطعن على الحكم بطرق المراجعة العدلية قبل أن يصبح (ذلك الحكم) مبرماً صالحاً للتنفيذ .

من كل ما تقدم يتضح لنا أن القوانين قد وضعت في الأصل وأن الشرائع قد جاءت كلها من قبل لنفع الإنسان وتسهيل حياته ومعاشه في هذه الدنيا ، وإن كان البشر أنفسهم هم الذين جانبوا الحق والواقع حينما أراد نفر من الناس أن يميلوا مع الهوى اجتذاباً للمصالح .

غير أن حقوق الإنسان الفرد تبقى مقيدةً بالوازع الاجتماعي ، أي بألا يبطل الحق الشخصي لفرد من أراد الناس حقاً للجماعة وبال يفسد سلوك العقلاء - إذا هم عملوا بحقائق الأمور - حياة الصغار الناشئين وحياة القاصرين الجاهلين الذين لا يرون من الأمور إلا ظاهرها . من أجل ذلك جاء القول المأثور : خاطبوا الناس على قدر عقولهم ، أتريدون أن يكذب الله ورسوله ؟ إذا كان امرؤٌ مسلم مريضاً مرضاً يمنعه الصوم فإنه يفطر . وهذا حق له بنص القرآن الكريم في قوله تعالى (٢ : ١٨٤ سورة البقرة): « . . . فمن كان منكم مريضاً أو على سفرٍ فعدة من أيام أخر . وعلى الذين يطيقونه (لا يحتملون الصوم أو يحتملونه بجهد كبير يضر بهم) فدية طعام مسكين . . . » . ولكن لا يجوز لمثل هذا الرجل أن « يستخدم حقه علناً » ،

لأن عوام الناس لا يدركون حقيقة حاله فيفطرون هم بلا سبب يدعوهم إلى ذلك أو يشكون في الحكمة من الصوم وفي الأمر الديني به . وحينئذٍ يكون « حق الإنسان الفرد» قد أبطل الوازع الاجتماعي العام » . فيكون الخبر القليل قد أبطل خيراً كثيراً وهذا خلاف ما جاء الإسلام به وخلاف ما نزلت به الشرائع . أن حقوق الإنسان الفرد يجب أن تعلق (آنياً على الأقل) حيث تبدأ حقوق المجموع . بهذا النظر وبالسهر عليه يستمر الاجتماع الإنساني صالحاً وسليماً .

١٧ من صفر ١٤٠٨ هـ/
١٠/١٠/١٩٨٧ .
(انتهى)

راحل يتحدث عن راحل ... .
د. عمر فروخ في بحث موسع عن
د. صبحي المحمصاني*

كان من المؤمل أن يلقي المفكر الكبير عمر فروخ هذا البحث في ذكرى مرور عام على وفاة العالم صبحي المحمصاني ، لكن المنية عاجلته ، وبقيت الكلمة ، راحل يتحدث عن راحل ، ما أهيب الموقف ، وما أروع الوقفة ؟

إن بحث الدكتور الراحل عمر فروخ عن العلامة الدكتور صبحي المحمصاني شامل ، واسع ، يحيط بجوانب الرجل الثقافية والعلمية والإنسانية ، ونحن ننشر القسم الأكبر منه هنا وفاءً للرجلين الراحلين ، وتقييماً لما قامت به صالة « المنتدى » التابعة لمؤسسات الرعاية الاجتماعية في لبنان .

بحث الدكتور عمر فروخ

يجب أن يكون مولد صبحي المحمصاني في العام ١٩٠٦ فقد جاء إلى مدرسة رأس بيروت « التابعة لجامعة بيروت الأميركية ببرنامجها لا بإدارتها » عام ١٩١٩ ، ثم إلى الدائرة الاستعدادية من الجامعة الأميركية نفسها ودخل الصف الثالث في العام المدرسي ١٩٢١ ـ ١٩٢٢ ثم تخرج في الدائرة الاستعدادية في ١٩٢٤/٦/٢٨ .

كان صبحي المحمصاني ذكياً جداً ، وخصوصاً فيما يتعلق باستيعاب المعارف في ذاكرته كما دل على ذلك مستواه في العلامات فقد كان معدله

---

* اللواء ١٣ / ١٢ / ١٩٨٧ .

يوم التخرج وفي جميع الدروس ٩٢,٥ من مائة .

لم يكن لصبحي المحمصاني في أيام الدراسة ـ رفاق كثار ولم يكن ميالا إلى النشاط اللامنهجي ، كما يقال اليوم ، بل كان معظم وقته مصروفاً إلى الدرس والمطالعة .

ولما كتب صبحي المحمصاني موجز حياته بيده سكت عن الأعوام الخمسة ١٩٢٤ ـ ١٩٢٩ . ولعل أول منصب تولاه في القضاء كان قاضي محكمة صور عام ١٩٢٩ .

وتابع صبحي المحمصاني الدراسة على نفسه أو بالانتساب ـ كما أظن ـ ثم توجه إلى فرنسا فنال في جامعة ليون شهادة « ليسانس في الحقوق » (ولم يذكر السنة التي نال فيها هذه الشهادة) . وفي العام ١٩٣٢ نال من جامعة ليون نفسها شهادة دكتوراه في الحقوق ، وقد كانت رسالته لنيل هذه الشهادة : الآراء الاقتصادية عند ابن خلدون . طبع رسالته هذه وكتب مقدمة لها في بيروت في الرابع عشر من شهر أيار « مايو » من عام ١٩٣٢ وبعد أن تقلب صبحي المحمصاني في المناصب القضائية : قاضي محكمة صور ـ حاكم الصلح في الشوف مستنطق بيروت ـ قاضي ورئيس لغرفة محكمة الاستئناف والتمييز ، ذلك من عام ١٩٢٩ إلى العام ١٩٤٦ ، آثر أن ينصرف إلى العمل الحر في المحاماة .

واستمر صبحي المحمصاني في العمل في المحاماة وما يتعلق بها من التحكيم في القضايا المحلية والدولية إلى أن أقعده المرض نحو العام ١٩٨٤ ، وقد كانت وفاته في باريس مستشفياً في ١٩٨٦/٩/١٠ .

صبحي المحمصاني الإنسان

كان في صبحي المحمصاني صفات جميلة ومزايا نادرة : كان مستقيماً صادقاً في قوله وعمله ، كما كان صريحاً إلى حد العنف أحياناً ، وكان أيضاً

تقياً محافظاً على شرائع الإسلام ظاهراً وباطناً ، وكذلك كان ذكياً وجلداً على العمل ، ثم إنه كان قليل الاختلاط بالمجتمع وحرصاً على ألا يصدم أحداً بمسلكه الخاص أو بمسلكه العام ، فلا يعرف عنه أنه انتسب إلى جمعية ذات اتجاه ما ، ولا تظاهر في حياته العامة بما ينفر منه أحد مهما يكن انتماؤه أو اتجاهه ، ذلك لأنه أقام حداً فاصلاً بين حياته الشخصية وحياته العامة ، إلا أنه كان ذا مودة صحيحة للأصدقاء القليلين الذين كان قد انتقاهم أثناء حياته التي امتدت ثمانين عاماً ، كما أن حياته المستقيمة كانت قد حفظت عليه نشاطه الجسمي والذهني ، فهو من أسرة أفرادها صحاح البنية صغار الأجسام ولا يعرف أن شعرهم يشيب .

صبحي المحمصاني القاضي

يبدو للناظر في حياة صبحي المحمصاني أنه لم يكن مرتاحاً إلى منصبه في القضاء ولو كان مرتاحاً إليه لما استقال منه والذي أعرفه أنا من ذلك أمران ، أما الأمر الأول فمادي وذلك أن راتب القضاء لم يكن يهيء لصبحي المحمصاني عيشاً رغيداً كريماً ، وأما الأمر الثاني فراجع إلى استقامة صبحي المحمصاني في حياته الخاصة ورغبته في أن يجعل تلك الاستقامة في حياته الخاصة وحياته العامة ممكناً في بلد يريد كل فرد فيه أن يكون له قانون خاص به ، هذا بالإضافة إلى أن للسياسة في البلد امتيازات في جميع حقول الحياة

صبحي محمصاني النائب والوزير

كان صبحي المحمصاني قد بنى حياته على الحد الأدنى من الاتصال بالمجتمع الكبير ، ولقد كان لذلك حسنات وسيئات ، فمن الحسنات التي لا شك فيها أن هذه الصلة القليلة بالمجتمع قد وفرت وقته على الاهتمام الكافي بعمله في الدولة وبعمله الحر في المحاماة ثم في الانصراف إلى

التأليف في مواضيع اختصاصه .

غير أن للإنقطاع عن المجتمع سيئات أبرزها أن عمل الإنسان يظل نظرياً ومحصوراً في نطاق ضيق ويجعل أصدقاءه قليلين ويحرم المجتمع من نتائج تفكيره ومن جانب كبير من جهوده .

وفجأة ينزل صبحي المحمصاني إلى الحياة العامة ويخوض الانتخابات النيابية على قائمة زعيم كبير ، وقد قضى في النيابة دورة كاملة ، ١٩٦٤ ـ ١٩٦٨ وأصبح في عام ١٩٦٦ وزيراً لبرهة غير طويلة ، ولقد كان من نتائج ذلك أن وضع في نجاحه في الانتخابات كل ما كان قد ادخره ثم لما انتهت مدة نيابته كان عليه أن يبدأ بناء حياته الاقتصادية من جديد ، وأما الوزارة فلم تكن عليه أيسر من النيابة لأنه أراد أن يطبق منهجه القويم في حقل تعصف فيه الأهواء ورياح المصالح الخاصة في وزارة الاقتصاد لا في وزارة العدلية .

صبحي المحمصاني العالم المؤلف

إن التنظيم الذي اتبعه صبحي المحمصاني في ممارسة المحاماة وفر له وقتاً ينصرف فيه إلى المطالعة ثم إلى التأليف .

كانت مطالعات صبحي المحمصاني في مصادر الشريعة الإسلامية وفي مصادر القانون الأجنبي فنتج له من ذلك حسن المقارنة بين القوانين الشرعية والقوانين الموضوعة في بلاد الإسلام وفي البلاد الأجنبية ، وساعده على ذلك ذاكرة واعية وعقل يحسن الموازنة بين القواعد التي تمر به ، ومع العلم بأن لغة القانون عادةً لغة جامدة لا تناسبها وجوه المجاز ولا تقبل التزويق الذي يجعل الأسلوب طلياً ، فإن لغة صبحي المحمصاني في تأليفه واضحة سهلة .

بدأ صبحي المحمصاني تأليفه بكتاب عنوانه « فلسفة التشريع في

الإسـلام (١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م) وهو كتـاب عام في الشـريعـة الإسـلاميـة يتناول رؤوس الموضوعات في الفقه وأصوله إلى جانب مصادر التشريع وعدد من القواعد الكلية في المحاكمات .

ومنذ هذا الكتاب كان صبحي المحمصاني واضحاً في السرد دقيقاً في التعبير جامعاً لأصول المباحث ، ولقد أحسن صنعاً في هذا الكتاب لما جعله قريباً من حاجة المطالع العام فكثرت طبعاته ونقـل إلى اللغات الارديـة (لغة باكستان) والإيرانية والإنكليزية .

وخص صبحي المحمصـاني نفسـه في التـأليف في المعـامـلات ولم يتناول العبادات ولا أصول الفقه النظرية ، وله في هذا الباب كتابـاً « النظريـة العـامة للمـوجبات والعقـود » ثم « الأوضاع التشـريعيـة في البـلاد العـربيـة » وبهذين الكتابين خرج من نطاق القارىء العام إلى أصحـاب الاختصاص في القانون ، ومع ذلك فقد أعيد طبع هذين الكتابين مرة بعد مرة .

بعدئذٍ أراد أن يعود إلى القارىء العام فوضـع من الكتب : مقدمـة في إحياء الشريعة - الدعائم الخلقية للقوانين الشرعية - أركان حقـوق الإنسان في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي - الأوزاعي وتعاليمه القانـونية والإنسـانية - المجاهدون في الحق - في دروب العدالة .

وفي جميع هذه الكتب كشف صبحي المحمصـاني عن جواهـر كامنـة في الشـريعة الإسـلامية ودل على أن الفقهـاء المسلمين - برغم تقـدم زمنهم بالإضافة إلى رجل القانون في أوروبة - لم يقصروا في النظرات الفاحصة بين مـا يقولـه القانـون وما يحتـاج إليـه الاجتمـاع الإنسـاني في الحيـاة البشـريـة الواقعة ، كما لم يغب عنهم كثير مما كان القـدماء من اليـونان والـرومان قـد اجتهدوا فيه ، مع أن الفقهاء المسلمين من حيث المبدأ لم يشاؤوا أن يأخذوا عن القـدمـاء الـذين كـانـوا وثنيين أو الـذين نسخت الشـريعـة الإسـلاميـة شرائعهم .

غير أن تعدد كتبه في موضوعات متقاربة جعل فيها أشياء من التكرار تنفع الذين يكتفون بقراءة كتاب واحد من كتبه أو كتابين ولا يضر الذي يجمع كتب صبحي المحمصاني في مكتبة له .

وأدرك صبحي المحمصاني أن المؤلف لا يستطيع أن يستنفذ المعارف الإنسانية في كتاب ما ولا أن يحيط بآراء العلماء في قضية من القضايا ، فقيد صفحات كتبه بالحواشي التي تساعد المستزيد من المعرفة القانونية على الوصول إلى مظان ما يرغب في التوسع فيه ، هذا بالإضافة إلى قائمة بالمصادر والمراجع ما عم منها وما خص - في العربية والأجنبية في الصفحات الأخيرة من كل كتاب من كتبه .

ما كتب عنه بعد وفاته*

(*) إعتمدنا في ذلك التسلسل التاريخي حسب نشر المقالات في الصحف والدوريات الصادرة في لبنان .

عمر فرّوخ

العلمُ والأخــلاقُ تـبكـي والحَـجَـرْ تبكِي لمـوتِ مضيئِها ، تبكي عُمَـرْ

صــرحٌ هــوى من غيـر إذنٍ مسبقٍ لِمَ قَدْ هَوَيْتَ ونحنُ في زمنِ الخـطرْ

قـدْ كنتَ سيفـاً في العلومِ مُشَـرَّعـاً قـدْ كنتَ شمسـاً يستنيـرُ بهـا البشــرْ

فيـكَ المعـارفُ جسَّـدتْ آمـالَهـا فيـكَ المكارمُ صـوَّرتْ أَحلى الصورْ

حــاجَجْتَ كـلَّ منــاقشٍ وَهَـزَمْتَـهُ بـالمنطقِ المنسـابِ مِنْكَ كمـا الدُرَرْ

أمــا المجـامـعُ كنتَ فيهــا سيـداً كنتَ السَّنَـا والمبتـدا كنتَ الخبــرْ

ربــاهُ إرحـمْ عــالـمـاً مُتَنَسِّكـاً واجعــلْ جنــانَـكَ دارَهُ والمستقــرْ

بقلم د. عمار الحوري

عمَر فروخ*

توفي ، أمس ، المفكر والمربي الكبير الدكتور عمر فروخ ، عن عمر يناهز الـ ٨١ عاماً ، قضى معظمها في حقل التعليم .

آراؤه ومواقفه اتسمت بالوضوح ، والتزمت بمبادىء آمن بها ، فكانت تجد من يناصرها ، وكذلك من يعارضها ، لكنها كانت دوماً موضع احترام من الجميع .

لم تجتذبه المناصب ، بل آثر البقاء كمرب ، واختار العمل في إطار « جمعية البر والإحسان » التي يتولى رئاستها ، وكذلك عضوية مجامع اللغة العربية في كل من القاهرة ودمشق وبغداد ومجمع البحوث في بومباي .

التقدم في السن لم يثبط عزيمته في حقل التأليف في السنوات القليلة الماضية ، إلى أن فجع في مطلع هذا العام ، بمقتل ابنه الدكتور مازن بقذيفة سقطت قرب السفارة الكويتية ، فعاش في ضيق نفسي حتى توفي أمس .

الدكتور فروخ من مواليد العام ١٩٠٦ ، تخرج من الجامعة الأميركية في العام ١٩٢٦ ونال شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة هال في ألمانيا في العام ١٩٣٧ ، وعمل في حقل التعليم بمختلف مراحله ، في مدارس المقاصد والجامعة اللبنانية وفي بلدان عربية عدة ، وله العديد من المؤلفات التربوية والفكرية .

---

* السفير ١٩٨٧/١١/٨ .

مات عمر فرّوخ (١٩٠٦ - ١٩٨٧)*

مات في بيروت الدكتور عمر فروخ حامل القلم للعلم والفكر ، والمربي الذي حمل المعرفة إلى طلابه لسنوات مديدة في التربية والتعليم .

رحل عن ٨١ سنة مثمرة ، نشيطة ، وما مسه وهن في الكتابة حتى منذ مقتل ولده مازن قبل بضعة أشهر بقذيفة ، وسقوط المصاب عليه جللاً في الداخل النفسي منه .

ولعل الدكتور فروخ أخصب جيله مؤلفات وكتابات ودراسات ومحاضرات ومقالات كان يرافق بها الحياة اللبنانية والحياة العربية والإسلامية ، هنا وهناك ، عامة .

---

* النهار ٩ /١٩٨٧/١١ .

العَقل النّاطور*

عمر فروخ ، الإسم المجادل ، الناظر إلى يومياتنا اللبنانية والعربية ، المدقق في الكلمات وما وراءها حين تكون سياسية ، أو أدبية ، أو إسلامية ، أو لاهوتية ، أو استشراقية ، واليقظ والحارس على التراث ، على الأصول والجذور البعيدة والقريبة والمتوارثة ، على الممتلكات الفكرية والعلمية ، والعقل المحاسب و « الناطور » أخيراً ، والمسرع إلى قلمه وإلى طبع المقالات على الآلة ، بفتح وضم وسكون وكسر .

عمر فروخ المربي ـ الأستاذ ـ المعلم ، يغيب عن العاصمة بيروت ، عن هذا الإطار المكاني الذي ابتدأ منه وفيه عارك وناقش وصوب وجهر وكتب قناعات لا تكاد تتغير إلا صوب إيمانه الجواني ، صوب حقائق وطيدة ثابتة في كيانه العميق ، في كثافته وقماشته الذاتية .

وغيابه ، منذ أمس ، وهو المتين الذهن والصلب الذي اهتز منذ موت ولده هذه السنة في فاجعة أحداثنا وحروبنا ، غياب يحمل معه ويطوي منهجاً لا بد من الإعتراف بأنه ، ولو مناقضاً ومضاداً ، منهج علمي ، ولو انتهت الحقيقة عنده ، بناءً عليه وعلى طريقته ، إلى مأواها المتباعد المعروف ، إلى صرحها المنفتح على أصولها فقط ، وإلى كونها مكتفية ، مرتوية بالذي أدركته من عظمة سابقة ومستمرة ، مزيجاً من الماضي المتصل بالحاضر ، بل لا يكادان ينقطعان ، وفعل كثيراً في هذا الاتجاه بغية التركيز والتدليل إلى نقاطه وإظهار ما بدا كأنه دفاع عما هو مشوه ومزيف وناقص بأيدي الآخرين ، بأيدي الفئة البعيدة الغريبة عن محوره الكلي .

---

* النهار ١٩٨٧/١١/٩ .

عمر فروخ إتخـذ مهنة المـربي ـ المعلم ـ الأستاذ ودائمـاً ، بغلبة هـذه الصفة ، طالما شقلب في النصوص نحو الصحيح ، وبدل وغيّر ، وطالما في حقل التعليم ، ذهب مذاهب المتشدد ، فكان تأثيره واضحاً هنا ، على مدى هـذه المرحلة من تـربيتنا اللبنـانية . ألـم نقـل أنه الحـارس ، وأن دوره هكذا مارسه وألف بـه كتباً غـزيرة في التـاريخ والعلوم ، ومـا انقطع يـوماً عن هـذا الدور من منبره المعنوي وعن حياة ذهنية علمية ، وعن نقل الوقائع بكـل دقة ذاك المربي الراغب في إيصال المعرفة التي يراها . واستطاع لهـذه المعرفـة « التي يـراهـا » ، أن يكـون النـاقـل البـارع والمبلغ الأمين بحسب التقـاليـد الأكاديمية والتقاليد الأدبية الصرفة ، وكان أثره ، بمن هو وكمـا هو ، واضحـاً في النشء اللبناني طويلاً ، وله أثره أيضاً في قافلتنا اللبنانية وموكب العلماء والمفكرين ، وشجرة في بستاننا .

« **الصفحة الثقافية** »

يلخّص أمة*

بقلم د. حسان حلاق

خسر لبنان والعالمان العربي والإسلامي علماً من أعلام الفكر والأدب والعلم والاجتماع .

الدكتور عمر فروخ (١٩٠٦ - ١٩٨٧) شغل المنتديات العلمية والمجامع الثقافية وأثرى الفكر العربي والإسلامي طوال حياته بالكثير من المؤلفات والمقالات والآراء الفكرية والأدبية والسياسية أيضاً .

لقد تميز « ابن خلدون » القرن العشرين بفكر ثاقب وجرأة افتقدناها في هذا الزمان . كان نشيطاً لا يكل ولا يمل ، وإلى أيام مضت كانت له ندوة في « النادي الثقافي العربي » عن صلاح الدين الأيوبي ومعركة حطين ، وإلى ساعات خلت قبل وفاته كان في نقاش علمي مع جمع من المفكرين حول « ابن تيمية » .

كان حريصاً على الصداقة ، عاملاً لاستمرارها ، لأسبوع مضى زرنا معاً والأستاذ عبد الحميد فايد الدكتور زكي النقاش صديقه القديم في الدراسة والتدريس والجهاد الفكري والعلمي .

لقد اتصل بي الدكتور زكي النقاش معزياً باكياً ، بل أجهش على صديقه الوفي ، وبكينا معاً ، وشعرت في اللحظة ذاتها بأن أحباء الدكتور عمر فروخ وأصدقائه وتلاميذه بكوا معنا ، لأنهم خسروا المعين الفكري الذي كانوا يستمدون منه الفكر والعلم والأدب .

---

* النهار ٩/١١/١٩٨٧ .

من جالس الدكتور عمر فروخ أو عايشه أو صادقه يشعر بأنه يتعلم منهجاً جديداً في الحياة .

إن الدكتور عمر فروخ من الرعيل الأول ، لكنه ليس تقليدياً .

إن الدكتور عمر فروخ من المخضرمين ، لكنه ليس متزمتاً .

بكلمة موجزة إن الدكترعمر فروخ يمثل أمة ، بل تلخص شخصيته كل ما هو حق في هذه الأمة .

أمة أنجبت عمر فروخ يحق لها أن تفخر بهذا الإنجاب ، وأن تتباهى به أمام بقية الأمم .

ذهَب علم كثير*

بقلم د. ميشال جحا

في كتابه « غبار السنين » الذي يسرد نبذات عن حياته ما بين سنة ١٩١٦ و١٩٨٢ ، أي منذ صباه حتى شيخوخته ، يقول الدكتور عمر فروخ :

« ليس من الضروري - في سبيل معرفة ظواهر الأمور وبواطنها - أن تنتظر حتى يتراكم غبار السنين على كتفيك ، بل يكفي أن تنظر إلى الغبار المتراكم على أكتاف الآخرين » .

لقد جهد طوال حياته في نفض الغبار عن أكتاف التاريخ والآخرين .

منذ أسبوع كان يحاضر من على منبر النادي الثقافي العربي في ذكرى مرور ٨٠٠ سنة على معركة حطين ، وبعدها نقل بعض الأخبار من مصادرها تساءل بمرارة : أين هو صلاح الدين منقذ الأمة العربية اليوم ؟

عرفت المرحوم الدكتور عمر فروخ منذ ما يقارب الأربعين سنة واستمرت صداقتي معه حتى آخر يوم في حياته .

غالباً ما كنت ألتقيه في مكتبة يافث في الجامعة الأميركية حيث كان ينكب ، على رغم شيخوخته ، على البحث والتنقيب ومراجعة كتب الأصول والمراجع .

درس في ألمانيا قبل الحرب العالمية الثانية (١٩٣٥ - ١٩٣٧) وتأثر بأخلاق الشعب الألماني وجده ومثابرته واحترامه لنفسه وللنظام وللقانون . وهو يكره الكسل والكسولين نادراً ما رأيته إلا وهو يحمل كتباً . حياته جد

---

* النهار ٩/١١/١٩٨٧ .

ودأب وعمل متواصل . لقد ترك نيفاً وستين كتاباً تدور حول اللغة والأدب والشعر والتاريخ والفكر والفلسفة والتربية والاجتماع . وهي بالعربية والألمانية والإنكليزية والفرنسية .

لم يكن عمر فروخ يهتم بالمظاهر أو ينجرف مع التيار أو يؤخذ بكل جديد . هو محافظ بطبعه . صادق مع نفسه وصادق مع الناس . يؤمن بأنه لا يمكنك أن تصلح الآخرين إذا لم تكن أنت في نفسك صالحاً . وهو منسجم مع نفسه وكذلك متشدد معها . لا يساوم أو يمالق لمنفعة أو لربح مادي .

مؤمن متدين يرى أن الدين والعقل لا يتنافران وإن الدين لا يكون مع التعصب .

منفتح يرى أن للعلم سلطاناً وأن فيه منجاة الأمة العربية وخلاصها . وهو متمكن من اللغة العربية ولذلك كان عضواً في الكثير من المجامع اللغوية ، ومتشدد في المسائل اللغوية لا يقبل إلا الصحيح والموثوق ولا يميل إلى القياس أو يقبل الاجتهاد .

ولعل المهنة التي آثرها في حياته هي التعليم . لقد مارسها طوال ما يقارب الستين سنة . وكان أستاذاً ناجحاً على كل المستويات .

جاء في تكريم الحركة الثقافية - أنطلياس له السنة الماضية كأحد الشيوخ المفكرين القدوة إنها تكرم فيه : « العقل اليقظ والإرادة المثابرة على البحث والتأليف مدة خمس وخمسين سنة ولم تن » . إلى أن تقول :

« ... ففي وسعك ألا تحب عمر فروخ ، وفي وسعك أن تخاصمه ، إلا أنه لن يكون في وسعك ، إذا كنت شريفاً ، إلا أن تحترمه وإلا أن تعترف له بسعة الاطلاع وبعد النظر » .

لقد آثرت فيه فاجعة ابنه الدكتور مازن لكنه تجلد وتصبر لأنه مؤمن

بقضاء الله وقدره . وعلى رغم قاصمة الظهر تصابر ولم ينقطع عن العمل والتأليف وكان يحدثني عن مشاريعه المستقبلية وعن الكتب التي ينوي إنجازها .

لكن الإنسان يقدر ما يقدر وينسى أن للقدر فيه مشيئة لا يقدرها .

لقد عاش حياة متواضعة هي صفة العلماء . ونال جائزة رئيس الجمهورية سنة ١٩٧٠ على مجموع آثاره .

إن وفاة الدكتور عمر فروخ خسارة كبيرة للوطن وللأمة العربية .

يا أخي عمر لقد ذهب بموتك علم كثير .

إذا ماتَ عَالِمٌ ماتَ عَالَمٌ*

بقلم د. هشام نشابة*

إذا مات عالِمٌ مات عالَمٌ . والعلماء ورثةُ الأنبياء . وخيرهم من نذر نفسه لخدمة دينه ووطنه والإنسانية . وأكثرهم نفعاً من علَّم الناس وكان لهم قدوة في خُلُقه وتواضعه وسيرته عموماً . ولقد كان عمر فروخ كل ذلك ، لذلك كانت خسارتنا به خسارة فادحة . هيهات أن تُعوّض .

كان يضطرب في هذه الحياة إضطراب الرجل العادي ، لا يهمه من حطام هذه الدنيا شيء ، تكاد إذا نظرت إليه تقتحمه عينك ولا تراه . فإذا عرفته قلت : أهذا عمر فروخ العالِمُ المعطاء وأستاذ الأجيال والمناقش الصلب ذو الحجة الدامغة والرأي السديد والإيمان العميق الذي يجابه الباطل بلا رحمة وينتصر للحق فلا يلين .

عرفته ، أولُّ ما عرفته سنة ١٩٥٢ أستاذاً في مدارس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت ، وأعجبت ببساطة معشره وسعة اطلاعه . فسألته يوماً عن أعمق الأمور أثراً في نفسه . فأجابني على الفور : هو الإسلام تاريخه وتراثه وحاضره ومستقبله ، ثم راح يحدثني عن المستشرقين والمبشرين كيف شوهوا هذا الدين وحاولوا النيل منه ، وكيف انبرى هو بعد ذلك يرد على افتراءاتهم ، ولكنه حدثني أيضاً عن فئة قليلة منهم عرفهم في الجامعة الأميركية في بيروت كانوا أناساً طيبين ومحبين ومقدرين للتراث العربي والإسلامي . فقد كان عمر فروخ منصفاً محباً للعلم ملتزماً بقواعده وأصوله ناقداً لاذعاً لمن يدعي العلم أو يستعمله وسيلة لترويج الباطل .

---

* السفير ١٠/١١/٨٧ .

(*) ـ د. هشام نشابة : عميد التربية والتعليم في جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت .

شكونا مرة في مدارس المقاصد من تشويه تاريخ لبنان وتصويره كما لو أنه تاريخ لا يمت إلى العروبة والإسلام بصلة . فلجأنا إلى عمر فروخ ليكتب لنا تاريخاً مبسطاً للبنان لتدريسه لناشئتنا . فأنتج في غضون أشهر قليلة سلسلة من كتب التاريخ التزمت ببرنامج التعليم الرسمي من جهة وبالتوجيه العربي والإسلامي من جهة أخرى واعتمدتها للتدريس مدارس جمعية المقاصد سنين عديدة وما تزال هذه السلسلة أساساً صالحاً لوضع كتب تاريخ لبنان للمرحلة الابتدائية .

إنني أرثي عمر فروخ المعلم المخلص والمجاهد في سبيل الحق طوال حياته ، والإنسان الوفي لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت .

ظل عمر فروخ يعلم في مدارس المقاصد حتى سنوات قليلة ماضية وفي وقت كان التعليم الجامعي والتأليف أحق بوقته من تلامذة المدارس الثانوية . ولكنه كان يؤثر تعليم أبناء المقاصد على كل عمل آخر مهما علت رتبته وعظم شأنه . ولعله كان يرى في ذلك خير تعبير على وفائه للجمعية التي رعته لفترة قصيرة من حياته الدراسية بل لعله رأى في التعليم الوسيلة التي يحمد بها ربه على ما أعطاه من علم غزير واطلاع واسع . عملاً بقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « زكاةُ العلم تعليمُه » .

لقد برع عمر فروخ بالعلوم الإنسانية كما برع بالعلوم الدقيقة أيضاً . فكان إذا سئم من معالجة المواضيع التاريخية أو الحضارية أو اللغوية أو الفلسفية عمد إلى الجبر والهندسة والفلك يروّح عن نفسه بحل مسائلها . وكم من مرة أدهش إخوانه وتلامذته بحل أعقد المسائل الرياضية بأسلوب فريد وطريقة مبتكرة . لقد ألّف عمر فروخ أكثر من خمسين كتاباً ، وكتب مقالات لا تكاد تحصى ، ودرّس في عدة جامعات عربية في لبنان وسوريا والعراق ، وحاضر في جامعات ومؤتمرات عديدة أخرى ، وكان عضواً في

المجامع العلمية العربية .

إن شهرة عمر فروخ شهرة عالمية فخسارة مجتمعه بـه جزء من خسـارة أعظم وأعمّ . ولكننا في هذا المقام ، لا يهمنا أن نشيد بعلمه وفضائله بقـدر ما يهمنا الإشادة بما ينفعه في آخرته ، لقد كان عمر فروخ رحمه الله قبـل كل شيء إنساناً مؤمناً . آمن بالإسلام إيماناً لم تزعزعه موجات الإلحاد والتغريب التي تعرض لها جيله . صلى وكان مواظباً في صلاته ، وصام صيام العابدين والزهاد وزكى عن علمه وماله . وحج إيماناً واحتساباً ، وجاهد جهاد الابطال بفكره وقلمه عن أمته وقومه وعشيرته وأهله في بلده وتحت كل سماء . .

رحمه الله وطيب ثراه .

بـاسم الهيئة التعليميـة في جمعية المقـاصـد الخيـريـة الإسـلاميـة في بيروت ، وباسم تـلامذة مـدارس جمعية المقـاصد ، أتقـدم لحرمـه المصون بأعمق المشاعر بالعرفان بالجميل للراحل الكريم ، تغمده الله برحمته وألهمنا وإياهم جميل العزاء وعوضنا بهم عنه خيراً .

عمر فروخ . . كلمات وذكريات*

بقلم : غازي فريج

الدكتور عمر فروخ ـ رحمه الله ـ أحد اثنين لا تستطيع أن تؤرخ للتربية والتعليم في لبنان من دون أن تأتي على ذكرهما .

أما أولهما فهو الأستاذ عبد الله المشنوق ـ عافاه الله ومد في عمره ـ الذي اختار قبل نحو ربع قرن أن يركب بحر السياسة فخسرنا بذلك مربياً كبيراً ، ولا غرو ، فما داخلت السياسة شيئاً إلا أفسدته !

أما الدكتور عمر فروخ فما عرفناه منذ عرفنا العلم والمعرفة إلا مربياً ومعلماً ، وعندما ودعناه بالأمس فإنما ودعنا به مربياً ومعلماً تخرجت على يديه أجيال متتالية على مدى أكثر من نصف قرن .

كلا الرجلين شغلته الصحافة والتأليف ، وكلاهما إنغمس في العمل الاجتماعي وفي مشاغل الحياة العامة ، وكلاهما تعاطى العمل السياسي بشكل أو بآخر . . فأما الدكتور عمر فلم يجد مهنة تفوق التدريس شرفاً وقدسيةً فلذلك اختارها مهنةً في حياته ولم يفضل عليها أي شأن آخر ، على أن ما سنح له من فرص يعرفها العارفون ، كانت كفيلة بأن تزحزح الكثيرين ممن يتولون شؤون التربية عن كراسيهم إلى نوع آخر من الكراسي أكثر لمعاناً وأشد إغراءً ! عمر فروخ كان يعرف تماماً ماذا يريد لقد اختار طريقه وحدد هدفه منذ البداية بكل صدق مع الذات ومع الآخرين . . أراد أن يكون مربياً ومعلماً وهكذا كان ، وهكذا ينبغي أن يكون كل من يحمل على كاهله رسالة التربية والتعليم . لم تفتنه المغريات ولم تخدعه الترهات ولم ينغمس في

---

* اللواء ١٠/١١/٨٧ .

نفاق السياسة رغم آرائه الصائبة فيها وآثر أن يبقى على العهد باراً بدينه وبأمته وبهذه الأجيال التي نهلت من معين علمه عاماً بعد عام .

كـان من تلامـذته وزراء ونـواب وسياسيـون ومدراء وأصحـاب مناصب رفيعـة في شتى مجالات العمـل ؛ كانت وجـوه كثيـرة تمـر بـه على مقـاعـد الثانويات وفي قاعات الجامعات وكانت حافظتـه تحفظ أسماء كثيـرة للواردين والصادرين عن حياض علمه وفضله ، ومع مرور القدماء ومجيء الجدد يبقى هو كما عهدناه دائماً يتأبط تلك الأوراق الغاليات ويسرع في مشيته خشيـة أن تضيع دقائق لا ينبغي إضاعتها عند من يعرفون قيمة الوقت . . .

عندما وصـل أحد تـلاميذه إلى منصب رفيـع في الوزارة بعـد الاجتياح الإسرائيلي سنة ١٩٨٢ كان له تعليق على واقع الحال . قال : بعض حكامنـا يهدرون وقت هذا الشعب وبعض تلاميذنا ينسون ما كنا نعلمهم عندما يركبون الكـراسي ! ولم يزد على ذلـك شيئاً . ومـا كان أصـدق هذه الكلمـات آنئـذٍ وما أصدقها في كل آنٍ .

الدكتور عمـر فروخ ، واحـد من المربين الـذين تبقى تذكـرهم بعد أن تترك المدرسـة والجامعـة ، فهو لا يعلمـك فقط مادة للدرس والحفظ بـل هو يعلمك مع ذلك معاني الحياة ويهيئك للخروج إلى المجتمع الأرحب ويـربط في تفكيرك بين ما هو نظري مثالي وما هو واقعي عملي .

سأله أحدنا ـ متهكماً ـ يوم كان يدرسنا الفلسفة قال : يا أستاذ ما الفرق بين العامة والخاصة في مفهوم ابن سينا وابن رشد ؟

فقال رحمه الله : إسمع الآن . . بعد كـل ما شـرحناه لا ينبغي لـك أن تسـأل مثل هـذا السؤال ! ولكن عليك أن تعي المثـال الذي سـأضـربـه لـك الآن : إذا دعوتنا إلى الطعام ثم وضعت على مائدتك خبزاً وقدمت لنا بـطاطا وأرزاً ومعكرونة فلا شك أنك من العامة ، أما إذا أطعمتنـا خبزاً وأرزاً ولحمـاً وخضاراً فأنت من الخاصة ! ضحكنـا يومهـا ملياً . . . ولعـل أكثرنـا لـم يفهم

المقصود تماماً بهذا المثال الطريف . . ولكن عندما خرجنا إلى الحياة بعد سنين بقيت هذه الصورة ماثلة في أذهاننا وصرنا معها أكثر استعداداً لأن نفهم ما أردنا أن نفهمه . من يضع أموراً كثيرةً في غير مواضعها فهومن الدهماء والعامة أما الذي يضع الشيء في موضعه الصحيح فهو أهل لأن يكون من خاصة القوم . . هكذا أرادنا أن نفهمها وهكذا فهمناها ! . .

كان أصعب مواقف التدريس عنده ـ رحمه الله ـ أن يوفق بين ما هو ديني وما هو فلسفي . كان يجهد لإزالة الإبهام من رؤوسنا بشرحه الوافي مستخدماً في كثير من الأحيان الرموز والمعادلات الرياضية كوسائل للإيضاح ، تعلمنا منه أن الفلسفة علم لا ينبغي التفريط به أمام من لا يفهمه . فالفلسفة ضارة بمن ليس قادراً على فهمها ، أما الدين فهو ، بحر يمكن لجميع الناس أن يسبروا غوره ، كل حسب مقدرته على العوم والغوص ، وكل قادر على أن يأخذ منه بنصيب ، ولذلك كان حريصاً على ترسيخ المعاني الدينية في نفوس الناشئة مع أنه كان مدرساً للفلسفة .

الدكتور عمر فروخ ، ودعناك بالأمس فودعنا بك ثمانين سنة ونيفاً حافلة بالعطاء والصدق . . ودعنا تاريخاً من البطولة الفذة يصنعها الفكر النير والقلم الحر والقرطاس النظيف . حسبك إنك عشت كريماً ومت كريماً . . لم تطأطيء هامة ولم تتزلف لدى ذوي الجاه ولم ترق كرامة العلم على أعتاب السلاطين . . أقول هذا ومعي عشرات الألوف من تلاميذك يشهدون والمئات من كتبك وكلماتك ومحاضراتك كلها تشهد فما أعظمها شهادة وما أعظمك شهيداً . .

عمَر فرّوخ*

بقلم : سعيد الصبّاح

صباح الأربعاء ٤ تشرين الثاني كان الدكتور عمر فروخ ـ كعادته ـ في رياضة المشي وهو متأبط كتاباً ؛ ولما بادرته بالتحية والسؤال عن الأحوال ، ابتسم بمرارة وقال : « الحمد لله ، الذي لا يحمد على مكروه سواه . بعدما آل إليه وضع البلد من انهيار وتفتت ، وبعد فجيعتي بفقد ولدي الدكتور مازن بت أمام خيارين : الصبر أو الكفر . ومعاذ الله أن آخذ بالخيار الثاني ، فلا يمكن للمؤمن إلا الصبر والاعتصام بحبل الله ، إنه الفوز الحقيقي في الامتحان » .

خاطبته : « أستاذنا ، عند كلمة « امتحان » عدت بذاكرتي إلى زمن كنت فيه طالباً مقاصدياً في ثانوية علي بن أبي طالب (ع) ، وفي ذهني قصة معبرة رويتها في باحة هذه الثانوية ، عن ذلك الأب الذي ما انفك ينعت ابنه بصفة « الولد » الذي ما لبث مع مرور الأيام أن صار « والياً ». فأراد أن يبرهن لوالده أنه بات رجلاً عظيماً وليس بالولد ! فأعطى الأوامر إلى رجاله بجلب أبيه إلى حضرته ، فظن هؤلاء أن من طلبه الوالي إليه من المجرمين الخطرين ، فأحضروه مكبلاً مهاناً ، فلما شاهده ابنه الوالي بادره بالقول : أرأيت كيف أصبح ابنك ، فضحك الوالد والألم يحز في نفسه وهو يردد : الولد ولد ولو حكم بلد » .

قال الأستاذ الدكتور وعلامات الرضى على محياه : « على ذكر الإمام علي (ع) يا ليت القيمين على أمور هذا البلد يقتدون بنهج هذا الخليفة العادل ، ألم يروا كيف غلب المصلحة العامة للأمة؟ ليتهم يقرأون ويعملون

---

* النهار ١٠/١١/٨٧ .

بالعهد الذي كتبه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر .

« أترى أحوال هـذا البلد ، يومـاً هبة بـاردة . يومـاً هبة سـاخنة . وأنـا متأسف أشد الأسف لأن الأحداث المؤلمة في بيـروت أدت إلى إلغاء النـدوة التي كنت سـأشارك فيهـا في الذكـرى الخمسين لرحيـل العالم حسن كـامـل الصباح ، على كل حال أنا مستعد للمشاركة في أية نـدوة فكريـة تدعـو إليها «لجنة الصباح الوطنية» في ذكرى رحيل هذا العالم المخترع الذي جمع ما بين العلم والإيمان .

ـ هذا شرف لنا وإغناءً للإحتفال بذكرى الصبـاح ، لكنني الآن أسعى إلى حوار معك كي أنشره في « النهار » .

ـ بكـل سـرور إتصـل بي صبـاح الأحـد ، ورقم هـاتف منـزلي في مفكرتك كما أعتقد ، ولسوف نتفق على موعد هذا الحوار » .

استفقت صبـاح الأحد ٨ من الجـاري وإذا نعي الأستاذ الـدكتور عمـر فروخ يعم الصحف ووسائل الاعلام .

رحمك الله يا أستاذنا الجليل .

عمر فروخ ذلك الموسوعي الشامل المعرفة مفهوم متقدم للفلسفة الإسلامية والوعي التاريخي*

بقلم : عمران القيسي

عرضياً كـان اللقاء معـه ، حالـة من التهيب تجتاحـك وأنت تحاول أن تبدأ حواراً مـع رجل من صنف عمـر فروخ ، ذلـك أن هذا الإنسـان المملوء بالوعي سيكون جاهزاً للإجابة على كل أسئلتك مهما كانت ذهنية . . وكان الحديث حول مسألة وعي الفكر الرياضي ضمن المعادلات الثقافية العـامة ، فـإذا كـان المنـطق الـريـاضي المجـرد يعني البحث في عبـر أكثـر الصيـغ موضوعية وعقلانية واختصاراً للوصول إلى نتائـج غير احتمـالية ، وأكيـدة إلى حـد كبير ، فـإن اعتمـاد المنـطق الـريـاضي ذاتـه في الـوصـول إلى جـوهـر المعادلات التركيبيـة للمنطق بشكله الأشمـل ، سوف تجعـل من الريـاضيات أسلوباً تحليلياً آخر ، يضاف إلى جملة الأساليب مسانداً مناقضاً لها .

كان الحديث يدور حول نظرية « هوميروس لوغوس » التي تقول أن كل شيء في الكون سيبقى مرتبطاً بنظامه الهندسي الصـارم والمحدد . . من هنـا كان رأي عمر فروخ أيضاً ، بأن وعي المنطق الـرياضي كمـا يجب أن نعرف نحن أيضاً ليس منافياً ولا متناقضاً مع الوعي الديني ، بـل ولا حتى مع حـالة التصـوف . وإذا أخذنـا نظام « حسـاب الجمل » والمـربـع السحـري الـذي اعتمده البعض منهجاً صـوفياً ، فسـوف نصل إلى نتـائج بـاهرة على مستـوى موقفنا النقدي من مسائل الحداثة المطروحة شعراً ونقداً وقصة وأسنه .

لقد فتح « عمر فروخ » أفقاً كبيراً أمام رعيل النقاد الشباب ، فهـو ذلك المعلم الـذي طالمـا قال بضـرورة الوعي العلمي ، بمعنى المنهجيـة العلمية

---

* اللواء ١١/١١/١٩٨٧

في النقد ، وهو ذلك الذي اعتبر أن معرفة المثقف العربي بـالعلوم العصريـة على مستوى الفيزياء والكيمياء والرياضيات سوف تجعله أكثر التصاقـاً بحرفـة الأدب ، إذ ليست قضيـة الوعي الأدبي الثقـافي مقتصرة على العلوم النـظرية الإنسـانية المجـردة فحسب ، بل هي قـطعاً تـرتبط بكل معـطيـات العصـر ، وما تتفاعل فيه وضمنه من تحولات ومؤثرات لا يمكن تجاوزها .

إن عمـر فـروخ لم يكن أيضـاً على شـاكلة ذلـك النمط من المؤرخين المعاصرين الذين يركنـون إلى مسلمات المـاضي بكل مـا فيها من مغـالطات وتعميات ، بل كان عقلانياً يتفحص التاريخ بمنظار خطير يفرز من خلاله بين ما هو جوهري مؤثـر وثانـوي دخيل . ومن قـرأ كتابـه « العرب في حضـارتهم وثقـافتهم » فسوف يعـرف أن هذا المفكـر الكبيـر لم يتحـدث عن الحضـارة العربية بوصفها تلك الظاهرة المدهشة المثيرة للإعجـاب ، لأنها مجـرد وعي متألق سريع داخل ذلك البدوي الذي تفاعل بسرعة مدهشـة مع عصـره ، بل تعامل معها (أي الحضارة العربية) كنتـاج طبيعي لحالـة التوثب التي رافقت اندفاع الإنسان العربي الذي بات يقترب من حضارة العالم ، أو بالأحرى من جوهر حضارة العالم حاملاً معاييره النقدية بكل ثقة ووعي .

إن الثقافة العـربية ليست سلسلة من « المـوروثات » ، وهي بـالمقابـل ليست كـومة من « المنقـولات » . بل هي حـالـة نـادرة من حـالات تفـاعـل الموروث والمنقول وصولاً إلى جوهر آخر يخص مـدلولات حضـارية تتحـول مع الزمن إلى غربال تمر عبره كل حضارات العالم .

إن كتـابه « كلمـة في تعليل التـاريخ » سـوف يوضـح لنا زمن مـا بعـد الملابسة التفسيرية لمسألة التاريخ ، عربياً كان أم موضعياً شامـلاً فالـذي يراه عمر فروخ بأن مسار التاريخ لا يخضع مطلقاً لمسار الصـدفة ، وكـذلك ليس هـو من ابتكار ذلـك الفرد العبقـري ، بل هـو نتاج التـراكم الكمي والتحـول النوعي لوضع برمته ، إن التاريخ يعزى لحالات التحول وحدها ، لذلك ليس

هناك من حالة قادمة من اللامكان واللازمان ، بل هي قطعاً نتاج تفاعل كبير على مستويات عدة .

عمر فروخ المؤرخ ، سوف ينأى بنا بعيداً عن ترهات السفسطة ، وعن كون التاريخ حكاية بسيطة ساذجة يرويها راوٍ أعمى ، فهو قد أدخل أسلوب التحليل العلمي على مستوى التاريخ ، أو بصورة أدق على صعيد إحداث التاريخ وتحولاته . ويكفي أن نقرأ لعمر فروخ كتاب « العرب والإسلام في الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط » لنتعرف على تاريخ هو أبعد من تاريخ الغزوات ، فها هو « فروخ » يبدأ من حيث انتهى « الواقدي » في فتوح الشام ـ ليدخل في مسألة طالما تناساها المؤرخون ، وهي كون الإسلام في هذه البقعة بالذات كان الضرورة الحتمية التي بدونها لا تنهض حضارة متوسطية تؤثر على مستقبل المنطقة حتى عصرنا الحاضر .

وعمر فروخ الأديب سوف يكتب أجزاءه الستة عن تاريخ الأدب العربي منطلقاً بأسلوب تحليلي يبدو بمثابة الرد على اتجاهين مضادين ، أحدهما أدبي ، إن تاريخ الأدب العربي منتحلاً ، وثانيهما يحيله إلى ظواهر بالغة الشخصانية ، فها هو فروخ يطرح موضوع الأدب من زاوية التفاعل الذهني بين الذات والموضوع ينزل الأدب منزل الضرورة .

ولكن ماذا عن عمر فروخ الفيلسوف ، ذلك المؤمن بوحدة الفكر الفلسفي ، والمتعامل نقدياً مع مسألة المعرفة . وشعاره ما دامت الشمس للجميع فلم لا تكون المعرفة ملكاً للجميع أيضاً .

لنقرأ معاً عمر فروخ يتحدث عن مسألة الفلسفة وعلاقاتها بالدين ، فهو يرى : « أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي دعا الإنسان إلى التفكير في كل شيء حوله ، وفيما هو بعيد عنه أيضاً ، وقد نتج من ذلك أن المسلمين تناولوا الفكر الفلسفي من الأمم السابقة فتوسطوا فيه وأصلحوا منه ما كان فاسداً وزادوا عليه ثم وهبوا جهودهم هذه للناس جميعاً ، ولم تهتز الشعوب

الحديثة بهدي العقل إلا بعد أن استناروا بنور فلاسفة الإسلام ، وبينما كانت الفلسفة عدوة للدين عند النصارى كانت الفلسفة في الإسلام كما يقول « ابن رشد » صاحبة الشريعة والأخت الرضيعة » .

ويربط عمر فروخ ربطاً محكماً بين الإسلام والعروبة ، وهو يرى : « أن أحسن الأمثلة على التراث في الإسلام هي اللغة العربية ، إنها قد اتسعت في أوجهها من غير أن تتبدل أو تنحدر عن فصاحتها ، إن العربي « والعربي معناه المسلم في الاستعمال المألوف » يتكلم اللغة التي كان الجاهلي قبل خمسة عشر قرناً أو تزيد ينظم فيها الشعر ، أما اليوناني اليوم فهو لا يعرف لغة « هوميروس » وإن الإيطالي لا يعرف لغة « يوليوس قيصر » ، والإنكليزي لا صلة له باللغة التي تكلمها إسلافة من قبل وليم الفاتح عام ١٠٦٦ للميلاد ، وهي الفترة المرادفة لأيام الإمام أبي حامد الغزالي .

واللغة العربية لا يزال لها صرفها ونحوها الكاملان وبلاغتها وعروضها ، وقد استطاعت أن تتناول ألفاظاً من لغات أجنبية فتتمثلها .

ولم يستثن عمر فروخ في ذهنه الواسع وبحثه الشامل أي صنف من صنوف المعرفة ، فها هو يتطرق في آخر بحث له عنوانه « شبه المقدمة للتراث الإسلامي » مسألة الفن الإسلامي ، فهو يرى : « إنه لم يكن للعرب في الجاهلية ما يمكن أن يسمى فناً إلا الأدب ، ولكن لما انطلق العرب في العالم القديم وأبصروا ما كان عند الأمم من الفنون أخذوا ما كان منها موافقاً لأذواقهم مما ليس مخالفاً للتوحيد فقلدوه وزادوا هنا ونقصوا هناك ، وأنشأوا وجوهاً من الفنون الجميلة كان القدماء قد قصروا عنها .

ومظاهر التراث الفني في الإسلام كثيرة جداً كما يرى ذلك عمر فروخ ، ولعل أعجب ما أعجب ما عرفه البشر بسرعة التطور في وجوه التراث ، البناء في الإسلام ، إن العرب الذين خرجوا للفتح كانت الكثرة

الغالبة منهم من نجد ، بدأوا يسكنون الخيام ، ومع ذلك فقد أنشأوا من فنون

البناء في البلاد التي نزلوا فيها ما لم يكن لأهل الحضارات قبلهم مثلها . لقد استبدلوا بالبناء الروماني المكعب الأصم (الذي لا نوافذ فيه) جدراناً رشيقة ذات نوافذ وأدراج ، وفرشوا أرضها بالقيشاني والفسيفساء ، كما جعلوا في أعلاها المقرنصات ، وبما أن صور البشر والحيوانات لم تكن مألوفة كان التزيين في القصور اتجه نحو الأشكال العربيات (أرابسك) المؤلفة من أشكال هندسية وأغصان تتشابك ، فأصبحت الأبنية التي كانت على هذا الشكل تراثاً يأخذه نصارى أوروبا على أنه عربي أصيل بينما هو معرب مزيد فيه .

هكذا كان يحلل عمر فروخ الحضارة العربية الإسلامية ، وهو إذ ينظر إلى هذه الظاهرة الإنسانية الفريدة من هذا المنظار الفلسفي الدقيق لا يتقدم كمؤرخ وفيلسوف أحادي النظرة ، بل يتقدم تظاهرة حضارية ، يحق للبنان أن يفتخر بها ، ويترفع بها عن كل صيغ التعصب والعصبية . فعمر فروخ كان وسيبقى بتراثه الكبير ملكاً لكل لبنان ، لكل هذا الوطن المجروح في صميم حضارته .

وإذا كان حزننا على فيلسوفٍ يموت فيما الوطن يشنق على أيدي الجهلة من أبنائه ، ذلك لأننا كنا نحلم بأمثال عمر فروخ بناة لهذا اللبنان الذي هو منارة الفكر العربي والشرقي . وظاهرة فريدة في الانصهار بين شتى الملل والنحل والفلسفات .

« عمر فروخ » فيلسوف نواريه تربة هذا الوطن الذي أحبه ، ومنحه ، عصارة فكره المبدع الخلاق ، وكلنا آمل في أن يزهر فكر « فروخ » لبناناً آخر غير الذي نعيشه اليوم . فما من تكريم لفكر عمر فروخ مثل أن نؤسس على هدى وعيه وطناً يصير روضاً للفكر والحضارة .

إلى عمر فروخ
الصحوة والوعي*

بقلم : عمران . . .

فيما يضرب الوطن ضد ذاته ، ويقرر أن يصوم حتى الموت ، يرحل عمر فروخ ، حاملاً كتبه وأقلامه ومشاريعه ، حيث يرتكن هناك بعيداً عن الضوضاء .

غريب كيف يموت هؤلاء الفلاسفة تماماً كما يموت عصفور دوري مشاكس إنهم لا يحفلون إلا بما يفكرون ، وكأنهم يرسمون صورة أخرى للعالم المضطرب ، ترى هل ينظرون إلى الوطن من فوق ؟ أم أنهم يعيشون حالة الإندماج القصوى فيه ، إلى درجة لم يعد بوسع واحد منا أن يرى المسافة بين الوطن والفيلسوف ؟!

كيف يمكننا أن نجمع بين سقراط والعقوبة بمعزل عن كأس السم الذي سيرتشفه دفعة واحدة تعزيزاً لمعنى الامتثال للقانون والنظام ؟ ثم كيف يمكننا أن نفصل بين « فيتاغورس » والدائرة بغير حرية ذلك الجندي الروماني الأفرق ؟

بل كيف لنا أن نفصل بين العصي وساق العبد الرواقي « زينون » عبر حالة الكسرى التي لم تستخرج الصرخة من فم العبد المتفوق على الألم ؟

من هنا يستحيل علينا أن نفصل بين موت عمر فروخ وأزمة الوطن المستفحلة ، فهو من صنف لا يتحمل مطلقاً كل هذا العسف الواقعي المعيوش ، على أناس أحبهم ، وحاورهم ، كتب من أجلهم أيضاً .

---

* اللواء ١١/١١/٨٧ .

من يتصور عمر فروخ يمر مبتسماً وهو يرى ذلك الصف الطويل من الناس المنتظرين للرغيف ، فهو لا يعرف الرجل ، ولا يعرف أسئلته البسيطة الطيبة .

ولكن عندما يموت الفيلسوف تسقط الأسئلة رغم كونها بسيطة وبديهية حول جدوى إستمرارية الخطأ البشري . . أليس الخطأ الآدمي رد فعل على خطأ آدمي آخر . . فلماذا لا نوقف حركة رد الفعل المستمرة جيئة وذهاباً لكي نحصل على هدنة حقيقية تصير هي الحياة التي ليس فيها من استثناءات قذرة ومدمرة ؟

ربما يكون فروخ من صنف الحالمين أيضاً . . وإلا كيف استطاع أن يكتب ستين مؤلفاً في التاريخ والفلسفة والمنطق والأدب والسيرة ، وهو يعيش لجة هذا اللبنان المتلاطم ، الذي كان يبدو بلا غد لأنه يعيش دائماً يومه وساعته ولحظته التي يتحرك فيها ؟!

عمر فروخ ، عبقري أكاد أقول ولد في زمان ومكان آخر . . فلو قدر لواحد بمستواه أن يولد ويكتب وينتج في بقعة أخرى من العالم ، لما اضطر لأن تنحصر حياته في هذا المجال الإيضاحي ، وكأن أغلب ما كتبه كان إيضاحاً لما يفترض أن يكون واضحاً ، ولا قضية موته تصير بعضاً من أزمة وطن . . ذلك أن موت المفكر هو اللحظة التي كان يجب أن يتوقف عندها الوطن قليلاً .

عمر فروخ . . المعلم الذي كتب ليؤكد أن لبنان المفكر هو الأبقى ، ولبنان المُسيَّس الطائفي هو الزائل ، لا يغادرنا في لحظة انشغالنا بالبحث عن لقمة خبز أو قطرة بنزين ، بل سيبقى معنا مفكراً باحثاً عن حل لمشكلة هذا الإنسان اللبناني المقطوع من جذوره ، الواقف على حافة مصيره القلق ، وهو وحده الغائب الذي يستطيع أن ينقذ وطناً يحاول الحاضرون إغراقه وتدميره . .

عمر فروخ أنت أقرب إلينا الآن . . أقرب إلينا نحن الفقـراء ، البسطاء الذين تشغلنا مهنة البحث عن لقمة الخبز عن الوقوف أمام رفـاتك لحـظة من لحظات التأمل في هذا الكيان الآدمي الجبار والعقل الملهم الذي سيبقى حياً ما دام عرق يرتجف في هذا اللبنان الذي طالما أحببته أنت .

عمر فروخ الإنسان الكبير*

بقلم : عوض شعبان

سمعت باسم الدكتور عمر فروخ للمرة الأولى حينما كنت على مقاعد الدراسة الابتدائية . وكنا يومذاك نجهل سلسلة كتبه القيمة في الأدب العربي ، من شعر المعلقات إلى الشعر المخضرم والإسلامي ، والتي كانت تعتمدها مدارس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية . ولهذا حينما أطلعنا أحد المدرسين على عدد من مجلة « المكشوف » في الأربعينات ، لفت نظري إسم الدكتور عمر فروخ الذي ينتقد فؤاد إفرام البستاني في مقالة كتبها رداً على ما ذكره البستاني عن « حسن معاملة الصليبيين للمسلمين في لبنان » إبان السيطرة الصليبية على بلاد الشام في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين .

وبالرغم من استخفاف المجلة المذكورة بهذا النقد بحيث وضعت للمقالة عنواناً سخيفاً « عاصفة في فنجان » فقد أدركت من يومها أن هاجس هذا الإنسان هو الدفاع عن العروبة والإسلام ، ومنذ ذلك الوقت الذي كان من يجاهر برأيه يتعرض لسخط سلطات الإنتداب التي ما كانت في حقيقتها إلا وجهاً آخر من وجوه السيطرة الصليبية على بلادنا .

ومن استشهادات البستاني بابن جبير ليدلل على أن المسلمين كانوا سعداء في ظل الحكم الصليبي ، تبدى لنا أن الدكتور فروخ قد ساق من الشهادات لتبيان ظلم الصليبيين للمسلمين ما جعل البستاني يؤكد انحيازه لأعداء أمته ولو كانوا من أبناء دينه ومعاداته لهم لدرجة الانتصار للدخلاء على مواطنيه .

---

* السفير ١١/١١/١٩٨٧ .

وتتالى السنون ، ويظل الدكتور فروخ على موقفه في التصدي لمهاجمي العروبة والإسلام ، منافحاً عن رايات الحضارة الحقة التي رفعها المسلمون عالية في آفاق الكون ، مؤكداً دور العرب الرائد في تحضير العالم وخصوصاً العالم الغربي ، مستشهداً بأثر العقل العربي في الأندلس في قهر ظلام القرون الوسطى في أوروبا .

وتسنى لي أن أعرف الدكتور فروخ عن كثب ، حينما كنت طالباً في قسم التاريخ في جامعة بيروت العربية (سنة أولى) وكان هو أحد أساتذتنا . وقد أعجبت به ، لا لعمق تفكيره وغزارة علمه وحسب ، إنما لسعة صدره وزهده وترفعه عن المظاهر والمباهج الطارئة ، وهذا كان يتجلى في قيافته البسيطة ، إذ كان يرى الأناقة في اللفظ الحسن وليس في ربطة العنق الباهظة أو القميص الحريري أو الغليون ، كما يفعل معظم الأساتذة الجامعيين .

لقد تعلمنا منه الكثير ، وأهم شيء تعلمناه ، هو البعد عن الإدعاء والصغائر وإهمال الزيف . فكان وهو الأستاذ المرشد لا يشعرنا بالتفوق ، ولا يرطن بكلمات أجنبية مع أنه كان أحد فرسان اللغات الأجنبية ، لا سيما وهو خريج جامعات برلين وباريس أيام كان العلم علماً لا يمكن الحصول عليه إلا بشق النفس ومجالدتها . .

كان لا يبدو ذلك « الدكتور » ذا النبرة الساخرة والملامح المتعجرفة ، ولولا قصر نظره على ما أعتقد ، لما استخدم نظارة طبية . .

كان الدكتور عمر فروخ إنساناً كبيراً ، عاش بسيطاً ، علمنا أن المرء العظيم هو بقدر ما ينتج وما يؤمن ، وليس بقدر ما يهيل على نفسه من القاب !

مات . . . وفي فمه مَاء*

بقلم : معن بشور

قبل أيام قليلة من رحيله ، كان الدكتور عمر فروخ يشارك محاضراً ومناقشاً في ندوة من (حطين إلى القدس) التي نظمها النادي الثقافي العربي في ذكرى مرور ٨٠٠ عام على المعركة التاريخية التي انتصر فيها صلاح الدين الأيوبي على الفرنجة .

ورغم الأهمية التاريخية العلمية للنص المكتوب الذي قدمه د. فروخ ، إلا أن الكلام الذي لم يقله ، وكان يهم بقوله أكثر من مرة ، يبقى الكلام الأهم . . .

لقد كان ابن الواحدة والثمانين يتكلم بتدفق وبحرارة وبوضوح ، لكنه وبشكل مفاجىء يعود ليلجم اندفاعه وعفويته قائلاً : اعذروني ، فالظرف لا يسمح أن أقول كل ما عندي . .

ولقد تكررت هذه الإشارة من الدكتور فروخ عدة مرات ، مرة وهو يقدم مداخلته وأخرى وهو يناقش ، بحيث بات الغامض من كلامه واضحاً ، والمحجوب منه معلوماً . . .

« في فمي ماء » كلمة كان يرددها المؤرخ الجليل ، أو يوحي بها لتبرير أحجامه عن متابعة فكرة كان يطلقها ، فإذا بها تصبح الكلمة الأكثر تعبيراً ، والتعبير الأكثر صراحةً ، والصراحة الأكثر جرأة . . .

بل « في فمي ماء » تكاد تصبح الكلمة الأكثر شيوعاً ورواجاً اليوم في

---

* السفير ١١/١١/١٩٨٧ .

حياتنا اللبنانية والعربية في ظل واقع الرقابة على الرأي ، والمحاسبة على الفكر ، والملاحقة على الموقف . . . بل وكأني بقائلها الأول ، لو كان بيننا اليوم ، لاستعاض عنها بكلمة « في فمي نفط » . . لأن قمع النفط اليوم بات الوجه الآخر لقمع السوط والسجن وكاتم الصوت . .

وعذراً يا راحلنا الغالي . . . يا أستاذ أجيال من شبابنا . . . أن نتوقف عن الكلام هنا . . فنحن أيضاً « في فمنا ماء » .

عمَر فروخ . . الرجل العملاق*

بقلم د. حسان حلاق

أن يكتب المرء عن العلامة د. عمر فروخ ، ليس بالأمر اليسير . رجل موسوعي بحجم وبفكر وبمستوى د. فروخ ، من الصعب على جيلنا أن يقوّم الرجل أو أن يكتب عنه .

ولكن الوفاء ، والوفاء وحده ، لهذا الرجل العملاق ، الوفاء لفكره ولمبادئه ولمدرسته العلمية ، هو الحافز لنا للكتابة عنه في هذه السطور التي مهما بلغت ، لن تعطيه حقه .

في العرب والمسلمين الكثير من الرجال ، ولكن العلامة عمر فروخ هو الرجل الرجل وليس من أشباه الرجال ، فإلى جانب العلم امتلك الجرأة وامتلك مع الجرأة قول الحق ، ولم يكن يغضب ـ رحمه الله ـ إلا لقول الحق .

ولهذا ، فإن الرجل يصنف مع المجاهدين في سبيل دعم قضايا الحق ، والنضال من أجل الوصول إلى الحقيقة . زعامات وقيادات ورجال فكر عرفت عمر فروخ ، وعرفت طبائعه وعرفت عزة نفسه وعلو كرامته ورفعة نفسيته .

كل من تعرف إليه احترمه ، وإن اختلف معه في الرأي . لقد عرفناه أستاذاً ومربياً وزميلاً ، وعرفناه رئيساً لنا في مجلس أمناء وقف البر والإحسان . فكلمته كلمة الحق كانت تعلو لتؤكد الحقيقة والصواب .

من شدة حرصه على الوقت ، كان يكره الاستطراد والإطالة ، وكان

---

* السفير ١٥/١١/١٩٨٧ .

حازماً دقيقاً في إدارة الجلسات .

إن وفاة هذا الرجل الراسخ في العلم تعتبر خسارة فادحة لعالم الفكر والأدب والاجتماع والتاريخ والفقه أيضاً ، وقلما كان الناس يعرفونه فقيهاً . ولكن عزاءنا أن رسالته مستمرة من خلال مؤلفاته ودراساته ومسيرته وفكره .

كان الرجل كالنقد النادر في هذا الزمن الرديء ، فالناس تحتاج إلى النقد العادي ، فكيف بها بالنقد النادر ؟

لقد استمر إلى الرمق الأخير يفكر ويكتب ، وقليل من الناس يعرفون بأنه توفي على الآلة الكاتبة ، وقد وافته المنية وهو يطبع دراسة من دراساته العلمية .

المشهد الذي تعودنا أن نرى فيه د. فروخ هو مشهد « المتأبط كتاباً » وإذا سمي سواه تأبط شراً ، فإن د. فروخ « تأبط كتاباً » .

قيل قديماً أن الفرد لا يستطيع أن يحمل أمة ، وإن الأمة قادرة على حمل الفرد .

لا نبالغ القول إذا قلنا أن عمر فروخ خلال مسيرته الطويلة استطاع أن يحمل معاناة الأمة وآلامها ، واستطاع أن يحمل الأمة بمآسيها الفكرية والعلمية والاجتماعية والسياسية ، وساهم بما أعطاه الله من قدرة وصبر وتحمل ، في سد بعض الثغرات في هذه الأمة .

عمر فروخ ليس جزءاً من ثقافة عربية وإسلامية فحسب ، بل أصبح عبر مسيرته الطويلة يمثل ثقافة قائمة بذاتها ، وأصبح يمثل تياراً له أنصاره في العالمين العربي والإسلامي إضافةً إلى وطنه لبنان .

كلمة في الرجل العملاق لعلها تذكرنا بالسير على نهج الرجل ومسيرته ، وتحثنا على التمسك بمبادئه وأساليبه وتياره .

مرحباً*

بقلم : وليد عوض

في بروتوكول النمسا يتقدم العلماء على الوزراء . وعالم مثل « آينشتاين » الراحل أهم في الولايات المتحدة من الرئيس المنطفىء هاري ترومان . وعالم فرنسي مثل « باستور » الذي احتفلت فرنسا مؤخراً بالعيد المئوي لمعهده أخلد في التاريخ من رؤساء مثل « إدوار هيريو » و « الكسندر ميليران » و « ريمون بوانكاريه » ، و « موريس غاملان » و « رينيه كوتي » الذي انفجرت في عهده ثورة الجزائر ورائدة تمريض في إنكلترا مثل « فلورانس نايتغيل » أرسخ في أذهان المؤرخين من مارغريت تاتشر .

فالعلماء دائماً هم العنوان لكل عصر ، بينما زعماء السياسة يكونون الأعمدة فقط .

وبالأمس رحل عالم من بلادنا هو الدكتور عمر فروخ ، مات وهو يطبع على الآلة الكاتبة ، ويناغم دقات قلبه ، مع دقات الآلة التي تعهدت تظهير أبحاثه ومقالاته ، فتوقفت دقات الأول ، وأصبح البحث في حداد ، تماماً كما مات من قبل أديبنا الكبير واصف بارودي والقلم بين أصابعه . ومن لم يزر الكويت ، ويسمع بالأثر اللطيب الذي تركته أبحاث وكتب عمر فروخ هناك ، حتى استحق جائزة أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد ، لا يستطيع أن يزن حجم الرجل بميزانه الصحيح .

مع ذلك شيع عمر فروخ يوم الأحد الماضي كأي إنسان عادي . لا رهبة انتشرت في المدينة ، ولا حزن طغى على البيوتات . ربما لأن حزن

---

* الافكار ١٦/١١/١٩٨٧ .

الوطن كان أكبر حجماً ، ولأن جرح الوطن استغرق كل الدماء المحترقة في الشرايين .

بكل إجلال تطأطىء « الأفكار » بكامل أسرتها الرأس أمام رحيل العالم الكبير ، وتعزي آله والوطن ، لأن خسارة الثاني به أجلّ من خسارة الأهل. وقد كان على وجهاء القوم ، والنافذين فيهم ، لا أن يذرفوا فقط على عمر فروخ دمعة في حجم الوطن ، بل كان عليهم أن يجعلوا من رحيل عمر فروخ حدثاً ، ومن وفاته نكبة ، ومن فجيعته كارثة وطنية . فلم يفعلوا . وغيّب فروخ في الثري كإنسان عادي ، مع أنه مع الأيام سيفرّخ كمدرسة ونهج وتراث في نسيج الأجيال المقبلة ، ومعه القول المأثور لإمام العلماء والمجاهدين علي بن أبي طالب : إذا رأيت العلماء على أبواب الزعماء فقل بئس العلماء وبئس الزعماء . وإذا رأيت الزعماء على أبواب العلماء فقل : نعم الزعماء ونعم العلماء » .

وسقى الله تربة وتراب عمر فروخ .

الدكتور عمر فروخ

مر من هنا قبل وفاته . . بساعات !*

كانت ندوة ذكرى معركة حطين التي انتصر فيها الفاتح صلاح الدين الأيوبي منذ ٨٠٠ سنة في النادي الثقافي العربي آخر مناسبة يحضرها ويشارك فيها العالم والمفكر الإسلامي الراحل الدكتور عمر فروخ . وكان من بين المشاركين معه في الندوة الدكتورة زاهية قدورة ، والعميد ياسين سويد ، والدكتورة نشأت الخطيب ، والياس سحاب . وقد قدم الندوة والمشاركين رئيس النادي المهندس محمد قباني الذي استهل كلمته بالقول :

« إذا كانت ذكرى مرور ثمانمائة سنة على معركة حطين المجيدة مرت على الأمة العربية وهي غارقة في هموم ومشاكل جانبية وقطرية ، مما جعل الاهتمام بالذكرى محدوداً ، لعل أبرز ما فيه ندوةمهمة عقدت في دمشق خلال شهر تموز (مارس) الماضي ، وندوة أخرى في القاهرة ، ثم قرار من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أتى منذ أسابيع قليلة مطالباً بتعميم الاحتفال بالذكرى ، فإن العدو الصهيوني لم يترك المناسبة تمر بدون ندوة ينظمها في محاولة لتزوير التاريخ العربي وسرقة دور من النضال العربي ضد الصليبيين .

ثم تابع :

« ولا عجب في إهتمام الصهاينة بتلك الحقبة من تاريخنا . فهم يدركون تماماً التشابه بين احتلالهم لأرضنا واحتلال الصليبيين قبل ثمانية قرون . ويهمهم دراسة شخصية صلاح الدين وعناصر الوحدة التي وظفها في

---

* الأفكار ١٦/١١/١٩٨٧ .

تحقيق انتصاراته . وكيف تم التعايش لفترة بين العرب والفرنجة (الفرنجة هو الاسم الذي يفضل عدد من المؤرخين إطلاقه على الصليبيين) . ولماذا سقط ؟ وكيف تحيي مدينة القدس مشاعر وفكرة الجهاد عند العرب والمسلمين ؟ ولا يقتصر الاهتمام الصهيوني عند ندوة في ذكرى بل إن في الجامعة العبرية فرق عمل تدرس باستمرار هذه الحقبة من تاريخنا وتستخلص منها النتائج والعبر . بل إن عدداً من العلماء الصهاينة أو المتصهينين يتوزع بين جامعات أوروبا وأميركا وينشر العديد من الكتب والأبحاث حول هذا الموضوع » .

عمر فرّوخ
كَان التباين وَالبَرَاءة*

بقلم : نسيب نمر

حينما عمَّ إضراب شامل كل لبنان احتجاجاً على أعمال الفريسيين ولصوص الهيكل وكل صنف ولون ، وقبل أن يعلن القيمون عليه تعليقه لسبب أو أسباب ، أبى الدكتور عمر فروخ إلا أن يسجل احتجاجه بطريقة أخرى ، فغادرنا من غير عودة في اليوم الثالث من الإضراب .

فهل تراه قام بواجبه خلال حياته وكان راضياً عما نهض به أو تراه كتب احتجاجه ، هذه المرة ، بالموت لا بالحبر والورق مثلما كنا نقرأه على صفحات « النهار » ، ومثلما كان جلساؤه يسمعونه فيه وهو يعاني مأساة وطنه الأصغر ووطنه الأكبر ومأساته نفسه ؟

لست أدري ، كما لا يدري أحد ، حتى أقرب الناس إليه ، هل هذا الأديب الصديق الفذ شبع من العطاء واكتفى بما بذله في حقلي التربية والتأليف . . . حسب الأديب ، مهما كان رأيك في منهجه وعطائه ، إنه شمعة تحترق لتنير الدرب ، وتضيء السبيل ، على هدي ما قاله ناظم حكمت :

إذا لم تحترق أنت ،
إذا لم أحترق أنا ،
إذا لم نحترق نحن ،
فمن يضيء الظلمات ؟

وعمر فروخ من هذا الجيل العملاق في البذل والعطاء ، أراد إنسانية

---

* النهار ١٦/١١/٨٧ .

تطأطىء لها الرؤوس ، ووطنية تبذل في سبيلها النفوس ، ولم يستطع ، مراراً ، أن يفرق بين القومية والدين ، وبين الوطنية والمذهب ، فكان مع عروبيته يميل أكثر من الضروري إلى إسلاميته ، ومع وطنيته يتجه من غير ضرورة إلى مذهبيته ، ولهذا كنا ، هو وأنا ، على كثير من البعد في الأفكار مع كثير من القرب من الصداقة والتعاون ، ولا سيما عندما بدأنا ، أواخر الأربعينات ، نعمل مع كوكبة من المعلمين والمربين على إنشاء نقابة معلمي المدارس الخاصة ، وكثيراً ما التقينا في منزل المرحوم جورج كفوري وزير التربية السابق في هذا السبيل .

وجهد عمر جهده الكبير في توطيد النقابة وترسيخ بنيانها وإعلاء ثأنها ، وهو من عانى الكثير خلال امتهانه التدريس ، وطالما ردد قول الشاعر العربي .

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

فجهوده وبصماته في خدمة المعلم وقضاياه باقية ما بقي علم ومعلمون .

وفي غير هذ العمل المشترك وفي غير الصداقة البريئة العميقة لم يكن ثمة ما نجتمع عليه . ففي المسألة القومية له رأيه ولي رأي ، هو يراها على ارتباط وثيق بالإسلام أو بالدين وأنا أراها على ارتباط وثيق بالعلمانية أو بشرعة حقوق الإنسان وحرية الاختيار . هو يرى أن القومية ترضى بإلغاء نفسها في سبيل الدين أو الأديان وأنا أراها ملغية كل دين لمجرد اعترافنا بها وإقرارنا بوجودها فهي تشمل جميع من ينتمون إليها والدين يشمل جزءاً ممن ينتمون إليها ، وشتان بين هذا وذاك .

وفي مسألة التاريخ ، وهو مؤرخ مرموق ، لم أكن وإياه على تلاق إلا لإبراز دور الحضارة العربية في نشوء الحضارة الأوروبية المعاصرة . كان ذاتياً وقريباً إلى القراءة الدينية للتاريخ وأنا موضوعي ـ كما أظن ـ وقريب إلى

القراءة القومية والإنسانية للتاريخ ، ولنقل أنه مثالي ذاتي على خلاف منهجي في أنه موضوعي ومادي . ومع ذلك كانت مناقشاتنا ، الشفهية منها والمنشورة ، لا تخرج عن المنهجية العلمية كما نعتقد ونظن ، فقد آمنت بأن حرية الآخر هي أصل حريتي وضمان لها والعكس صحيح أيضاً ، وفي هذا الإتجاه لم تتأثر صداقتنا ، ولو أبعدت المأساة اللبنانية ملامح حضورية لها أو وشائج عدة منها ، بأي نقاش أو حدة مع ما عرف عن عمر من حدة الطبع أحياناً ، ويكفي أن يمتلك قلباً مثلما قلوب الأطفال حتى ترى كل ما يصدر عنه أبيض ناصعاً مثلما الزنابق الحية .

ومنهجه في التاريخ انطرح على منهجه في الفلسفة والعلوم إلى درجة أنه ، في بعض الأحيان النادرة ، خالف العلم والفلسفة لرفع شأن العرب حيناً والإسلام أحياناً ، ولم يكن يقلل من وطأة هذه المنهجية المزاجية سوى صفاته الشخصية الطيبة وميزاته الذاتية الإنسانية والبريئة .

لهذا وغيره كان وقع وفاته في نفسي عميقاً عمق صداقتنا ، واسعاً سعة الأفق العلمي والفلسفي اللامحدود ، ولا أكتم أني رددت تلقائياً عندما بلغني نبأ وفاته متأخراً : ألا يكفينا ما يصيبنا من المتبربرين حتى يضاف إليه ما يصيبنا من الموت !

وإذا الأدباء والمفكرون الأصليون يصعب نسيانهم فكيف أديب ومفكر أصيل مثل عمر فروخ ، رغم ما تحدثت عنه من تباين بينه وبين آخرين ، بل كيف ينسى من أغنى المكتبة العربية بأكثر من مئة مؤلف على اختلاف مستوياتها الفكرية والأدبية والتاريخية والتربوية ؟ وهل بغير مثل هؤلاء تبقى الكلمة ويتعملق الحرف ويتحرك الفكر وترسخ الحضارة ؟

في التاريخ والأدب والتربية والفلسفة والاستشراق والرياضيات والسياسة كانت له جولات وجولات باللغات العربية والفرنسية والألمانية والإنكليزية وكأنه يؤكد لنا عملياً أن ليس للعلم والحضارة والثقافة حدود .

في بعض الموسوعات أنه ولد في بيروت وتلقى علومه الأولية في مدارس رسمية وأهلية مختلفة ثم في الجامعة الأميركية في بيروت وجامعة برلين حيث نال الدكتوراه في الفلسفة . وعمل أستاذاً ومربياً في مدارس عدة في فلسطين وبغداد وبيروت وأصدر مجلة الأمالي الأدبية ـ ولم يلق سلاحه الفكري حتى وفاته ليل السبت ـ الأحد ٨ تشرين الثاني سنة ١٩٨٧ ، والبلاد في خضم إضرابها الشامل المفتوح ضد الموت ومسببي المأساة وذوي الكبائر من الأخطاء والخطايا والإرتكابات والجرائم حتى جريمة تجويع هذا الشعب وتهديد مصير هذا الوطن . ولعله في موته كان ألقى السلاح للمرة الأولى في حياته وهكذا يكون الرجال الرجال .

إن عمر عبد الله فروخ (١٩٠٦ ـ ١٩٨٧) سيبقى في أفكار أصدقائه وتلامذته وذويه من غير أن يتمكن الموت من تغييبه ، فالكلمة لا تغيب والحرف لا يزول ولو زال صاحبهما وغاب عن هذه الحياة، وما قيمة الحياة دون كلمة وحرف وبالاستقلال عن صاحب الكلمة والحرف ؟

وتعزيتنا عن عمر فروخ وأمثاله أنه وهم يقهرون الموت بالكلمة والحرف ؛ يظلون معنا أحياء ما دمنا نقرأ لهم ونفيد منهم ونتتلمذ على أيديهم حتى نلحق بهم عاجلاً أم آجلاً .

عندما قال فروخ عن صبرا : هذا أصولي منفتح

بقلم : فضل الأمين

آخر لقاء جمعني بالراحل الكبير « المعلم » عمر فروخ كان منذ حوالي سنة ، حينما التقيته في مكتبه بجامعة بيروت العربية وحاورته حول قضايا فكرية وأدبية . . في ذلك اللقاء تبدى الدكتور عمر فروخ عصبي المزاج ، وكنت عرفته من قبل هادئاً يحمل من مزايا العلماء سعة الصدر ورجاحة الحلم ، فصارحته بما فاجأني في حركاته ونبراته وأجوبته من « نرفزة » ظاهرة ، فاستعاد حلمه وسعة صدره ، وابتسم قائلاً : وهل أبقت لنا محن هذا الزمان وصروف هذا العصر الرجيم من مكان للحلم في أعصابنا والعقول ؟

وحين دار الحديث عن طه حسين ، لم يتمالك نفسه أن قال : « لم يكن باحثاً ولا عالماً ولا ناقداً ولا مؤرخاً للأدب ، وما جاء به لا يعدو كونه نوعاً من البدع التي لا تقوى على الصمود أمام المحاكمة المنطقية العقلانية . . » ، فحاولت الدفاع عن « عميد الأدب العربي » طمعاً في المزيد من الإيضاح ، فنظر الدكتور فروخ إليَّ نظرة تحمل الكثير من اللوم والشفقة في آنٍ واحد ، واستأنف هجومه على طه حسين متهماً إياه بتشويه حقائق التاريخ ونواميس الجغرافيا ، في دعوتيه الشهيرتين : دعوته إلى إعادة النظر في تاريخ الأدب الجاهلي ، والدعوة إلى الحضارة المتوسطية . . وبـ « نرفزة » ظاهرة ختم كلامه عن طه حسين بنصيحة وجهها لي شخصياً ، وما زلت أحتفظ بها وأحرص على الإسترشاد بمضمونها ، فقال : « يا بني . . أنت في موقع المسؤولية لأنك تشارك في التوجيه منطلقاً من منبر إعلامي كبير

---

* الشراع ٢٣/١١/١٩٨٧ .

وشـريف (يعني « الشراع ») ، فحـاذر أن تنزلق في تهجين عقـول النـاس ، واعلم أن مسؤوليتك كإعلام ثقافي أكبر وأعظم من مسؤولية زملائـك العاملين في قطاع السياسة ، فالاعلام السياسي ـ على أهميـة دوره ـ يبقى ظرفيـاً ، أما الاعـلام الثقافي فهـو أبعد أثـراً وأقوى على البقـاء ، وتأثيـره يتجاوز الـزمـان والمكان لاتصاله بعقول الناس وأفكارهم ، واعلم أن الثقافة والفكـر يرسمـان للمجتمعـات خرائـطها السيـاسيـة والاقتصـاديـة ، والعكس ليس صحيحـاً ، فـلا تمالىء في المسـألة الثقـافية أحـداً ، وحاذر أن تسقط بهـا ألى تـرهـات السياسة . . » .

وذهب في الشـرح والإيضاح بعيـداً حينما قـال : « أنت حينمـا تحـاور سياسياً وتنقـل وجهة نـظره إلى القراء، فإنك غيـر ملوم ، وإن كان المحـاور عدواً أو في صف الأعداء ، أما في الأدب والفن والفكر فـالأمر يختلف ، إذ أرى أن محاورة أهل البدع وأهل الصرعات ، والمنحـرفين والمزورين حـرام شرعاً ، ومن يفعل يكون كناقل السم أو كمروج المخدرات ، إثمـه مضاعف قياساً على إثم المتعاطي وعقابه مضاعف . . » .

أصغيت إلى هـذا الجانب من الحـديث بكل الجـوارح ، وحفظتـه في القلب ، لأن محدثي كان قـد تحفظ على تسجيله وتدوينـه ، باعتبـاره ، كما قـال ، خارجـاً عن الحوار المتشعب الـذي أدرته معـه . فاعتبـرتـه درسـاً في مناقبيه المهنة وآداب الصنعة ، واستحضرت في تلك اللحظات مـوقفاً ممـاثلاً ومقالة مماثلة كنت قد شهدت الأول وسمعت الثانية قبل ذلك بثلاثـة أعوام ، حين تنكبت مهمة التحرير في القسم الثقافي في « الشراع » ، وكان لا بد من الدرس الأول ، فاستدعاني رئيس التحرير ليحدد لي إطار مهمتي . وكان في رأس قائمة الممنوعات أن لا أتعـامل مـع البدع ورمـوزها ، ومـع الصرعـات ومروجيها ، ومع التهجين ودعاته ، ومع التغريب ودهاقنته .

قلت للدكتور عمر فروخ هذه الواقعة ، فاطمأنت لها أساريـره ، ونهض

ليودعني بقوله : هذا رجل (يقصد الأستاذ حسن صبرا) آنست فيه صدق التوجه ، ونقاء السريرة ، وسلامة المسلك ، ورجاحة التفكير ، وإني أعتبره أصولياً منفتحاً .

وحين سألته : وهل هذه الملاحظة للنشر ؟ أجاب : لا ، وليست للنقل أيضاً . ولأن المجالس بأماناتها لم أنشر ولم أنقل شيئاً من ذلك ، إلى أن رحل صاحب الأمانة .

تصدى عمر فروخ لطه حسين
وسانده العقاد منعاً
لأبجدية جديد في اللغة*

بقلم : خليل برهومي

غائب كبير من بيروت مضى إلى الرفيق الأعلى .

بكت عينا العاصمة دمعات هتّانة حرّى على وفاة أحد كبار رجالها علماً وأوسعهم فكراً وأغزرهم كتابةً وإنتاجاً وأقربهم إلى القلم الذي خادنه نيفاً وخمسين عاماً صرفها في البحث والتنقيب والتأليف والتعليم تاركاً للمكتبة العربية والإسلامية أسفاراً قيمة وكتباً نفيسة في الأدب والتاريخ والفكر الإسلامي والفلسفة ، حتى سكت قلبه عن الخفقان وهو يطبع بنفسه بحثاً على الآلة الكاتبة ، وهوى الرجل الكبير وهو يؤدي رسالته في المجتمع .

هل عرفته ؟ إنه الدكتور عمر فروخ ، أو قل صورة لمفكر العرب « ابن خلدون » من القرن العشرين .

معلم الأجيال

ومَنْ منا لا يعرف الدكتور عمر فروخ ، لقد عرفه الأطفال وهم يرددون قصائده التربوية والتصويرية ومنها :

أنظر إلى السماء ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ مسودة الأنحاءِ

بالسُحُبِ السوداءِ

الجوُّ منها أسودُ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ومُبرقٌ ومرعدُ

كأنه يهددُ

وعرفه الأحداث واليافعون أستاذاً للأدب العربي في مدارس جمعية

---

* الأفكار ٢٣/١١/٨٧ .

المقاصد حيث طافوا معه على أطلال امرىء القيس وركبوا معه حصان عنترةٍ وزاروا معه سجن ابن عباد ومواخير أبي نواس والأعشى وضحكوا معه من هجاء ابن الرومي وأطرقوا معه لعظمة المتنبي وفلسفة المعري وعبقرية الجاحظ . .

وعرفه طلاب الفلسفة والجامعيون أستاذاً للتاريخ الإسلامي وتاريخ العلوم عند العرب والفلسفة العربية واليونانية ، فمروا معه من تحت قناطر أرسطو وأستاذه أفلاطون ، وغاصوا معه في آراء الفارابيين (الفارابي وابن سينا) ودخلوا معه إلى أقبية إخوان الصفا السرية ووصلوا معه إلى المغرب ليدرسوا ابن باجه والفلسفة المغربية واجتازوا معه « مقدمة » ابن خلدون العظيم . .

وعرفه الأدباء والمفكرون اللبنانيون والعرب وتابعوا أبحاثه وقرأوا كتبه ومؤلفاته واستفادوا من آرائه ، ولم يبق صيته أسير الشرق وحده بل تعداه إلى المشرقين ، فعرفه المستشرقون رجل علم واسع ، وظل كثيرون منهم يراسلونه إلى منزله في شارع الحوري بالطريق الجديدة حتى وفاته أو قبيله .

وهيهات هيهات أن يستطيع الباحث تلخيص حياة الدكتور عمر فروخ واستعراض آرائه في الأدب والفلسفة فهذا ضرب من المحال في هذه العجالة الصحفية ، وهل يستطيع أي إنسان أن يغرف البحر بدلو واحد ، فكأنما الشاعر عناه بقوله :

علامة العلماء واللجّ الذي   لا ينتهي ولكل بحر ساحل

لذلك وجدتني أسير رحلة حياته الطويلة الشيقة ، ولكن بالقطار السريع .

فتعال معي أيها القارىء ، غير مأمور ، لنرجع معاً إلى عام ١٩٠٦ وندخل معاً « بستان فرعون » .

بائع الجرائد

ولد عمر فـروخ في بيروت الكبرى داخل بستـان فرعـون وهو المكـان الذي بُني فيه قصر « هنري فرعون » لاحقاً ، وكان والده عبد الله يتقن العربية والتركية والفرنسية وكان قبل الحرب العالمية الأولى موظفـاً في مكتب البريـد النمساوي في خان أنطون بك شرقي مرفأ بيروت .

عكف جـد عمر (عبـد الرحمٰن) وأبـوه عبد الله على تـربيته القـويمـة وتعليمه الصحيح منذ طفولته ، وما أن بلغ الرابعة من عمره حتى انتقل والـده من منزل جده واستقل في منزل بمنطقة عين المريسة ، فـدخل عمـر مدرسـة « لجنـة التعليم » فدار العلوم لـلأخـوين الهنـديين عبـد الجبـار وعبـد الستـار خيري ، وكان من تلاميذ المدرسة سعيد دبوس ومحي الدين النصولي وأنيس النصولي وأحمد اللاذقي ومنير اللاذقي ورجب تميم .

في صيف ١٩١٦ وكان في العاشـرة من العمر . سـأله ابن عمتـه وكان عمره كعمره وسنه كسنه : أتريد أن توزع جرائد . فقال عُمَرُنا : نعم .

وأخذ عمر يوزع ويبيع جريدة « الحقيقة » لصاحبها الشيخ أحمد عباس الأزهـري في منطقـة المرفـأ لقاء ثـلاث ليرات في الشهـر ، ومرة دخـل عمر وابن عمته على الشيخ الأزهري وكان هو صاحب الجـريدة ورئيس تحـريرهـا وأمين صنـدوقها فـأعطى الأول أوراقـاً نقديـة قـديمـة وأعـطى الثـاني أوراقـاً جديدة ، فحزن عمر وألقى الأوراق القديمة على طاولة الأزهري وخرج .

وفي صيف ١٩١٩ قـال لـه عمـه حسين : لمـاذا لا تعمـل في الصيف عملاً تستفيد منه ؟ فأخذه إلى جريدة « لا سيري » الفرنسية لصاحبها « جورج فيسيـه » وسلمه مـديـر إدارتهـا « جـورج فـاليـري » إلى العـاملَيْن في مكتب الجـريدة : محمـد المغربي وجـوزف قسيس ، وعهد إليـه هـذان العـامـلان بتنظيف الحمام !! وفي اليوم التالي دخل جورج فاليري إلى الحمـام ، وسأل عن الذي نظف الحمام في ذلك اليوم ، فقالا له : عمر .

فاستدعاه جورج فاليري وأوكل إليه إعداد عناوين المشتركين في الجريدة لتُلقى قصاصاتها على الصحف المرسلة إلى أصحابها بالبريد مقابل ثلاثة جنيهات .

في عام ١٩٢١ دخل عمر فروخ السنة الثالثة الاستعدادية في المدرسة الابتدائية التابعة للكلية السورية في بيروت (الجامعة الأميركية اليوم) ونال شهادتها وكان خطباء حفل التخرج في ذلك العام ثلاثة : قسطنطين زريق باللغة الفرنسية وصبحي المحمصاني باللغة الإنكليزية وعمر فروخ باللغة العربية .

والتحق عمر فروخ بالدائرة العلمية في الجامعة الأميركية وتخرج منها عام ١٩٢٨ برتبة بكالوريوس علوم ومنذ تلك الفترة بدأ يعمل في ميدان التدريس ، ففي العامين ١٩٢٨ ـ ١٩٢٩ كان مدرساً للتاريخ والجغرافيا الطبيعية في « مدرسة النجاح الوطنية » في نابلس في فلسطين ، وكان سبقه إلى التعليم في هذه المدرسة زميله وصديقه الدكتور زكي النقاش .

تعلم عمر فروخ في الجامعة الأميركية أربعة السنة هي العربية والإنكليزية والفرنسية والألمانية وكان لأستاذه في اللغة العربية « نجيب نصار » الفضل في إرسال عمر إلى بلاط صاحبة الجلالة (الصحافة) حيث كان ينشر مواضيع إنشائه المدرسي في جريدة « الأحوال » ، ومنذ ذلك الوقت أخذ عمر يرسل مقالاته إلى جرائد بيروت ومنها « الرأي العام » و « البيان » و « المعرض » وغيره ، كما أسس مجلة « الأمالي » فيما بعد .

وفي عام ١٩٢٩ تعاقد عمر فروخ مع جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية للتعليم في مدارسها ، ولكن حبه للعلم دفعه للسفر عام ١٩٣٥ إلى ألمانيا لمتابعة دراساته العليا والتخصص في الفلسفة واللغة وتاريخ العرب في أوروبا في غير الأندلس ، أي في فرنسا وإيطاليا وسويسرة وأثناء دراساته زار فرنسا مرتين .

ماذا جئت تفعل عندنا ؟

زار عمر فروخ عدداً من كبار المستشرقين في ألمانيا أمثال أوغست فيشر ومِتْقُخْ ، وفي برلين درس في « جامعة برلين » على يوليوس روسكا وشايدر وبيوركمن وروست وفرانكل وغيرهم .

وفي فرنسا التي زار عاصمتها باريس عام ١٩٣٦ حضر على أساتذة كثيرين منهم « ليفي بروفنسال » أستاذ مادة « الخطوط على الخشب » ، وقال لعمر يوماً :

ــ أنت لست تلميذاً !

فمد عمر يده إلى جيبه وأخرج بطاقة جامعة برلين ، وبعد أن تأملها الأستاذ قال له : ولكن أنت غير هؤلاء الطلبة .

فقال عمر : طبعاً إنا غير هؤلاء ، هؤلاء حصلوا على البكالوريا وجاءوا تواً إلى هنا . أنا أحمل شهادة بكالوريوس علوم من الجامعة الأميركية وقد علّمت سبع سنوات وألفت عدداً من الكتب المدرسية والأدبية وأُحسِنُ أربع لغات وألم بخامسة . حينئذٍ قال له ليفي بروفنسال : ماذا جئت تفعل عندنا ؟

وفي عام ١٩٣٧ دخل عمر فروخ جامعة « لا يبزغ » ودرس على بروينلش وشوارتز وارنست برغمن ويوسف هل .

ومرة كان عمر في منزل أستاذه « يوسف هل » يقرأ عليه فصلاً من دراسته فمر في رسالة عمر ذكر محمد رسول الله ، فقال له : يا عمر ، أنت تكتب رسالة علمية وتقول محمد « رسول الله » ؟ فطوى عمر أوراقه وقرر الرجوع إلى بيروت . فقال أستاذه مستغرباً : لماذا ؟ أجاب عمر : لا أريد أن أدرس على أستاذ يضيق صدره إذا أنا قلت : محمد رسول الله . فقال الأستاذ « هل » : « أقعد وأكتب ما بدا لك ! » .

وفي الامتحان أتى دور عمر للدخول إلى غرفة الأستاذ هريكل ، عميد

دائرة الفلسفة في جامعة لا يبزغ ، فسأله سؤالاً واحداً يحدد مصير نجاحه أو فشله في الفلسفة ، وكان السؤال هو : « ما رأي أرسطو في الله ؟ » . أجاب عمر بما يعرفه في موضوع علّمه بضع سنوات ، فأثار العميد نقطة تخالف جواب عمر فرد عمر عليها ، وطالت المناقشة ساعة كاملة وعمر مصر على رأيه ؛ ثم خرج عمر فتلقاه الطلاب المنتظرون أدوارهم ، فقص عمر عليهم القصة وقالوا له : إن للأستاذ هريكل كتاباً يرى فيه ما يخالف الرأي الذي دافعت عنه .

ورأى أولئك الطلاب أن نجاح عمر في الفلسفة مستحيل !

وفي المساء أخبره أستاذه « يوسف هل » أن العميد هريكل طلب في اجتماع العمدة أنك تُمنح شهادة الدكتوراه في الفلسفة من الدرجة الأولى ، لكن مجلس العمدة اعترض على منحك الدرجة الأولى باعتبار أنها تمنح لمن كانت لغته الأم هي اللغة الألمانية ، لذلك ستنال شهادتك من الدرجة الثانية . .

وعاد عمر فروخ إلى بيروت دكتوراً وتابع تدريسه في مدارس جمعية المقاصد ، وتوجه بين عامي ١٩٤٠ ـ ١٩٤١ إلى العراق أستاذاً للتاريخ الأموي والعباسي في دار المعلمين العالية في بغداد ، ثم عاد مجدداً في عام ١٩٤١ للتدريس في مدارس جمعية المقاصد ، وفي الجامعتين العربية واللبنانية ، بالإضافة إلى أنه كان أستاذاً زائراً في جامعة دمشق ١٩٥١ ـ ١٩٦٠ ومحاضراً في التاريخ الأموي وتاريخ الأندلس فيها .

لا يا طه حسين

في عام ١٩٦٠ جرى اختيار الدكتور عمر فروخ وأستاذه أنيس المقدسي عضوين في مجمع اللغة العربية في القاهرة ، وكان عمر يشارك في المناقشات التي تدور في جلسات المجمع ، وبعد بضع سنوات تقدم طه

حسين وكان يومذاك رئيساً للمجمع باقتراح يطلب فيه إضافة أحرف على الأبجدية العربية .

فنهض عمر وخاطب طه حسين محتداً :

ـ لماذا يا دكتور طه ؟

فقال طه حسين بالحرف الواحد : إذا لم تكن عندنا هذه الأحرف الزائدة فكيف نكتب إسماً أجنبياً مثل إسم « فيكتور هيجو » باللغة العربية كتابة صحيحة ؟

فقال عمر : لو فرضنا جدلاً أن زيادة الأحرف التي تقترحها تحل مشكلة الأسماء في اللغة الفرنسية ، وهذا غير صحيح ، فكيف نحل مشكلة الأسماء في اللغة التركية والفارسية والإنكليزية والألمانية والإسبانية والصينية ؟

وطلب الدكتور عمر التصويت على صوابية كلامه . .

وخذل التصويت رأي عمر فروخ ، وأيد معظم الأعضاء رأي طه حسين . . عندئذٍ نهض عباس محمود العقاد بقامته الفارعة وصوته الهادىء وقال :

ـ دكتور عمر فروخ على حق ، فلا يجوز أن نفتح ثغرة في اللغة العربية مثل هذه الثغرة .

فقال بعض أعضاء المجلس : إن هذا الاقتراح ليس ابن ساعته الآن ولكنه اقتراح لجنة رئيسها طه حسين !

فقال العقاد : وما قيمة ذلك ؟ نعيّن لجنة ثانية .

ونجح دفاع العقاد فأعيد التصويت وسقط الاقتراح بإدخال أحرف غريبة على الأبجدية العربية .

وانتهت تلك الجلسة وتصافح فروخ والعقاد وطه حسين وتعانقوا ، ونجت اللغة العربية من إقتراح ما كان أحد يعلم إلى أين تنتهي آثاره لو أن مجمع اللغة العربية في القاهرة أخذ باقتراح طه حسين . .

ولقد شارك الدكتور عمر فروخ منذ العشرينات في الحياة العامة سواء على الصعيد الإسلامي في لبنان أم العربي أم الدولي وساهم في تأسيس عدد من الجمعيات والمؤسسات الفكرية والاجتماعية والسياسية كما انتسب إلى جمعيات ومجامع علمية لا سبيل إلى ذكرها هنا ، بالإضافة إلى أنه ألّف وترجم وشارك في تأليف ما يقارب المائة مؤلف في الأدب والتاريخ والفلسفة ، ومن بعض كتبه « التبشير والاستعمار في البلاد لعربية » (بمشاركة الدكتور مصطفى خالدي) ، و « تاريخ العلوم عند العرب » و « المنهاج الجديد في الفلسفة العربية » و « عبقرية العرب في العلم والفلسفة » و « تاريخ الأدب العربي » (ستة أجزاء) كما تضم مكتبته الخاصة أربعين ألف مجلد وكتاب في عدة لغات .

وبعد ، هذه لمحات موجزات عن سيرة الدكتور عمر فروخ ، دفأ الله ضريحه ، ومن أراد دراسة آثاره بالتفصيل فليرجع إلى كتبه وأبحاثه ، ولكن لي كلمة لا أستطيع السكوت عنها وسأقولها قبل أن أنحي قلمي جانباً ، وهي أن عمر فروخ الذي يعتبر معظم سكان بيروت من تلاميذه لم يكرم قبل وفاته التكريم الذي يستحق ، بالرغم من كون هذا الرجل من النوع النادر .

لقد صرخنا كثيراً من أجل تكريم العلماء عبر هذه المجلة ، ولكن صوتنا وزعيقنا راحا مع الدويّ كما قال النبي داود ! لقد استوردنا من الغرب معظم تقاليده ، فمتى نستورد منه تقليده الخاص بتكريم العظماء والنوابغ ؟

عمر فرّوخ
تمسّك بما كتب*

بقلم : إبراهيم عبده الخوري

يوم فقد الدكتور عمر فروخ ابنه الدكتور مازن ، سرى الحزن في قلبه الكبير ، وتوقف قلمه عن العطاء وهو الذي قال لدى تسلمه جائزة رئيس الجمهورية الأدبية ، في السبعينات ، من جمعية أصدقاء الكتاب في بيروت ، إنه سيستمر حاملاً القلم حتى آخر رمق . فتمالك ، وأفلت القلم من يده ، وتعلق برياضة المشي صباح كل يوم .

تعرفت إلى الدكتور عمر فروخ في الستينات . وكانت زياراتي له في منزله قرب مستشفى المقاصد ، أتحاور معه في الأدب والفكر . فكان ينتقد بعنف المتطفلين ويرفض التجديد المرتكز على السهولة وليونة الكلام . وكان هواه الأدب العربي الغابر ، لا سيما أدب القرن العاشر للهجرة (السادس عشر للميلاد) ، ظاهراً على سن الرمح . وقد صرف نضارة عمره في تبيان محاسنه عبر المؤلفات عنه وحوله ، رافضاً أن تكون له مساوىء كالتي عابها على الأدب الحديث .

ولما ضربت الأحداث المجنونة البلد وشطرت العاصمة إلى شرقية وغربية ، تعذر عليّ الاجتماع بالدكتور فروخ في منزله ، وتركه لفترة عندما حاصرته نيران الميليشيات المتناحرة في الغربية . فكان الهاتف الصلة . وآخر حوار لنا عن النقد الأدبي وأزمته المستفحلة في العالم العربي . وتطرق الحديث الهاتفي إلى كتاب « النبي » لجبران خليل جبران . فغمز الدكتور

---

* النهار ٢٦/١١/١٩٨٧ .

فـروخ على جبـران ورفض أن يكـون « النبي » من تـأليفـه . وممـا قـال لي بالحرف :

« إن كتـاب « النبي » ليس لجبـران ، ولا يجـوز أن يكـون مقـرراً في منهـاج الأدب العربي . من الأدلـة على أن كتـاب « النبي » ليس لجبـران إن هذا الكتاب (من حيث مادته) مخالف لكل ما كتبه جبران . إنه نـظر هادىء في وجوه الحياة الإنسانية ، مـع أن كل مـا نعرفـه لجبران عنف هـدام للحياة الإنسانية كلها . ثم إن الكتاب (في الأصل) بلغة إنكليـزية صحيحـة سليمة من أسلوب القرن التاسع عشر ، بينما نحن نعرف أسلوب جبـران من رسائله في اللغة الإنكليزية ، وهي لغة مهاجر إلى الولايات المتحـدة . ثم إن جبران نفسه يقول في مذكراتـه : إنه كـان يبعث بفصول الكتـاب إلى مسز هـاسكل (وهي المحسنـة إليه) ، وكـانت مديـرة مدرسـة . فكانت تصحـح اللغة في الفصل ، كما كانت تقترح أوجهـاً من الآراء في ذلك الفصـل . ونحن نعرف أن جبران ذهب إلى فرنسا لدراسة الفن . إذن إنه كان يعرف اللغة الفرنسية ، فلماذا لا نجد للغة الفرنسية ذكراً في حياته ؟ » .

ومـا أن نشـرت قـولـه هـذا حتى صب عـدد من الكتـاب غضبهم على الدكتور عمر فروخ . وكان رحب الصدر . وفي نهاية المطاف رد عليهم بلغة أدبية منمقة ومهذبة مصراً على رأيه في كتاب « النبي » وصاحبه .

لقـد كان الـدكتور فـروخ متمسكاً بكـل حرف نـطق . وقد تـرك الحبر والحرف عندما فجع بابنه الذي أودى به تنافر المسلحين وصراعاتهم الدمويـة على الأرض الطيبة .

منذ أيام كان له موعد مع ابنه . فسكت قلبـه لتبقى كلماته في الآذان، ومؤلفاته في الأدب والفكر والتربية والفلسفة مرجعاً .

عمر فروخ . . فارس ساحٍ كبا لتورف جنات

بقلم : كاظم

إنطلق في الحياة يجوب آفاق الطموح الكبير . ويزرع في أكثر من حقل ، وتتعدد دروب رياده . ولا يرضى في المعرفة حداً ، أو مساراً واحداً . فقد صفا قلبه ، وضاء وجدانه ، وتسامت رؤاه .

وما يأخذ حباً بخزن أو كنز ولكن يزداد عطاء ويبعد في إشعاعه .

وتعمق ثقته بإنسانية ذاته فيرى الوجود رحاباً لا تجد لعمله طالباً ، ومربياً وأستاذاً وقارئاً وكاتباً مفكراً . .

ويواصل مسيرة الأدباء والعلماء العرب العاملين والموسوعيين فيربي ويدرس ويوجه ويكتب . وتتعدد دوائر تأليفه فتشمل الأدب والفلسفة ، والتاريخ ، والفقه ، والحضارة والمجتمع وسواه ، ويشتغل في الترجمة .

وكما هو يعمل دائماً في هذا المعهد وذاك ، وهذه الجامعة وتلك ، فإنه ينشط في مجالات أخرى . ويرسم الطريق في أكثر من إتجاه قومي وديني .

ويصل إلى استجلاء متميز للحياة وإذا هي عنده إثبات ذات ووجود ، ومنهج وطريق ، ومثال وأثر مستمر ينصر حقاً ويدحض باطلاً . وهو يطلق اراءه ويعلن مواقفه يجسد فيها شخصيته وفكره ومعتقده ولا يضمحل في جمع أو جماعة وذاك هو شأنه في المجتمع والحياة كما في البحث والتأليف .

وقد يعنف في رأيٍ أو يتشدد في موقف ولكن ليتراءى خلف ذلك

---

* اللواء ٢٩/١١/٨٧ .

العنف والتشدد طبع يدفق صفاء ، وإخلاص يطفح حرارة وإيمان يزكو ثقة ويقيناً .

ونختلف معه ولكن لنزداد محبة له واحتراماً ، وإمعاناً في ثبات المعرفة ، ونصاعة الرؤية .

وكنا نقترب في جدالنا له أكثر فأكثر من نفسه الكبيرة وعاطفته السامية الأصيلة ، وندرك صدق أخوته وأبوته معاً .

ويود أن يعرفه الآخرون على حقيقته فلايكتفون بما يسمعون منه من أحاديث هي غيض من فيض أعماله وآثاره .

وهمه أن يرفد في ذلك ما استطاع استاذيته وريادته بإخلاص ، وشعور واثق بعمق ذات ، وسعة اكتشاف .

وينشد الحقيقة ليتطلبها متولها بها كضالة وجود ومعنى سعادة وغبطة .

وما ضامه عمر فروخ بالحياة ، أو خامره السأم من توالي أيامها كسلفه المعري ، بل هو يستزيدها ليعطي ، وتعظم ألفاً وغنى .

ويعمر الإيمان قلبه ولا يكتفي به صلة تعيد بينه وبين ربه ، ويجسده عملاً دائباً في الفكر والمجتمع .

ويمتلىء وجدانه حباً لأمته فيجثو على تراثها في مختلف مغانيه يستصفيه ويستجليه ، ويبعثه كما يحب ويكره ، ويزهو به بل يفتتن حتى النشوة .

ويمحض التاريخ عظيم ثقته لا سيما في منحاه العربي لما يزخر به من كبير مجد ، والماضي عنده قاعدة ولا أعظم للحاضر ، وانطلاق ولا أغنى إلى المستقبل .

وهو يسلسل أعلام أدبنا العربي وكأنهم فلذات كبده أو إخوته وأعز

أصـدقائـه . وكذلـك هي حالـه مع أعـلام فلسفتنا العـربيـة وعلمـاء مسلمين وآخرين غير مسلمين .

وما يثقل التعصب إيمـانه الـديني ، أو يغمر حبـه القومي ، فهـو يعرف ما للآخرين ، ويصدق معـه ولا يبخسه ، أو يتنـاهى إزاءه فإن لـه من حضارة أمته ما يملأ نفسه عزة وشموخـاً ، فيصمد ويقـوى أمام أيـة حضارة أخـرى ، وفكر يتحداه .

ولم ينضو عمر فـروخ في حزب أو فـريق ، وشاقـه أن يجاهـد في أكثر من ميدان ، ويعطي ويكثر متنوعاً ويتعمق ، ويكون عضواً في أكثر من مجمع لغة عربية ، وأكثر من مؤتمر ، وجمعية . .

ولا يعبأ أو يثق بتسلسل مراحل العمـر فيضع لكـل مرحلة حـداً . . بل يندفع بشباب قادر حتى وهو في بياض الشيخوخة ، ويزامل من هم في عمـر أبنـائـه ، وأحفـاده ، ولا يقـل عنهم في خصب العـطاء وصفـاء الـطبـع ، والعفوية .

وإنـه أحد منشئي البكـالوريـا اللبنانيـة والعاملين زمنـاً طويـلاً في وضع مناهجها وتدريسها ، وتقويم إمتحاناتها . ويكاد اسمه يرادفها . ويصبح دكتور عمر رمزاً لدلائل كثيرة متميزة لدى معاشر المصححين ، فهو يبني ويستمر في عمله حتى لا مزيد . وتنافس أعمالـه في التأليف سني عمـره الجاد الخصيب فتستقيم له مكتبة ، ويستوي هو ذاته مدرسة ، بل موسوعـة جامعـة متجددة . وما يفتأ يعطي كرجل في جماعة أو جماعة في فرد .

ويتقدم حبيباً قريباً بعـطائه إلى طـالب حق ، وأبياً غيـوراً إلى من يغرق في الباطل .

ويختلف في عطائه ، ولكن لتظل له انطلاقاتـه الجادة الـواثقة ونـظراته المستجلية المؤمنة .

وسيدرس عمر فروخ ويتعدد متنوعاً درسه . ويزداد مع الزمن إشعاعاً ، وحسبه أنه ما خبا له في إنشائه آثاره وجدان ، أو فتر قصد أو تقاعس إدراك .

ويصدق فيه القول : « ما خرج من القلب وقع في القلب . . » وسيستمر أخاً وأستاذاً وزميلاً ورائداً وقدوة .

وإذا ما هوى بعاصف الموت ، أو كبا في ساعة فليطمئن في ضمير أمته وتتحاشى ظلمة البلى سطوع أيمانه .

وما نرى الموت ينال منك يا عمر متجلياً في عملك الخالص البار ، وستورف جنات نخيل كما أحببت أيها العربي الذي ما جابت سمعه لغة الحدود في وطنه العربي الكبير .

وإن آثارك لتدل عليك وهي شهادة وأكرم بها من شهادة سامية ساطعة لك .

ولبنان العربي المنطلق تحريراً والرائد مقاومةً لكل قوى الاستعمار والرجعية والاستسلام والعمالة ، سيظل يزهو بك كفارس يسير في ساح عروبته واحد أبرز معلميه وكتابه ومثقفيه المتعالين على كل تغرب وتهجين ، وانعزال وتبعية منحرفة وتفخر به أمتك العربية كواحد من أعز أبنائها المخلصين لحضارتها ، العاملين الدائبين في بعث تراثها الحاملين لأسرار عبقريتها ، والمجدين الصابرين في إغناء تربيتها وثقافتها ، والذائدين عن سيادتها وعزتها القومية المتصدين للطامعين الغزاة في أرضها ، ومصيرها ، ومن أية جهة كانوا ، وتحت أي ستار أتوا سواء تحت إسم التبشير ، أم مجلس الأمن في اغتصاب فلسطين ، أم المؤتمر الدولي للسلام المزيف ، أو التحالف الاستعماري الشامل أم كمب دايفيد الأميركية ، والعربية ، والدولية الجامعة .

وعزيزاً كريماً عشت يا عمر ، ومقداماً كبيراً ترحل لتطلع نجماً يستمر

مضيئاً يتأبى على الغروب . وحسبك أنك صدقت في قوميتك العربية كما في إيمانك الديني ، وأعطيت موقفك الراجح في جمعك الخالص بين الدين والفلسفة والعلم متابعاً في ذلك مسيرة سلفك الصالح كالإمام علي ، والشيخ الرئيس ابن سينا وغيره من المفكرين الفلاسفة والعلماء العرب . وكأني بك اهتديت إلى قوله تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ وما سخرت وأنت في حصنك الديني المنيع من وطنيتك ، مؤمناً بقوله تعالى : وهو يخاطب رسوله الكريم ، وقد امتلكه الحنين إلى مكة موطنه الأول ﴿ إن الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد ﴾ والمقصود بذلك كما جاء عن ابن عباس ، عودة النبي العربي إلى مكة .

وقد وجدنا الرسول الكريم نفسه يؤكد على الصلة بين الإنسان ووطنه حينما راح يعد صاحبه أبا بكر ومؤذنه بلال وهما يحنان إلى مكة بقرب عودتهما إليها . ولم تحتقر قوميتك أو تر فيها ما يعارض كتاباً أو سنةً وإنك لتعلم وأنت المؤرخ العربي في أكثر من مجال بأحاديث للنبي لا نجا فيه في أية حال لا سيما حديثه عن ذي قار « أن يوم ذي قار هو أول يوم للعربي على الفرس وبي تضروا » .

وعهدنا الوفاء لك بالانطلاق الخالص في مسيرة أمتنا التي مجدت وأكبرت ، وحماية لغتها التي أحييت ، وتراثها الذي آثرت ، والعطاء حتى لا رمق في ثقافتها التي أعطيت ، مؤمنين بأن الثقافة القومية الأصيلة والملتزمة هي الأهم والأقوى من الأيديولوجيات السطحية العابرة ، والهجينة الطامعة ، والخادعة . ومن السياسات المتلوثة ، والمارقة الخائنة ، والقمم الضالة أبداً والمضللة .

ولقد سلكت طريقك التي ارتضيت وسقيتها معين الحياة ، لتكون مثالك التاريخي الشاهق ، ومنارة لأجيالنا الآتية وعليك سلام الله يا عمر . .

غاب شيخ الثقافة*

بعد واحد وثمانين عاماً غاب الدكتور عمر فروخ أستاذ التاريخ والجغرافيا ، وخريج جامعة أرلنجن الألمانية عام ١٩٣٧ برتبة دكتور في الفلسفة . . ونقول : غاب شيخ الثقافة .

فهو عضو إتحاد الشبيبة الإسلامية ، وعضو مجلس نقابة المعلمين ، وعضو المؤتمر الثقافي العربي الأول في بيت مري عام ١٩٤٦ ، وعضو الوفد الرسمي إلى الدورة الثالثة للأونيسكو ببيروت عام ١٩٤٨ ، وعضو المجلس الإسلامي ، وعضو المجمع العلمي العربي ، وعضو مجمع اللغة العربية في القاهرة ، وعضو المجمع العلمي بالعراق ، وعضو جمعية البحوث الإسلامية في بومباي ، وعضو جمعية أصدقاء الكتاب ، ورئيس جمعية البر والإحسان في بيروت ، وأستاذ التاريخ العربي والإسلامي في الجامعتين اللبنانية والعربية .

وهو فوق ذلك حامل وسام المعارف اللبناني من الدرجة الأولى ، ووسام نجم باكستان من رتبة قائد أعظم ، وجائزة رئيس الجمهورية اللبنانية عام ١٩٨٠ ، ووسام الأرز الوطني اللبناني من رتبة فارس ، ووسام الاستحقاق الموريتاني من رتبة ضابط ، ووسام إقبال الباكستاني .

وللمرحوم الدكتور عمر فروخ مؤلفات عديدة أبرزها : تاريخ العلوم عند العرب ، تاريخ الفكر العربي ، المنهاج الجديد في الفلسفة العربية ، العرب والفلسفة اليونانية ، الأسرة في الشرع الإسلامي ، تاريخ الأدب العربي ، نهج البلاغة ، نحو التعاون العربي ، تاريخ سوريا ولبنان

* مجلة الموقف كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٧ .

المصور ، كلمة في تعليل التاريخ ، العرب في حضارتهم وثقافتهم . . .

أشرف على أطروحات طلبة الدراسات العليا في الدراسات العربية والإسلامية ، وكان موئلاً للعلم والاستشارة والثقافة ونبل العالم العلّامة .

وكم خسر لبنان بغياب شيخ الثقافة الجليل، أمام تفشي مهانة الجهل والجاهلين في حرب عبثية دامية ضربت أول ما ضربت مداميك العلوم والثقافة في لبنان الشامخ بوحدته ، لتستبدلها بدياجير الجهل في أزقة « الكانتونات » الضيّقة كأصحابها .

وتسجل « الموقف » للشيخ المرحوم ، الأستاذ الكبير ، كلماته القيّمة على صفحاتها في أكثر من عدد ، تناول عبرها علوماً ومعارف ما تزال تحتاج إلى درس الدارسين فاغتنت به ، وارتقت بعلومه ، وهي في جميع الأحوال تحفظ للدكتور عمر فروخ أنه العالم الذي أغنى لبنان ودنيا العرب بفكره وعطائه الغزير . . والوفاء لعلمه وذكراه مهمة كل الدارسين .

القلَمان خوري ، فرّوخ*

بقلم : فائق الرجي

١ ـ رئيف خوري

رئيف خوري ، بعد عشرين ، صورة لا تغيب : جبهة تطلع من ورائها الشمس ، قامة فارعة ، مندفعة . عينان تعسلان وتزأران . لفافة في الريح . وشعر مسبل يجمع بين غرة الشاعر وغرة الثائر ، ينفلش في العاصفة فتذرّيه ، ولا خشية . لأن الرياح من عنصر المتمردين .

هذا الأطار الشفاف ، الوسيم ، المهيب لرجولة وألمعية في شخص دانت له المنابر والمحابر على امتداد ثلث قرن من العطاء الفكري الأريحي ، والحضور الأدبي ـ السياسي .

هذه الصورة الماثلة في الذهن والقلب ، كلما خفت أن يأتي النسيان على نواتئها ، اشتعلت في خاطري من جراء موقف يذكر أو كلمة تؤثر أو وقفة تفتقد ! أو كلما خفت أن يدركني الوهن والتردد ، قمت إلى كتبه أتقصى وأراجع :

الفكر العربي الحديث ، معالم الوعي القومي ، الطغاة ، حقوق الإنسان ، أو : التعريف في الأدب العربي ، الدراسة الأدبية ، الأدب المسؤول ، ديك الجن الحمصي ، وهل يخفى القمر . أو : صحون ملونة ، ثورة بيدبا ومجوسي في الجنة .

ولكنني في كل ما أرجع إليه مما دبجته يداه ، لا أرى ما يتخطى الصورة التي له في نفسي ، ولا الأثر الذي كان لحضوره . فرئيف خوري هو

---

* النهار ١٩٨٧/١٢/٩ .

من القلائل الذين كان يطغى حضورهم ، ليبقى استمرار في نفوس أصدقائهم وذكرى .

٢ ـ عمر فروخ المجادل والمربي الحامل « المسطرة »

كلنا نعرف الدكتور عمر فروخ (توفاه الله عن إحدى وثمانين سنة) جاداً مجداً ومجتهداً في كثير من الأحكام التي كان غيره يراها مقضياً بها . إذ عنده الأحكام ، في مواد اختصاصه ، ليس لها قوة القضية المقضية ، بل يمر بها مجهره منقباً مدققاً ، فيضعها على مشرحته ، باضعاً ، مشخصاً حتى ليخاله الناظرون إلى سعيه ، محبين كانوا أم لا ، كاسراً مزراباً من مزاريب العيون الكبيرة !

وهذا ما أكسبه صفة المجادل اليقظ بل قل الضيّق العين ، لا الضيّق الأفق ـ معاذ الله ـ في كثير من الأحايين .

إلا أن عمر فروخ ، لكل من عرفه بشخصه أو بقلمه ، كان مجادلاً من طراز رفيع يشد اللحاف من موقعه لأنه متمترس في الزاوية التي ينظر منها ويرتاح إليها ، من غير أن يحرم الآخرين ، في أحيان ، متعة الاستدفاء بهوامش ولو ضيقة من ذاك اللحاف . وهذا ما كان يشدك إليه في زحمة تبرمك بضيقة أحياناً لأنه لا يقطع الحوار ، أياً كانت الفجوة بين الموقعين !

قيل فيه : لو كان أقل التزاماً بما يعتقده حقائق نهائية ، لكان أقرب إلى فكر العصر ، أي لكان أكثر انفتاحاً على الحقائق التي لا تريد لنفسها الإنغلاق . قيل ذلك . بل أكثر . إلا أن عمر فروخ بالرغم من كل ما قيل ، كنت تنتظر قولته لتعرف أذكى ما في وجه الآخر من خلاله .

أجل ! كان يجهر بما كنت تريد أن تسمع عكس ما تقوله أنت .

بهذا المعنى ، عمر فروخ مغفور له كثير من خطاياه في حق من أعاد تقويمهم وتأريخ فكرهم وتصويب ذكرهم من الأدباء والمفكرين الأعلام .

لأنه في كل ما كان يصدر عنه ، كان ينطلق من خلفية فكرية تراثية متشددة ، ومنفصلة في أحيان ، وغير موغلة في الآخر الذي يسدد سهامه إليه ، لأنه لا يشاطره النظرة إلى مفهومه النهائي لمسلماته .

بحكم عصره وبيئته ، بحكم تربيته وثقافته وانتمائه الايديولوجي ، صب عمر فروخ في قالب قد لا يرضيك ، ولكنك غير مخيّر في إحترام شكله ومعدنه ، خاصة كلما أخذ بقواعد البحث الحر .

« مسطرة » المعلم عمر فروخ كانت دوماً مسلطة لا ترحم . ولا أذكر أنها سقطت من يده في يوم ، إلا بعيد غياب ولده ، فرأينا تلك « المسطرة » تسقط تتهاوى ، ليتلقف الدمع بالكفين وليمشي العقل في جنازة القلب ، يصعّد ، شعراً ، كل ما حبسه العقل الصارم المحاسب في عمر مديد .

وجه تاريخي في التربية الإسلامية*

بقلم : عبد اللطيف شرارة

لقيته آخر مرة في « دار العلم للملايين » قبل أقل من سنة ، وكنت قد لقيته في « نادي اليخوت » في جونية ، مع عدد كبير من مثقفي لبنان ، وفي كل مرة كنت ألقاه بها ، أستعيد ذكرى نفر من المفكرين العرب الذين يصنفهم التاريخ في عداد المربين : ابن المقفع ، الجاحظ ، الغزالي ، ابن خلدون .

أنت لا تستطيع أن تطلق على هذا الغائب الكبير ، عمر فروخ ، صفة « أديب » مثلاً ، دون أن تشعر بأنك لم توفه كل حقه بعد . وكذلك هو شأنك حين تكتفي بالقول : إنه « مفكر » أو « باحث » أو « مؤرخ » !

الحقيقة أن كان « مربياً » . والمربي وحده هو الذي تجتمع فيه هذه الصفات الأربع : الأدب ، والتفكير ، والبحث ، والتاريخ .

بيد أن هذا المربي الذي استغرقت التربية ، على تعدد جوانبها ، معظم جهوده ، كان ذا نظر خاص متفرد ، يغلب عليه الطابع العلمي ، حتى لتحسب أنه يصدر عن مزاج لا يملك أن يحيد عنه ، بل يجد متعة في إظهاره ، والتشبث به ، والدفاع عنه .

هذا المزاج هو الذي حمله مثلاً ، على مناوأة عميد الأدب العربي في عصره ، الدكتور طه حسين ، والاستمرار في هذه المناوأة ، على الرغم من التحول الفعلي في تفكير ذلك العميد الذي تجلى ، أوضح ما تجلى من بعد ، في كتابه « على هامش السيرة » .

---

* الشراع ١١/١/١٩٨٨ .

وإذا كان لنا أن نفيد من سيرة عمر فروخ ، وقد نصبح في ذمة الله ، ولم يبق في أيدينا سوى الاستعانة بأدبه ومؤلفاته وسيرته ، شأنه في ذلك شأن غيره من العاملين المجاهدين في مختلف حقول الثقافة ، فإن تجربته في مجال التربية هي التي تتميز بالخصب والسعة والعمق . حتى ليمكن رد سيرته كلها إلى تشبثه بهدفه التربوي ، ذلك التشبث الذي كان وراء حملته على طه حسين ، ثم على سعيد عقل يوم دعا إلى اصطناع العامية بدلاً من الفصحى !

وكان عمر فروخ قد جوبه ، خلال تطلعه إلى مثله الأعلى التربوي . كما جوبه معارضوه ، بما دعي « النظرة الكونية إلى التربية » . وهي الجديدة كل الجدة ، وقد صعب ، إن لم يكن قد استحال ، تجاوزها أو إهمالها ، فضلاً عن دحضها ورفضها ، والاستغناء عنها .

تتلخص تلك النظرة في التركيز على هذا الواقع ، وهو أن التربية أصبحت في هذا العصر ، عملية لا يمكن حصرها في البيت ، أو المدرسة ، أو المحيط الاجتماعي الضيق ، وإنما يشارك العالم كله في ادائها ، طوعاً أو كرهاً ، وعلى نحو عفوي خالص في عفويته ، وهي المشاركة الفعلية التي تقوم بها أفلام السينما ، وصور التلفاز ، وأدب المسرح ، وأنواع القصص (الأقصوصة ، الرواية ، السيناريو ، البوليسيات ، إلخ . .) والإذاعات ، ومواكب الصحافة المتلاحقة ، من يومية وأسبوعية ، وشهرية ، ودورية ، وبمختلف اللغات التي يصر المربون المحدثون على تدريس إحداها ، مضافة إلى لغة الأم ، في جميع أنحاء العالم .

ولم يبق في مستطاع الأسرة ، أو البيئة ، أو الدولة ، أن تمارس « القمع » للحيلولة دون الانطباعات والتأثرات والخيارات والتفضيلات لدى الأولاد والشبان والفتيات ، من جراء ما يشاهدون أو يسمعون أو يقرأون . فهل نترك لهم الحبل على الغارب ، وليكن من أمرهم ما يكون ؟!

تلك هي المشكلة التي حاول عمر فروخ أن يحلّها ، فكان أن وضع بالاشتراك مع المرحوم الطبيب مصطفى الخالدي « التبشير والاستعمار » ثم « دفاعاً عن الوطن » ، ثم « تاريخ الفكر العربي » وغيره من الدراسات الأدبية والتاريخية . وتلت هذه المؤلفات محاولته الكبرى في تصحيح دراسة التاريخ وإصلاحها .

وهنا ، بدأ الدكتور عمر ـ رحمه الله ـ ميالاً إلى الأخذ بالنظرة الشاملة إلى التربية ، وقد اصطنع أسلوباً وسطاً بين الانفتاح على العالم ، والانحصار في حيّز محلي أو إقليمي ضيق . وكان أهل أسوج ـ وتبعهم أهل الدانمارك ، وبريطانيا وهولندا ـ « قد أدخلوا عنصر العالم إلى مواد الجغرافية والتاريخ والاقتصاد » ، وفي اعتقادهم أنه « يجب تدويل المواضيع الدراسية كافة ، إبتداءً من المرحلة الابتدائية ولهذا ينبغي التركيز على النظرة الكونية في المرحلتين : الإبتدائية والثانوية » .

ثمة ما هو أكيد في تكون الفكر لدى المرحوم عمر فروخ ، هو تأثره بما كان يجري في أوروبا الشمالية (ألمانيا ، اسكندينافيا ، بريطانيا) على صعيد الحياتين : التربوية والفلسفية ، وانغماسه في التيارات الأدبية التي كانت سائدة هناك ، وكان ذلك هو العصر الذي عرفه هرمان ده كايزرلنغ الذي طاف العالم ، وأشاد ما وسعته الإشادة بالإسلام وعبقريته .

المهم أن عمر فروخ حاول إعلاء الفكر في عصر انحدر نحو العنف ، وظل يحاول ، كما حاول غيره من افذاذ التاريخ ، إلى أن قضى نحبه ، دون أن يتخلى عن الراية ، أو يصرفه عائق عن متابعة المسيرة .

عمر فروخ
بين الموضوعية والإلتزام*

بقلم : د. هشام نشابة

عمر فروخ رحمه الله وأسكنه فسيح جناته ، عالم ذائع الصيت ومؤلف غزير الإنتاج بلغ عدد مؤلفاته قرابة ستين كتاباً ، وله مقالات ومحاضرات تعد بالمئات . لو جمعت لكوّنت مجلدات ضخمة .

وقد تناول في كتاباته مواضيع كثيرة في علوم متعددة منها : التاريخ واللغة العربية والتشريع الإسلامي والعلوم الدقيقة والرياضيات والسيرة والاستشراق وترجم عن اللغات الأجنبية وحقق الكتب التراثية . وبين هذه الكتب جميعاً سلك رابط متين هو الإيمان بالإسلام تراثاً وحضارة ودوراً فاعلاً في عصرنا الحاضر ، وفي تحديد معالم مستقبل العرب والمسلمين ، ومن خلالهم مستقبل العالم بأسره .

وعمر فروخ ، بحكم تعدد تأليفه واهتماماته ، من جهة ، وبحكم متطلبات المرحلة التي عاشها في تاريخ العرب والمسلمين ، قد تعرّض لخيارات فكرية صعبة تواجه كل من يختار أن يكتب بأمانة وإخلاص في المواضيع الشائكة التي عالجها في كتاباته ، فاختار أصعب هذه الخيارات وأشقها ، إذ اختار أن يتبع المنهج العلمي الذي يجمع بين الموضوعية والإلتزام ، وهو نهج عسير السلوك ، محفوف بالأخطار لرجل كعمر فروخ يأخذ نفسه بقواعد البحث العلمي من جهة ، ومن جهةٍ أخرى هو مؤمن بدينه ، فخور بتراثه ، حريص عليه ، يعتبره أمانة في عنقه ، إن تخلّى الناس كلهم عنه فهو حافظ له باذل النفس والنفيس في سبيله .

ولو أن عمر فروخ درس الإسلام والتراث الإسلامي والعربي في

---

* الشراع ١١/١/١٩٨٨

جامعات إسلامية لهـان الأمر عليـه ، إذ لا يكون قـد اطلع على ما يكتب عن الإسـلام والعرب والمسلمين في البـلاد غير الإسـلامية وفي اللغـات الأجنبية المختلفة مما يتحدى شعور المؤمن الغيور على دينه وتـراثه . ولكن الـدكتور عمر فروخ قد درس في الجامعات الغربيـة في لبنان وفي ألمـانيا وتعـرف عن كثب على أنمـاط من المستشـرقين . ومنهم المتهجم المتعصب ، ومـنهـم الداعية المبشر ، ومنهم الناقم الحاقد وقلة قليلة منهم مقدر ، ورصين .

ولكن أشق ما تعرض لـه عمر فـروخ ، في تقديـري ، هو مـا خبره في لبنان إذا رأى بعض اللبنانيين يسلكون طريق المستشـرقين المتعصبين وبعض المبشـرين فيعملون على تشويـه تاريـخ العـرب والمسلمين ويتـطاولـون على مقدساتهم . فكان لهذا التجني على الإسلام والعرب أعمق الأثر على كاتبنـا الكبيـر وأسـوأه . إذ رسـخ عنـده شـك مقيم بغـايـات جميـع المستشـرقين والمبشـرين بل وبـالذين يتتلمـذون في مدارس الاستشـراق المختلفـة . فهـو يسيء الظن بكل مـا يصدر عن هؤلاء جميعـاً . وعسير جـداً ، في مثل هـذه الحال ، أن يكون العالم موضوعياً هـادئاً لا يـرد الصاع صـاعين وهو يعلم أن ما يقال عن الإسلام والعرب محض افتراء .

ويوم أخذت فئة من الكتّاب اللبنانيين تدعو بتشجيع من فرنسا ، الدولة المنتدبة ، للقـومية اللبنـانية وتنسب للبنـان ، دون سائـر العرب وسـائر بلدان العـالم ، كل فضيلة وإنجـاز حضاري رغبـة منها في إخـراج لبنـان من دائـرة العـروبة والإسـلام والاستعلاء عليهمـا . وتـرمي الحضـارة العـربيـة بـالنقـل والمحاكاة وقلة الإبـداع ، وراحت الإرساليـات الأجنبية ومـدارس الاستشراق العربي والقوى الصهيونية تعزز هذا الإتجاه وتدعمه رغبةً في الإمعـان بتقسيم البلاد وزرع الفتنة بين أبنائها وتبرير تسلط بعضهم على البعض الآخر . . في هـذه الفترة العصيبـة من تاريـخ لبنان كـان على المثقفين من أنصار الإسـلام والعروبة ، مسلمين ومسيحيين ، أن يختاروا أحد مـوقفين : فإمـا أن يتعصبوا

للعروبة والإسلام ويتطرفوا في ذلك كما يتعصب البعض للبنانيته ويرى مديح لبنان طعناً غير مباشر بالعروبة والإسلام والعكس بالعكس ، أو أن يعرضوا عن هذا التطرف اللبناني ويقابلوه بعقلانية واعية فاختار عمر فروخ هذه الطريق الأخيرة وأخذ نفسه بصرامة بعدم التعرض للمسيحية أو للتاريخ اللبناني . وكيف يكون له غير هذا الموقف والإسلام مقدر للمسيحية ومبادئها بحكم كونها رسالة سماوية كريمة أتت على يد رسول كريم ، ولبنان بلد عربي له دور كريم في الوطن العربي ؟ وألّف في ذلك عدة مؤلفات منها المؤلفات المدرسية ومنها الدراسات الموجهة إلى أوساط النخبة من الدارسين .

ولكن جل اهتمام عمر فروخ كان منصرفاً للتأليف في الأدب العربي . والتشريع الإسلامي وتاريخ الفكر عند المسلمين كاشفاً عن كنوز هذا الأدب وذات التشريع والتاريخ .

ورغم هذا الموقف الواعي والرصين لم ينج عالمنا الجليل من تهمة التزمت والتعصب . والواقع أن الدكتور عمر فروخ قد دافع عن الإسلام ورد على من حاولوا النيل منه كدين أو كحضارة . بل وهاجم أحياناً منتقديه بأسلوب لاذع . ولكنه لم يسف يوماً في كتاباته ذلك الإسفاف الرخيص الذي انزلق إليه بعض منتقديه ، فكتاباته بقيت حتى في أعنف مقولاته مدعومة بالوقائع والأسانيد والمراجع . وهو في اتباعه لهذا الأسلوب العلمي في الكتابة لا يتردد بالاعتراف بفضل مناهج المستشرقين عليه في هذا المجال . مع اختلاف ما استنتجه هو من مؤلفاتهم عما توصلوا هم إليه من نتائج .

وأحسب أنه باتباعه هذا الأسلوب كان يريد أن يوجه طلاب المعاهد العليا في الدراسات الإسلامية عموماً فيدعوهم إلى الاطلاع على كتابات المستشرقين لا ليأخذوا بآرائهم بالضرورة ، وإنما ليتعرفوا إلى الأسلوب العلمي الحديث في عرض الوقائع وتنظيمها وطرق تتبعها عبر

المراجع والمصادر ثم استنتاج النتائج واستقراء الحوادث والأخبار .

ولقد حزّ في نفس عمر فروخ أن يرى تردي مستوى التعليم في لبنان أثناء سنوات الحرب الذي يعيشها منذ ١٩٧٥ وتطلع إلى مؤسستين كبيرتين لمعالجة هذا التردي هما جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت وجامعة بيروت العربية . وكان قد أعطى الأولى كل المرحلة الأولى من حياته العلمية مدرساً في مختلف الصفوف والمراحل وفي شتّى المواد الأدبية والتاريخية والعلمية، وكان أستاذاً محبوباً ومحترماً في آنٍ ، وأعطى الأخرى جلّ اهتمامه في السنوات الأخيرة من عمره راعياً غيوراً لمصالحها وأستاذاً فيها . . . ولكن رسالته الأساسية ظلت حتى آخر أيام حياته مرتبطة بجهده في منزله حيث كان يعمل في ساعات الصباح الأولى من كل يوم على كتبه القيمة . فلا نبالغ إذا قلنا بأن عمر فروخ رحمه الله قد توفي والقلم بيده ، مجاهداً به جهاد الأبطال فحقّ أن يوزن مداد قلمه بدماء الشهداء .

الوجه العلمي والأكاديمي
للعلامة الدكتور عمر فروخ
١٩٠٦ - ١٩٨٧*

بقلم : د. حسان حلاق

نشأ الدكتور عمر فروخ منذ نعومة أظفاره في بيت علم وفقه ودين وتدين ، فقد كان والده عبد الله فروخ مهتماً بالعلم ، يريد لأولاده ومنهم عمر الحصول على نصيب واسع من العلم والمعرفة . لذلك حرص على الاهتمام بأولاده وتعليمهم تعليماً حسناً ، وكان إلى جانب اهتمامه بالعلم ، يلقنهم ويدرّبهم على مسالك الحياة وعلى دروب الأخلاق والفضيلة . ومن يدقق النظر في هذا الأمر ، يرى بأن ما زرعه الوالد عبد الله حصده في ابنه عمر وفي أحفاده ومنهم الدكتور مازن رحمهم الله جميعاً .

ومن هنا يمكن القول بأن نهج آل فروخ في الحياة كان يسير وفق خطين يتمثلان في العلم والفضيلة معاً لقد بدأعمر حياته الدراسية الأولى في الكتاتيب العثمانية وكان منذ صغره منكباً على تعلم الحساب والرياضيات والعلوم بالإضافة إلى حرصه الشديد على تعلم وتدبر القرآن الكريم ، وقد حدثنا منذ أيام زميله الدكتور نسيب البربير ، « بأننا كنا نشاهد عمر منزوياً في المدرسة منكباً على القرآن الكريم يدرسه ويتلوه ، ثم يطلب منا أخيراً أن يسمعنا الآيات الكريمة غيباً تأكيداً على حفظه لها . وهكذا أيضاً بالنسبة للشعر ومختلف العلوم .

وما أن أصبح فتياً حتى التحق عام ١٩١٩ في المدرسة الابتدائية التابعة للكلية السورية الإنجيلية في بيروت (الجامعة الأميركية فيما بعد) .

---

* الشراع ١١/١/١٩٨٨ .

وفي عام ١٩٢١ دخل السنة الثالثة الاستعدادية في الكلية ذاتها ، ونال شهادتها في حزيران (يونيه) عام ١٩٢٤ .

وللدكتور عمر فروخ في الجامعة الأميركية صولات وجولات سواء على الصعيد العلمي أم على الصعيد السياسي الاجتماعي والديني ، فقد رفض منذ شبابه تسخير العلم للاستعمار أو للتبشير أو بمعنى آخر للتنصير ، فقد تبين له بأن المسؤولين في الجامعة يريدون عبر العلم وبواسطته استقطاب الطلبة المسلمين لتنصيرهم أو على الأقل لإبعادهم عن الإسلام . لقد روى لنا ـ رحمه الله ـ هذه الأحداث أكثر من مرة دون أي حرج ، كما أكدها في كتابه « التبشير والاستعمار » . وبالرغم من أنه لم يكن متعصباً ضد الأديان الأخرى مطلقاً ، ولكنه كان يرفض أيضاً المساس بدينه ، ورفض أيضاً استهانة العلم وجعله واسطة خبيثة في سبيل الوصول إلى غايات لا تمت إلى العلم بصلة . ولهذا تنبه له أساتذته ، وأخبروا الإدارة بهذا الفتى المميز علماً وسلوكاً ، وحاولوا إقناعه بدخول الكنيسة والقبول بتلقي دروس الدين البروتستانتي ، ولكنه رفض ذلك وأوضح بأن هذه الأساليب لا يمكن أن تنفع معه أو مع الدكتور مصطفى خالدي ولا الدكتور زكي النقاش ولا الدكتور صبحي المحمصاني ولامع بقية زملائه الآخرين ، لذا وبعد إصرار عمر على موقفه اتخذ رئيس الجامعة الأميركية قراراً سمح فيه للطلبة المسلمين بعدم حضور الدروس الدينية واستبدال هذه الدروس بالدروس الأخلاقية والتربية المدنية ، وما تزال هذه المادة تعطى إلى الآن في الجامعة الأميركية ، وذلك بتأثير من عمر فروخ وصموده وتمسكه بمبادئه وعقيدته .

والحقيقة فقد بدأ د. عمر حياته العملية ، وترجمة علومه إلى ميدان الحياة العامة بعد أن تخرج من الجامعة الأميركية عام ١٩٢٨ بدرجة بكالوريوس علوم ، ففي عام ١٩٢٨ ـ ١٩٢٩ كان مدرساً للتاريخ والجغرافية الطبيعية في مدرسة النجاح الوطنية (جامعة النجاح فيما بعد) في نابلس في فلسطين ، والتقى هناك بصديقه الدكتور زكي النقاش .

وخلال العام الذي قضاه د. عمر في فلسطين ، أثرى نابلس وطلابها ومجتمعها بالكثير من المقومات العلمية والاجتماعية والسياسية أيضاً . وحاولت السلطات البريطانية في فلسطين الضغط عليه ، ولكنه رفض هذه الممارسات ، وأعلن منذ ذاك التاريخ « أن الخطر الذي يهدد فلسطين ، هو ذاته الذي سيهدد لبنان وبلاد الشام » . وكان صادقاً في تنبؤاته السياسية .

ورأى د. عمر العودة إلى بلده بيروت للمشاركة في العملية التربوية والتعليمية ، فتعاقد عام ١٩٢٩ مع جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت للتعليم في مدارسها ، واستمر في رسالته العلمية وتحقيق طموحاته ، والسفر إلى ألمانيا لمتابعة دراساته العليا والتخصص في الفلسفة واللغة وتاريخ العرب في أوروبا ، وأثناء دراسته في ألمانيا عرج على فرنسا وزارها عام ١٩٣٦ حيث تلقى بعض المحاضرات والدراسات في السوربون وكلية فرنسا ومدرسة الدراسات العليا . وفي ألمانيا تلقى دراساته في جامعتي برلين وليبزغ وفي جامعة أرلنجن حيث تخرج منها برتبة دكتور في الفلسفة في ٢٧ آب (أغسطس) ١٩٣٧ .

وليس المقصود بهذه الأسطر السرد التاريخي لكيفية تلقيه العلم ، ولكن المقصود بها لفت النظر والإشارة إلى منابع العلم وأساليبه التي تلقى د. عمر منها علومه العليا ، بالإضافة إلى تبلور شخصيته العلمية وتأثرها بالنمط الألماني الذي لا يعرف للمزاح مكاناً في حياته ، ولا يعرف للعبث أو للهو مكاناً آخر في تصرفاته .

إن الذين يسمعون عن عمر فروخ ، هم غير الذين عايشوه أو تتلمذوا عليه أو رافقوه .

لقد كان في داخل الصف جاداً في العلم ، جاداً في التربية . جاداً في الحق . وقد استطاع أن يكون هكذا في الحياة العامة . فلم يحاول استدراج الطلاب سواء في المدارس أو الجامعات عبر النكات والممازحة ، كما يحلو

لأساتذة العصر معتبرين أن هذا الأسلوب يقرب الطلاب إليهم ، ويبعد عنهم الملل . فالدكتور عمر استقطب الطلاب وشدهم إليه بواسطة علمه الغزير ، وأسلوبه الرفيع ، ورفع مكانة العلم والعلماء . ثم بالإضافة إلى علمه الغزير ، كان أباً لا يريد لأولاده إلا الخير والنفع والتقدم .

كانت ألمانيا في الثلاثينات لافتة نظر الشعوب والأفراد والجماعات بعد أن بانت قوتها وتقدمها في أوروبا ، وكانت تلك الشعوب ترى في ألمانيا المنتقم لها من بريطانيا وفرنسا وسواهما من الدول الاستعمارية التي تسيطر على أكثر بلدان العالم العربي والإسلامي والثالث . وكان عمر فروخ من جملة المتأثرين في تلك الفترة « بالعصر الألماني » وكانت عناصر التأثر هي العناصر الإيجابية في بعض ملامح التيار الألماني ، وهو على كل حال لم يؤمن مرة واحدة بالديكتاتورية ولا بالنازية ولا بالفاشستية كأنظمة سياسية أو عكسرية أو اجتماعية أو اقتصادية . ومن خلال تجربتنا معه باعتباره كان رئيساً لنا في إطار مجلس أمناء وقف البر والإحسان ـ جامعة بيروت العربية . كان مؤمناً إلى حد كبير بالديموقراطية والشورى ، ولم يكن يأخذ قراراً منفرداً ولو مرة واحدة ، بل كان على الدوام يطلب الشورى والمشاورة .

لقد قضي في بيروت بعد عودته من ألمانيا ثلاث سنوات بين ١٩٣٧ ـ ١٩٤٠ مدرساً في مدارس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية ، وبعد أن قضى سنة واحدة في العراق ١٩٤٠ ـ ١٩٤١ في التدريس في دار المعلمين العالية في بغداد، عاد مجدداً إلى مدارس المقاصد واستمر فيها إلى عام ١٩٨٣ بعد أن قضى فيها تعليماً وتربية أكثر من خمسين عاماً .

يتساءل المرء وقد حصل د. عمر فروخ على الدكتوراه ، فلماذا لم يستثمر علمه ، ويطلب الوظيفة في الجامعة الأميركية أولاً وفي الجامعة اليسوعية ثانياً ، وفي الجامعة اللبنانية ثالثاً (جامعة بيروت العربية لم تكن بعد قد أنشئت) ؟

إن الواقع والتيار العلمي والسياسي والاجتماعي الذي ينتمي إليه عمر فروخ يجعله يبتعد عن هذه الجامعات ، فالدكتور عمر لا يرضى أن يقول في جامعة ما هو غير مؤمن بقوله : ولا يرضى أن يكتب في كتاب ما هو غير مؤمن ما في صفحاته ، ولا يرضى أن يُوجه توجيهاً مناقضاً لعلمه وأخلاقه وحياته . ورب قائل وما موقفه من الجامعة اللبنانية وهي جامعة وطنية ؟

إن الدكتور عمر كان صريحاً ، وكان يذكرها على الملأ ، واستناداً إلى صراحته ـ رحمه الله ـ فإننا سنذكر بصراحة ما قاله مرات عدة عن سبب عدم التحاقه بالجامعة اللبنانية هو وصديقه الدكتور زكي النقاش ، فقد قال « طالما أن فؤاد إفرام البستاني رئيساً لهذه الجامعة ، فإني وأخي د. زكي لن نقبل التعليم فيها ولن أزيد أكثر من ذلك » .

وبالفعل ما أن انتهت خدمة فؤاد إفرام البستاني من رئاسة الجامعة اللبنانية ، حتى تعاقد بالساعة للإشراف على أطروحات الدبلوم والماجستير . ثم ألقي محاضرات في جامعة بيروت العربية بعد إنشائها عام ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠ ، واستمر إلى وفاته عام ١٩٨٧ بالإضافة إلى ذلك فقد رأى د. عمر فروخ بأن أبناء المقاصد أحوج إليه من أي طلاب آخرين . وأهمية د. عمر أنه لم يجد غضاضة ولو لمرة واحدة ، من أنه يحمل دكتوراه ويعلم طلبة في الصفوف التكميلية أو الثانوية . كان سواه يخجل ، ويرى أن علمه يجب أن ينصب في الجامعة وليس في المدارس ، ولكن د. عمر لم يفكر بهذا الموضوع ، فأثرى مدارس المقاصد وأبناء المقاصد وأبناء بيروت بالعلم والمعرفة والأخلاق والفضيلة .

وفي سبيل العلم وفي سبيل دعم المعلم ورفع مستواه ، سعى مع زملاء له إلى تأسيس نقابة المعلمين في لبنان ، ثم أصبح عضواً فاعلاً لهذه النقابة بين ١٩٤٦ ـ ١٩٦٩ ، وفي هذا المجال فإني سأذكر نشاطه العلمي من خلال عضويته في عدد من المجامع والهيئات العلمية اللبنانية والعربية

والـدولية ولن أتـطرق إلى عضويتـه في الجمعيـات السيـاسيـة ، ففي الإطـار العلمي كان د. عمر :

١ ـ عضـو المؤتمر الثقـافي العـربي الأول في بيت مـري ـ لبنـان عـام ١٩٤٦ .

٢ ـ عضـو المؤتمر الثقـافي العـربي الأول في بيت مـري ـ لبنـان عـام ١٩٤٦ .

٣ ـ عضـو اللجنة الـوطنية وعضـو الوفـد الـرسمي إلى الـدورة الثـالثـة للأونيسكو في بيروت عام ١٩٤٨ .

٤ ـ عضـو المجمع العلمي العـربي وعضو مجمـع اللغـة العـربيـة في دمشق إلى وفاته .

٥ ـ عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة منذ ١٩٦٠ إلى وفاته .

٦ ـ عضو المجمع العلمي في بغداد .

٧ ـ عضو جمعية البحوث الإسلامية في بومباي في الهند .

٨ ـ عضو جمعية أصدقاء الكتاب ١٩٦٠ ـ ١٩٦٨ .

هذا وقد استأثرت دراسات د. عمر فـروخ باهتمـام العديـد من الهيئات والـدول العربيـة والإسلاميـة ، فقد دعي لأن يكـون أستاذاً زائـراً في جامعـة دمشق بين أعـوام ١٩٥١ ـ ١٩٦٠ ، محاضـراً في التـاريـخ الأمـوي وتـاريـخ الأندلس . وقد استطاع د. عمر بمنهجه العلمي أن يحول محاضراته الدمشقية إلى نـدوات علمية استقـطبت الطلاب والأسـاتذة معـاً ، وبعض المستشرقين المقيمين في دمشق ، وبعض الهيئات الثقافية .

وبـاعتباره أحـد المؤسسين الفاعلين والمشـاركين في انطلاقـه جـامعـة بيروت العربية عام ١٩٦٠ ، فقد اعتذر عن متابعة نشـاطه العلمي في جـامعة

دمشق بعد أن أرسى فيها قواعد حضارية وعلمية وثقافية ما تزال آثارها ماثلة إلى اليوم في طلابه الذين أصبح عدد كبير منهم من أساتذة جامعة دمشق والجامعات السورية الأخرى . ومنذ تأسيس جامعة بيروت العربية رأى أن يوجه اهتمامه إليها لأنها ما تزال في مهدها . وهي بحاجة إلى دعم معنوي وعلمي وأدبي ، ولهذا آثر الاهتمام بهذه الناحية ، واستمر عاملاً فاعلاً في جامعته منذ عام ١٩٦٠ لغاية وفاته في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٧ .

وبعد أن أصبح د. عمر محط اهتمام في العالمين العربي والإسلامي ، أصبح مستشاراً للعديد من الهيئات العلمية . تأخذ رأيه في القضايا العلمية والتربوية والثقافية وأحياناً رأيه في القضايا السياسية والاجتماعية . فمن باكستان إلى مصر ، ومن العراق وسوريا إلى تونس وليبيا ، ومن السعودية إلى دولة الإمارات العربية ، ومنها إلى بلدان إسلامية أفريقية وآسيوية ، ومن هيئات إسلامية في ألمانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأميركية وسواها ، كان د. عمر يُستشار ، فيبدي رأيه رأي العالم المتجرد المتّصف بصفات خلقية وعلمية في آنٍ .

وانطلاقاً من واقعه وإنتاجه العلمي والفكري ، فقد تم تكريمه من دول وهيئات في حياته ، ويقوم مجلس أمناء وقف البر والإحسان بالتعاون مع جامعة بيروت العربية والهيئات البيروتية واللبنانية والعربية والإسلامية بالتحضير لتكريمه في حفل عام في الأشهر المقبلة بإذن الله .

لقد نال د. عمر عدة أوسمة منها :

١ ـ وسام المعارف اللبناني من الدرجة الأولى .

٢ ـ جائزة رئيس الجمهورية اللبنانية عام ١٩٧٠ لأفضل مؤلفات لمؤلف لبناني تميزت بالجودة .

٣ ـ وسام الأرز الوطني اللبناني من رتبة فارس عام ١٩٧١ .

٤ ـ وسام نجم باكستان من رتبة قائد أعظم عام ١٩٦٨ .

٥ ـ وسام إقبال الباكستاني .

٦ ـ وسام الإستحقاق الموريتاني من رتبة ضابط .

وطالما نتحدث عن شخصية عمر فروخ العلمية والأكاديمية لا يمكن أن نغفل مؤلفاته وكتبه القيمة في الفلسفة والاجتماع والتاريخ واللغة والأدب والحضارة ، فله أكثر من سبعين كتاباً في تاريخ العلوم عند العرب ، وتاريخ الفكر العربي ، وعبقرية العرب في العلم والفلسفة ، والفلسفة اليونانية ، وعن ابن خلدون والكندي والفارابي وابن سينا وابن باجه وابن طفيل ، وعن الحجاج وعمر بن أبي ربيعة ، وأبي تمام وأبي نواس وابن المقفع وابن الرومي ، وبديع الزمان والكاتب والحريري ، وعن اليازجي ويكن والمنفلوطي والبستاني ، وعن حضارة العرب ، وعن التاريخ الأموي وسوى ذلك من الكتب والمؤلفات والموضوعات مما لا يتسع المجال لذكرها جميعها . ولا بد من الإشارة إلى أن الكثير من الموضوعات التي بحثها د. عمر فروخ في كتبه قد ترجمت إلى اللغات الانكليزية والتركية والفارسية والروسية والاردية والأندونيسية . كما قام د. عمر بترجمة عدد من الكتب المختارة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية ، حيث كان يتقن عدة لغات منها الإنكليزية والفرنسية والألمانية وبعض اللغات الشرقية القديمة .

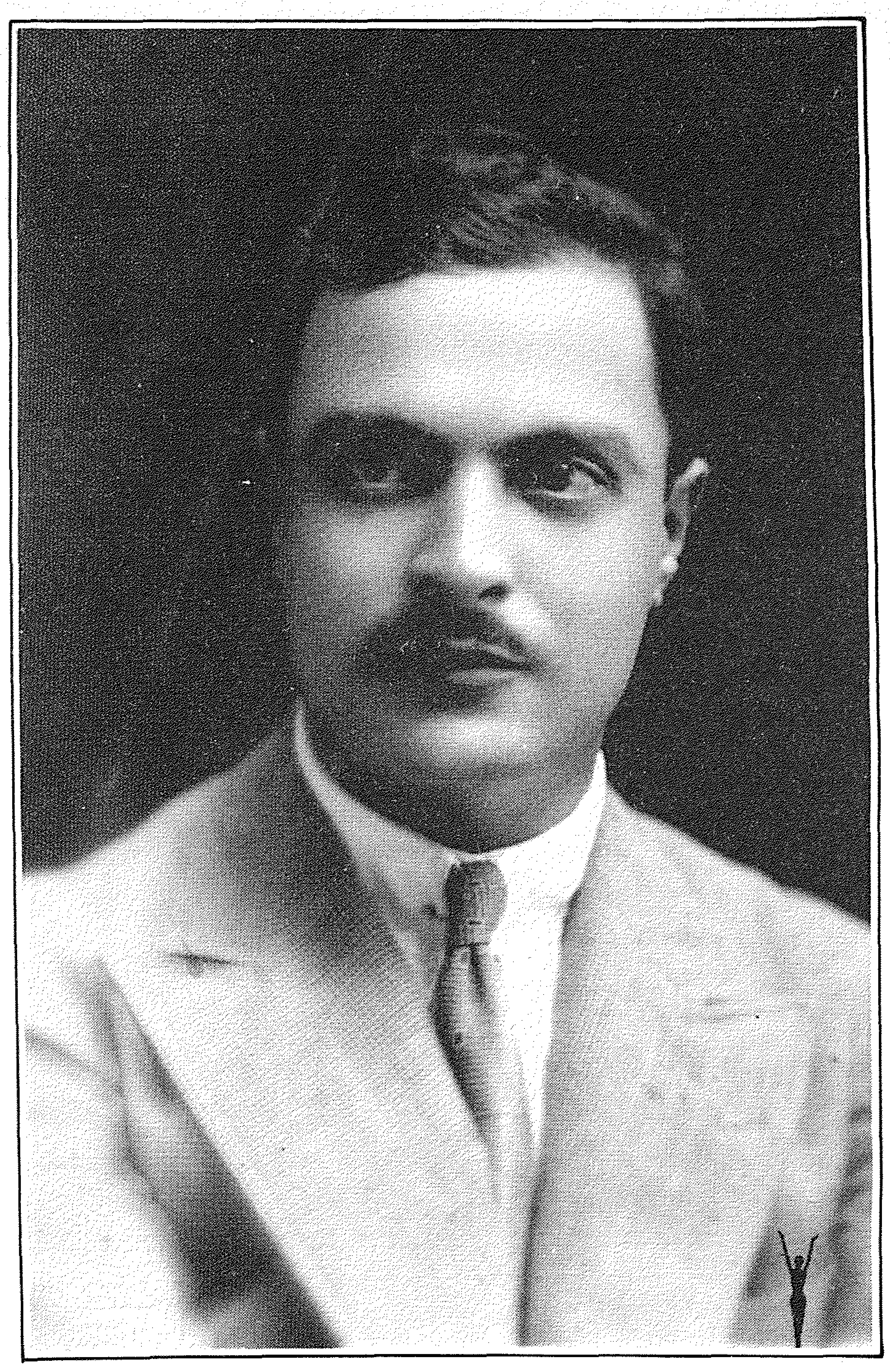
وفي فترة من فترات حياته استأثرت الصحافة باهتمامه ، فكتب في بداية حياته في صحف : الأحرار لصاحبها جبران تويني ثم النهار والعرفان والسفير والدوريات الأخرى اللبنانية والعربية ، وكانت له مساجلات علمية في الصحف بينه وبين بعض المفكرين اللبنانيين . ولا بد من الإشارة إلى أنه أصدر بين أعوام ١٩٣٨ ـ ١٩٤١ مجلة « الامالي » وهي مجلة أسبوعية ثقافية بالاشتراك مع د. محمد خير النويري ، الأستاذ عارف أبو شقرا ، الأستاذ محمد علي حوماني ، الأستاذ عبد الله المشنوق ، ود. زكي النقاش .

إن كلامنا عن العلامة د. عمر فروخ مهما طال لا يمكن أن يفيه حقه أو أن ينصفه . إن ابن خلدون القرن العشرين يحتاج إلى دراسة متأنية في علمه وثقافته وفكره ، لكي نستطيع أن نتبين أكثر مواطن الفكر الثاقب في هذا الرجل الكبير . ويكفي أن أختم قولي فيما قاله الرجل في العلم وفي حضارة العرب وتاريخهم وتراثهم وعلومهم ، قال :

« إن مقدرة الفرد في تقبل العلم وفي الإنتاج العلمي راجعة إلى عاملين : عامل طبيعي موروث وعامل اجتماعي مكتسب .

إن حياة الأمم رهينةٌ بحياة تراثها ، فإن الأمة التي لا تراث لها لا تاريخ لها ، وإن الأمة التي لا تاريخ لها ليست إلا كتلاً بشرية لا وزن لها في ميزان الأمم . إن العرب في الشام والعراق ومصر لم يكونوا أكثر عدداً من الهنود الحمر ولا من زنوج أفريقية ولا من العرق الأصفر أو الأسود في جزر المحيطين الهادىء والهندي ، فلماذا كان للعرب تاريخ حافل ولم يكن لهؤلاء كلهم تاريخ البتة ؟ كل ذلك لأن العرب كان لهم تراث مجيد . من أجل ذلك كان التاريخ في الحقيقة ، تاريخ الجهود الإنسانية المتطورة نحو الكمال ، لا تاريخ الأفراد والجماعات التي لا تخرج في حياتها الطبيعية عن نطاق الحيوان الأعجم » .

مجموعة مختارة من رسوم
عمر فروخ العـلامة الـدكتور



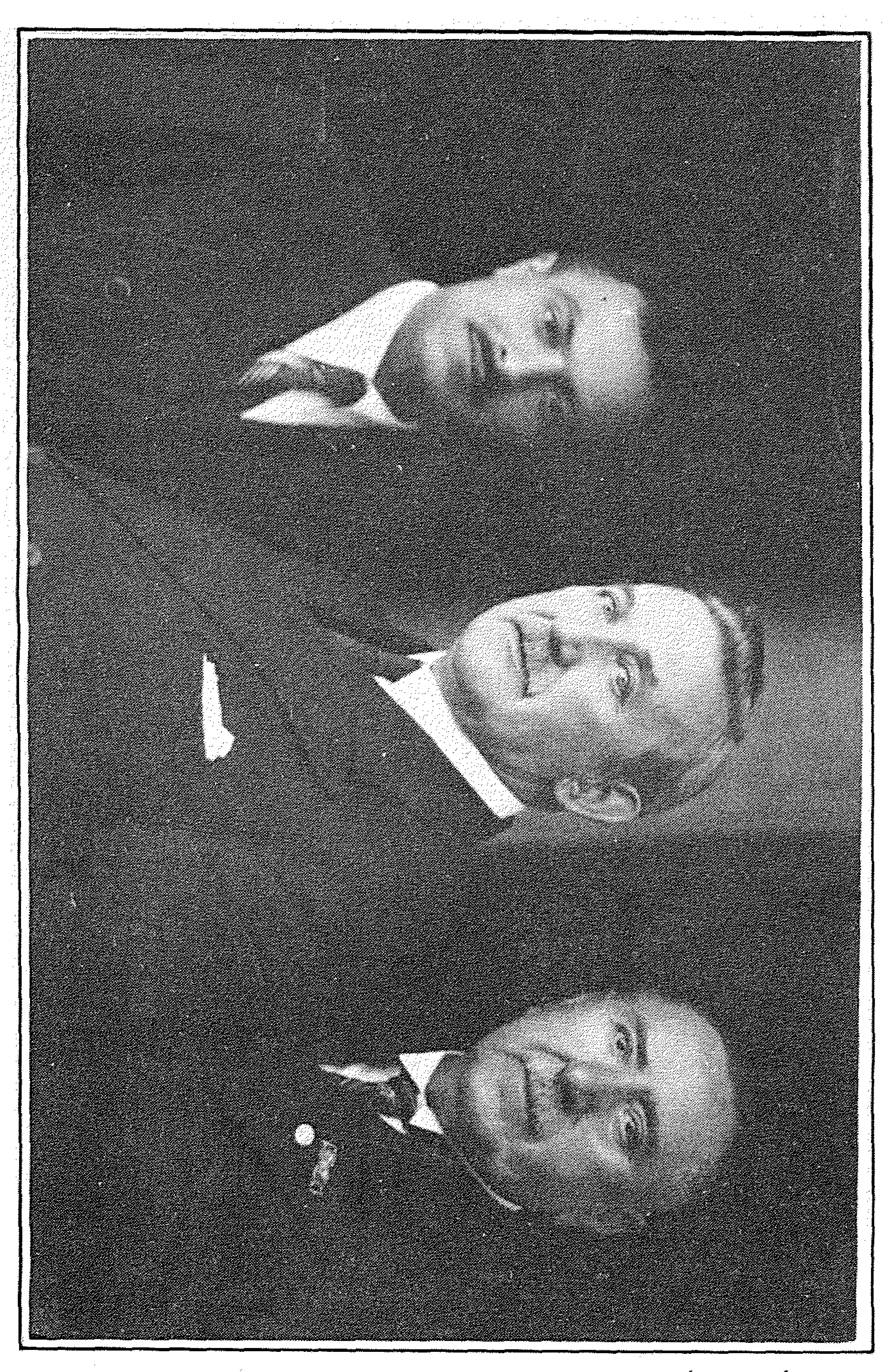
عمر فروخ في مقتبل شبابه ٢٥/٩/١٩٣٤ .



عمر فروخ في طور آخر من شبابه .



عمر فروخ في المانيا .



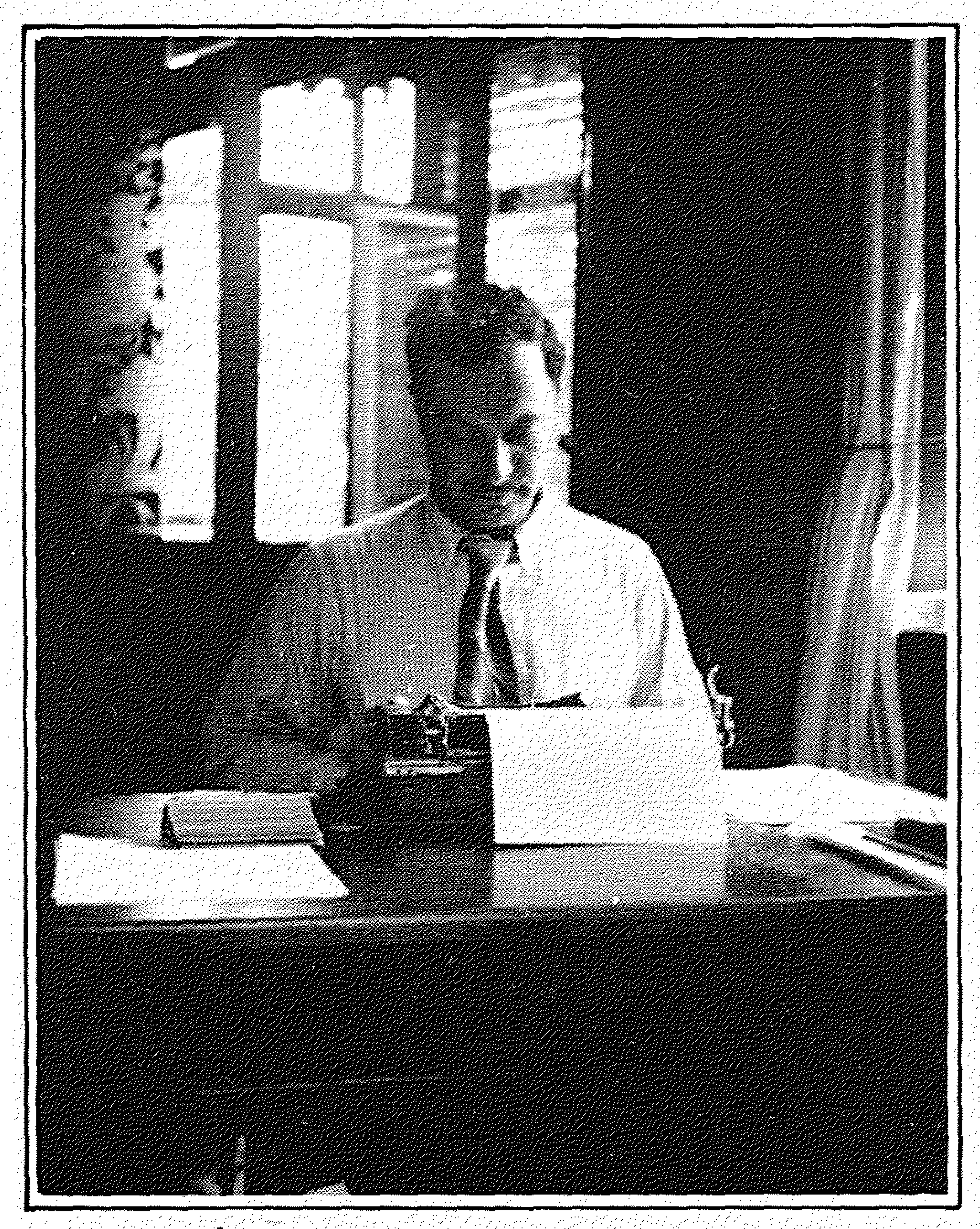
عمر مع أساتذته الألمان .



عمر في ساحة الملوك (عامود ذكرى النصر ١٨٧٠) في ألمانيا في ١٩٣٦/١/٥ .



عمر في حديقة عامة في المانيا .



عمر ـ كعادته ـ منذ شبابه ، يضرب على الآلة الكاتبة أطروحته ودراساته في ألمانيا .



عمر في أثناء زيارته العلمية لفرنسا ، أمام قوس النصر في باريس .



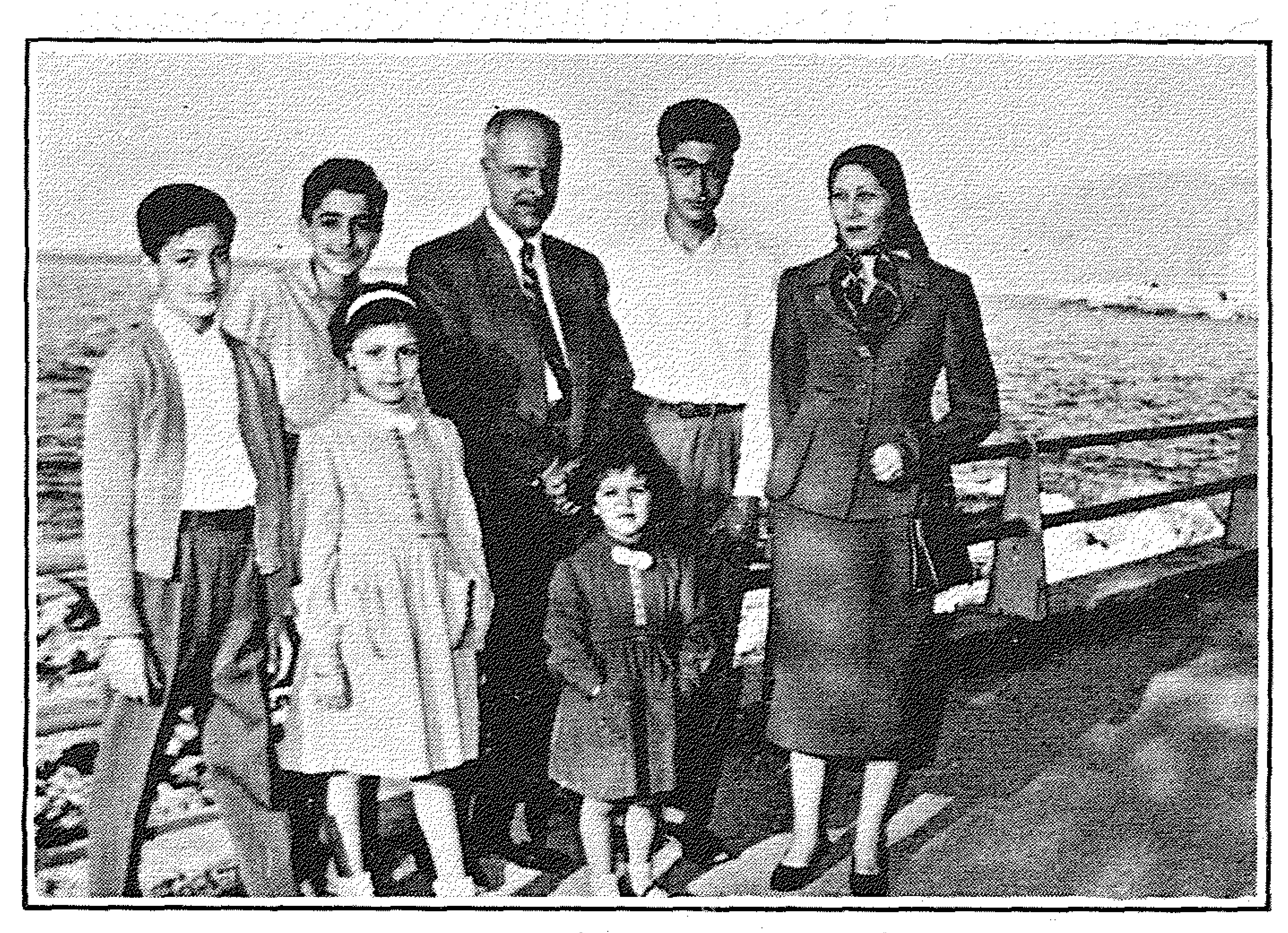
عمر بالزي العربي (الكوفية والعقال) .



د. عمر في متوسط عمره.



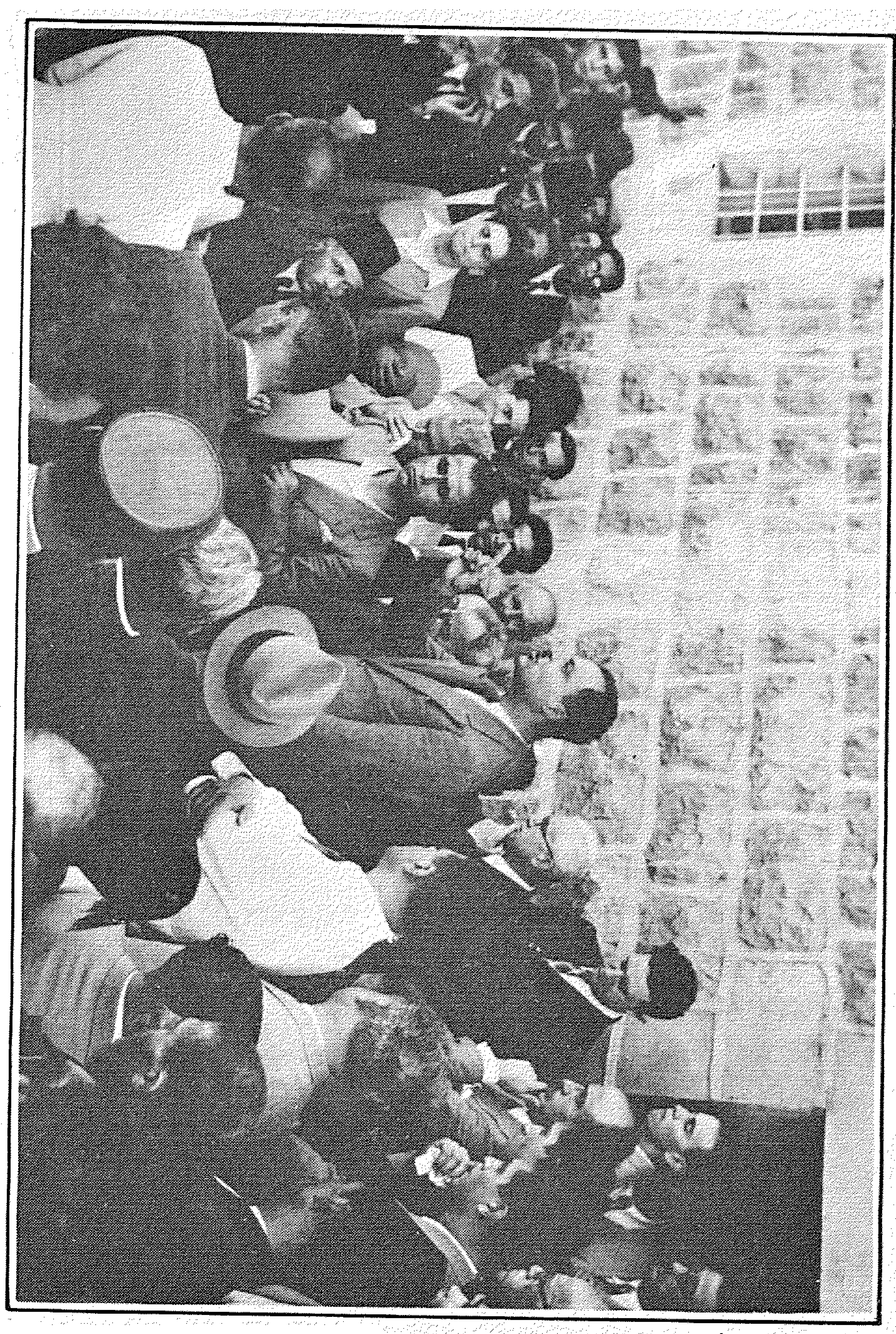
عمر الأب مع ولديه أسامة ومروان ، في ١٩٤٦/١١/٢٥ .



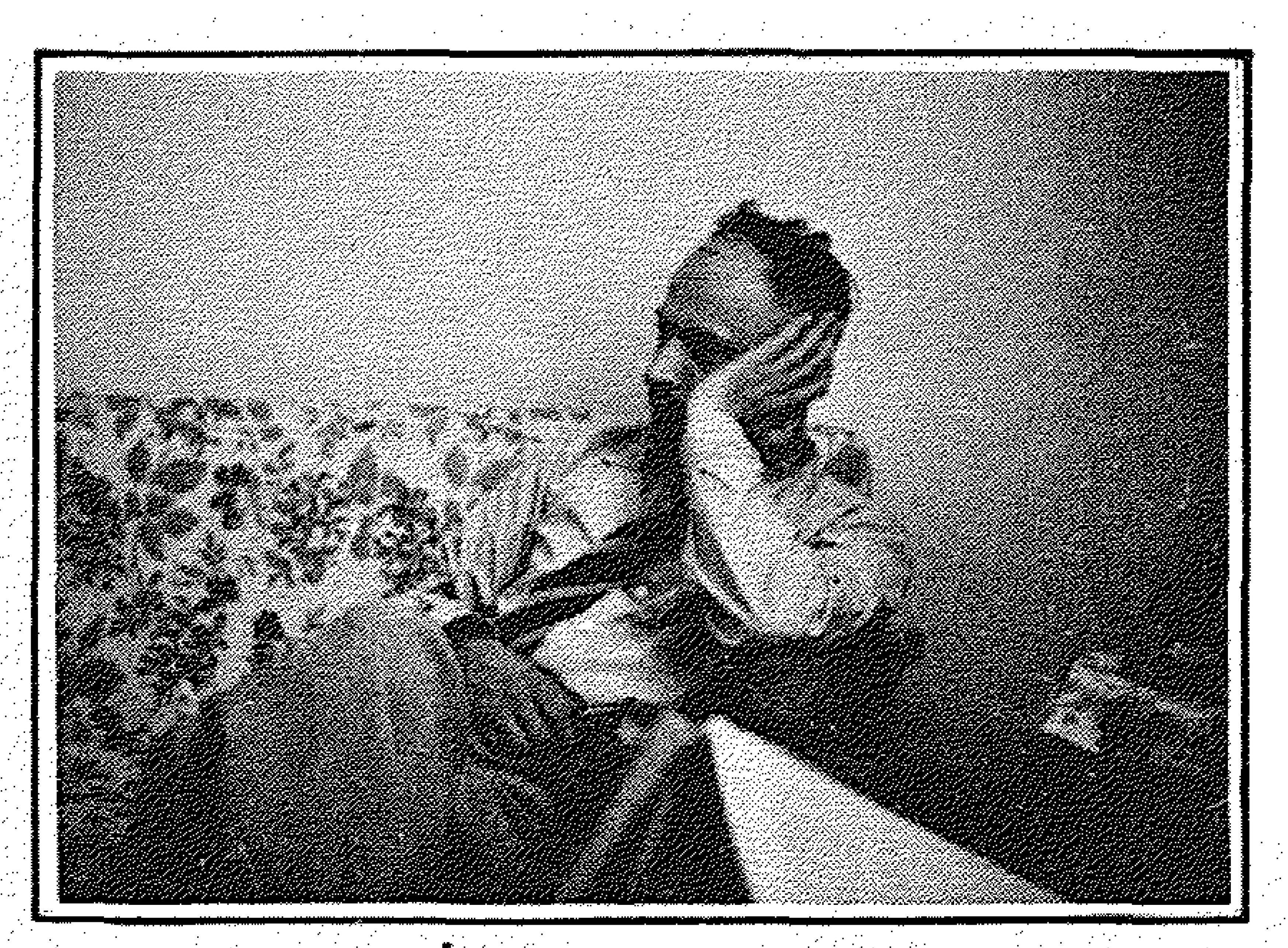
د. عمر مع زوجته السيدة آمنة حلمي وأولاده : أسامة ، مروان ، مازن ، لينا ، لميس ، على كورنيش المنارة ـ بيروت ، ١٩٦٠/٥/١ .



د. عمر مع زوجته وأولاده بمناسبة الذكرى العشرين لزواجه ، ١٩٦٠/١١/٥ .

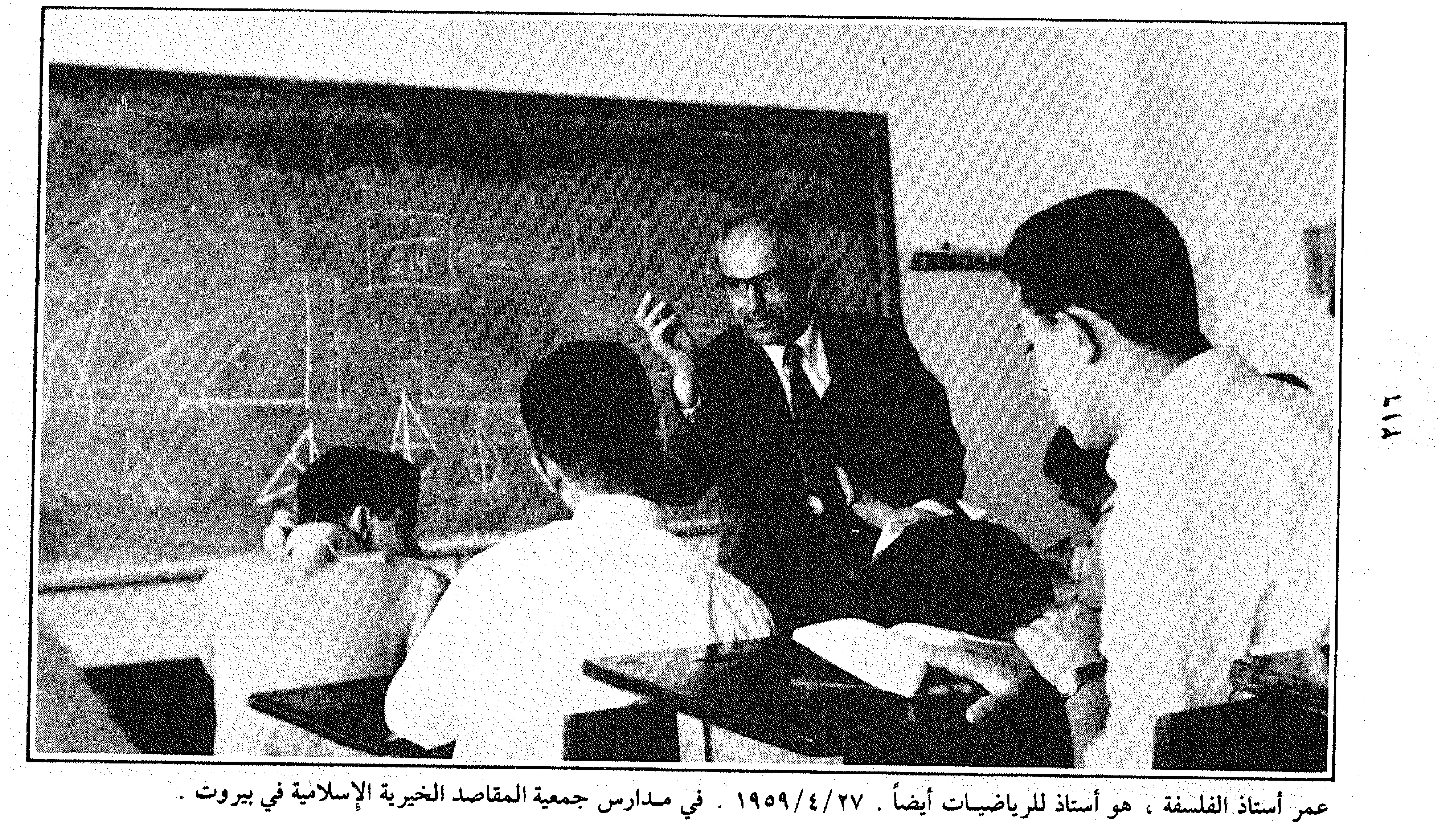


عمر فروخ خطيباً في تأبين الأديب أمين الريحاني .



عمر المفكر والفيلسوف في لحظات تأمل ، صيف ١٩٥٣ .

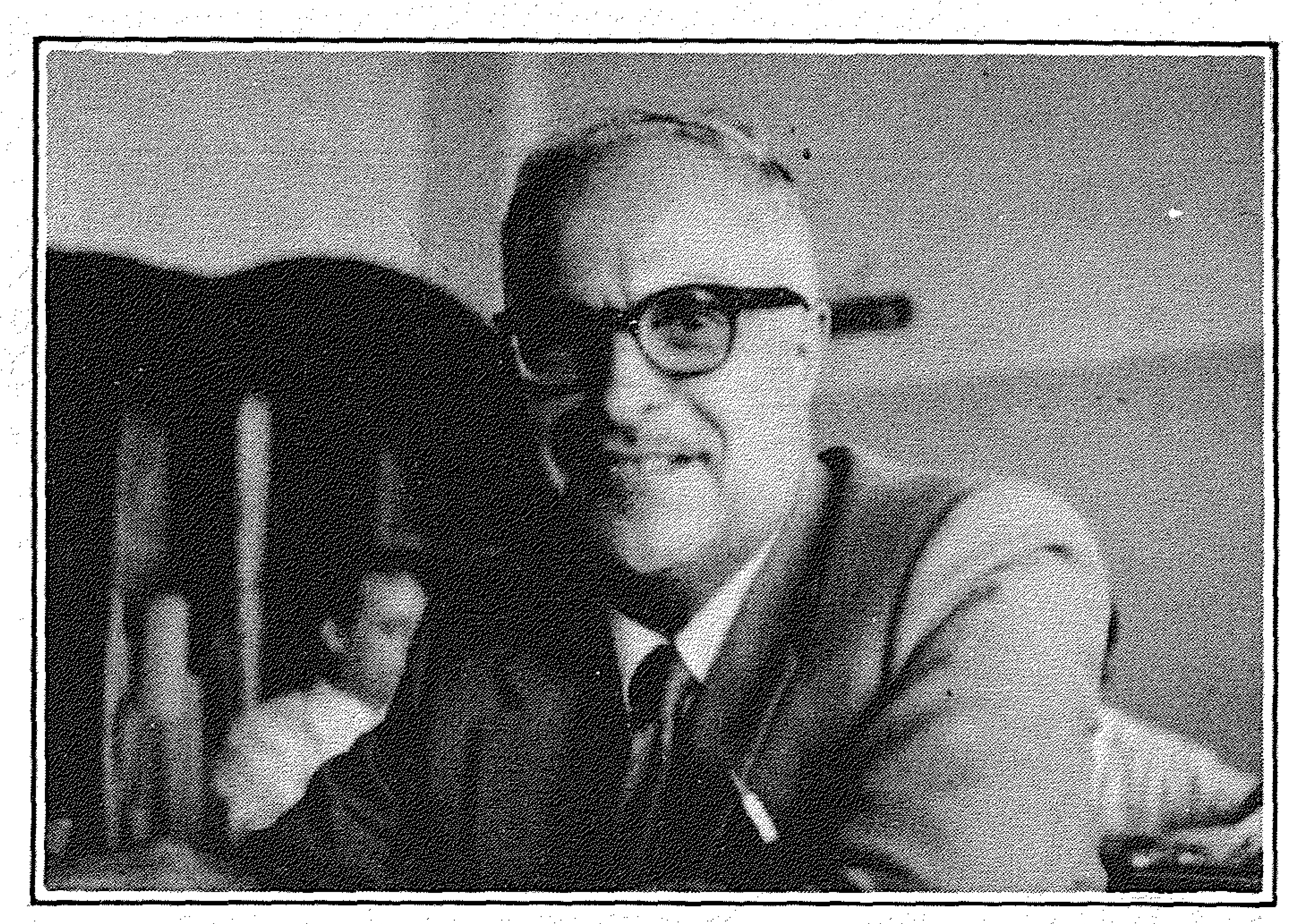
عمر يتأبط دراساته ـ أينما حل ـ كعادته .



عمر أستاذ الفلسفة ، هو أستاذ للرياضيات أيضاً . ١٩٥٩/٤/٢٧ . في مدارس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت .



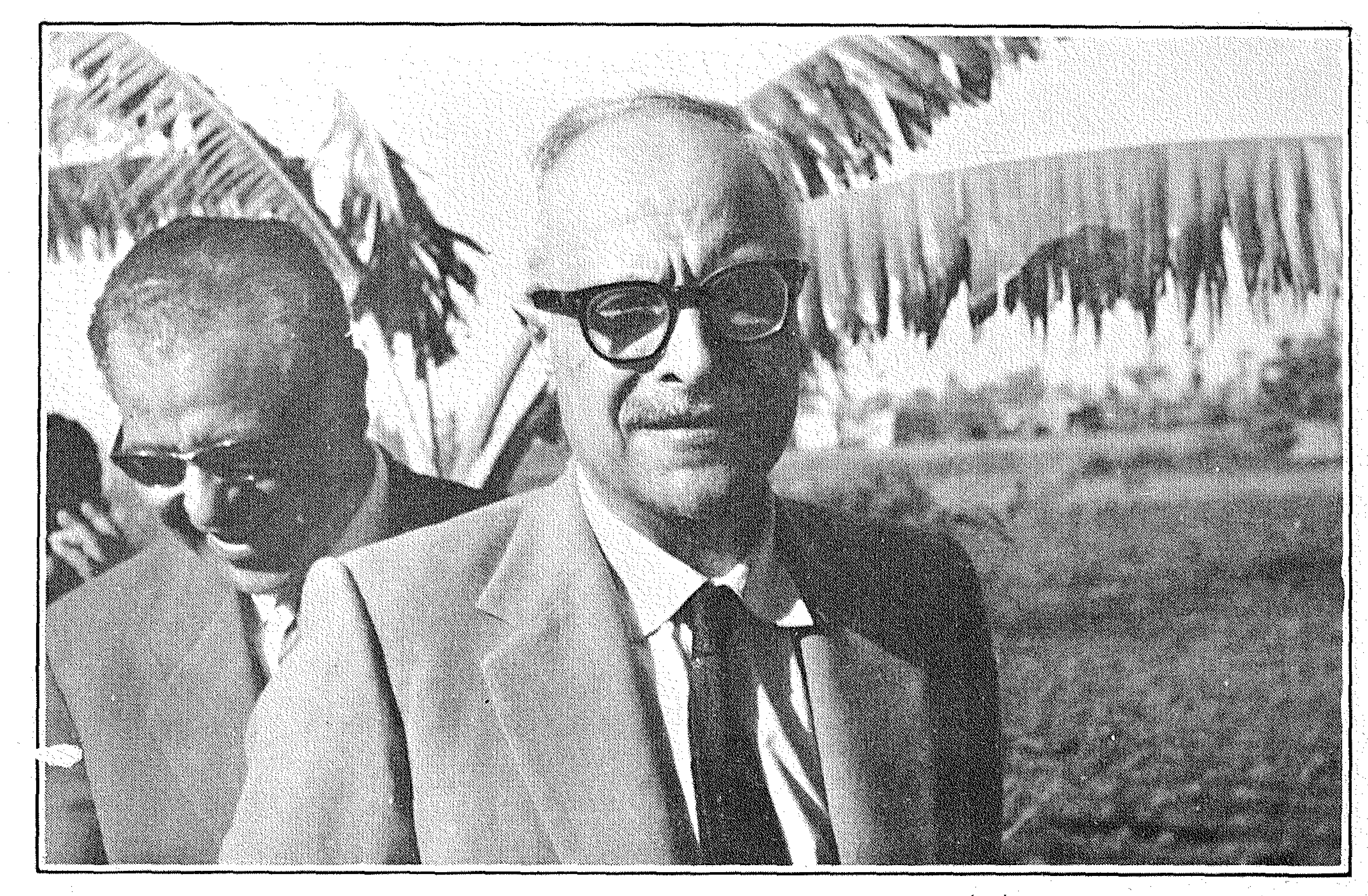
د. عمر فروخ محاضراً عن اللغة العربية على مدرج جامعة دمشق، في ١٩٦٠/٤/٢٠.



عمر . . . وإبتسامة في مكتبه عام ١٩٦٠ .



في افتتاح دورة مجمع اللغة العربية في القاهرة ، ١٩٦٢/٣/١٢ ، د. عمر مع زوجته وابنه أسامة ، وإلى يساره الأديب أنيس المقدسي .



د. عمر في إنشاص في مصر ، ١٨/٣/١٩٦٢ .



د. عمر خطيباً في عيد المعلم في قاعة سينما كابيتول ـ بيروت ، ٩/٢/١٩٦٣ .

د. عمر والأستاذ أنيس المقدسي وبينهما المستشرق « تريتون » (Tritton) في افتتاح الدورة الثلاثين لمجمع اللغة العربية في القاهرة ، ١٩٦٤/٢/٢٤ .



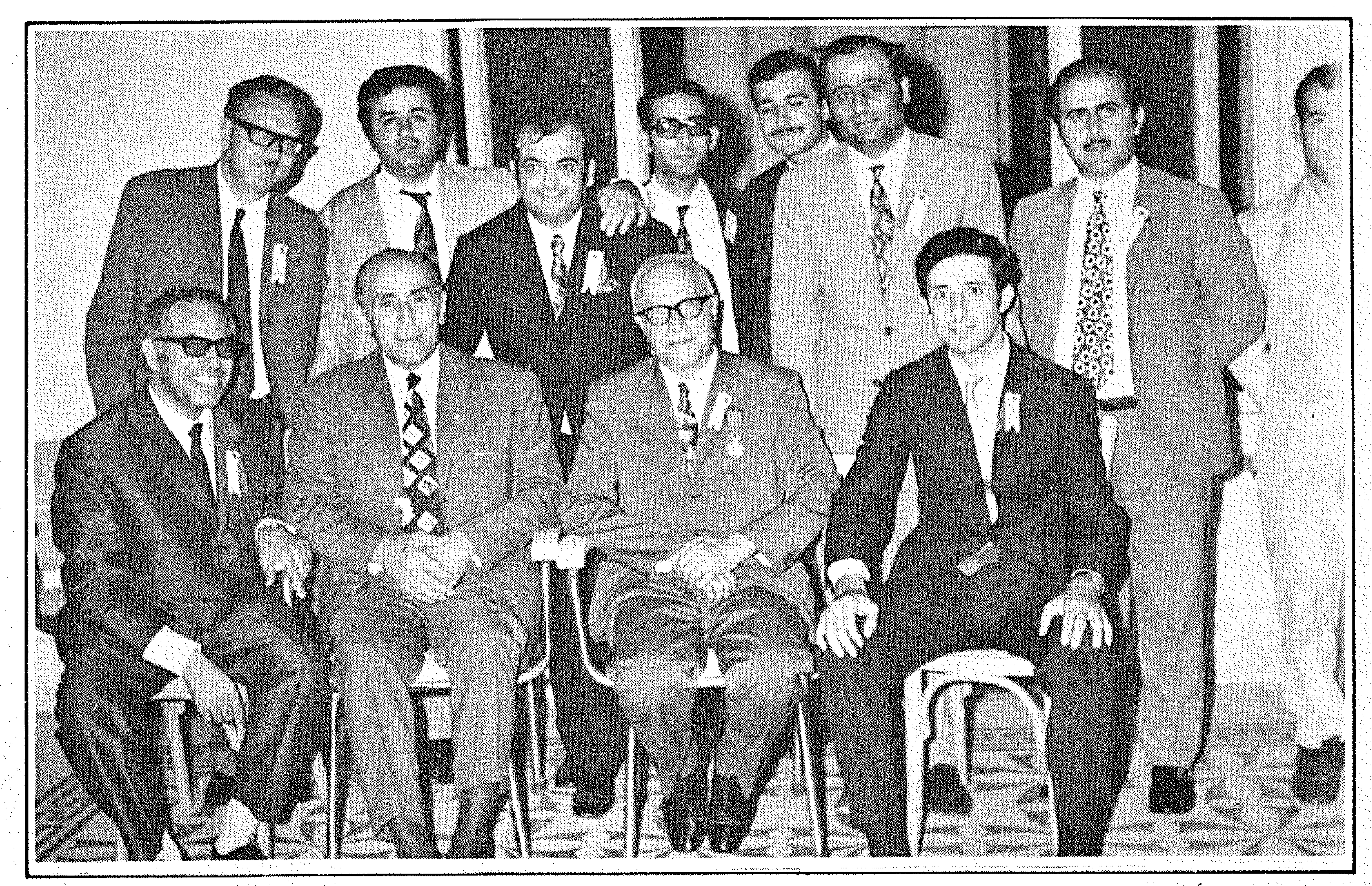
د. عمر دروخ ود. أحمد زكي في جلسة علمية في سامراء ، ٢٣/١١/١٩٦٥ .



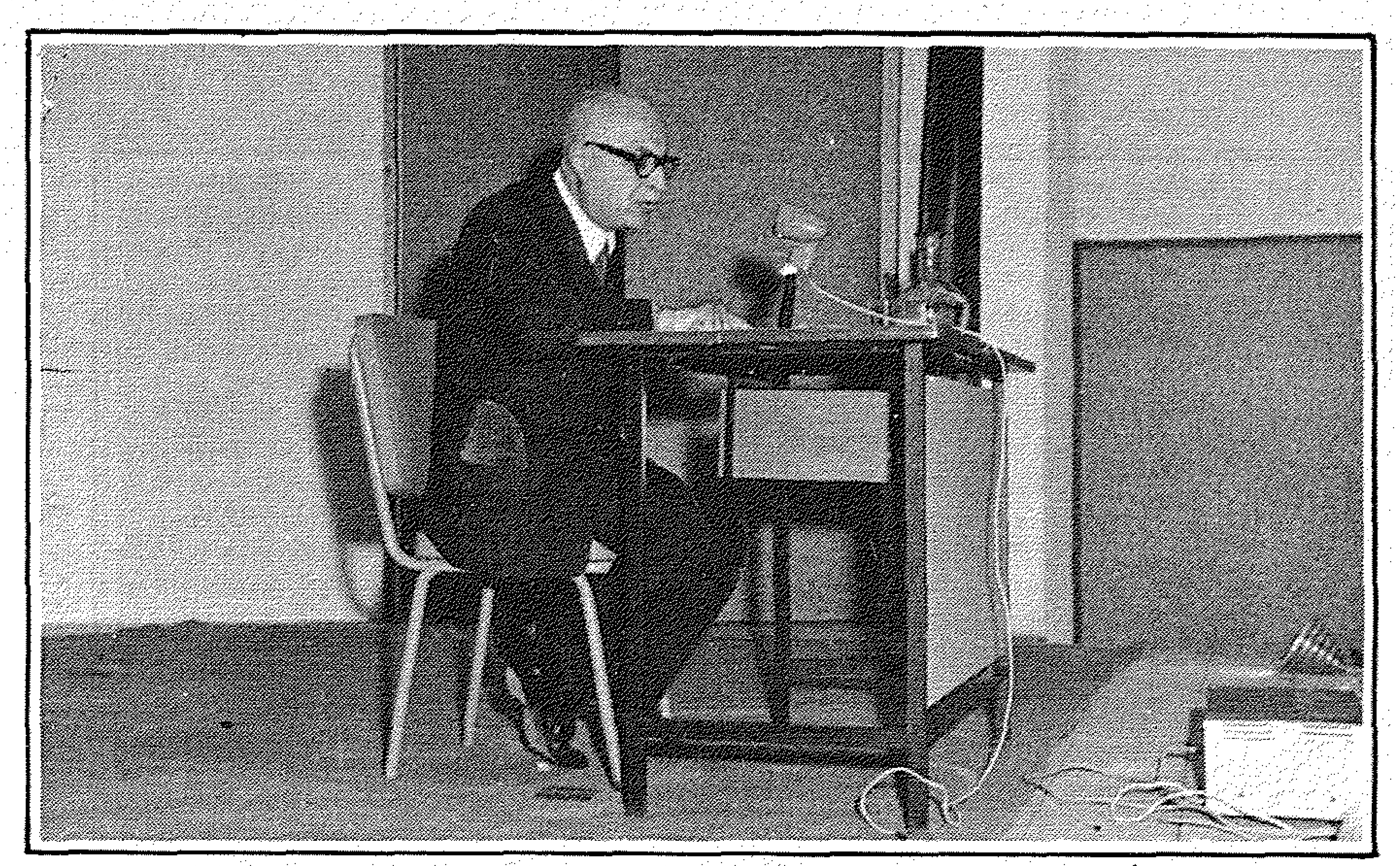
د. عمر مع نفر من الأدباء والمفكرين في زيارة الأضرحة والأماكن الدينية في سامراء ، ١٩٦٥/١١/٢٣ .



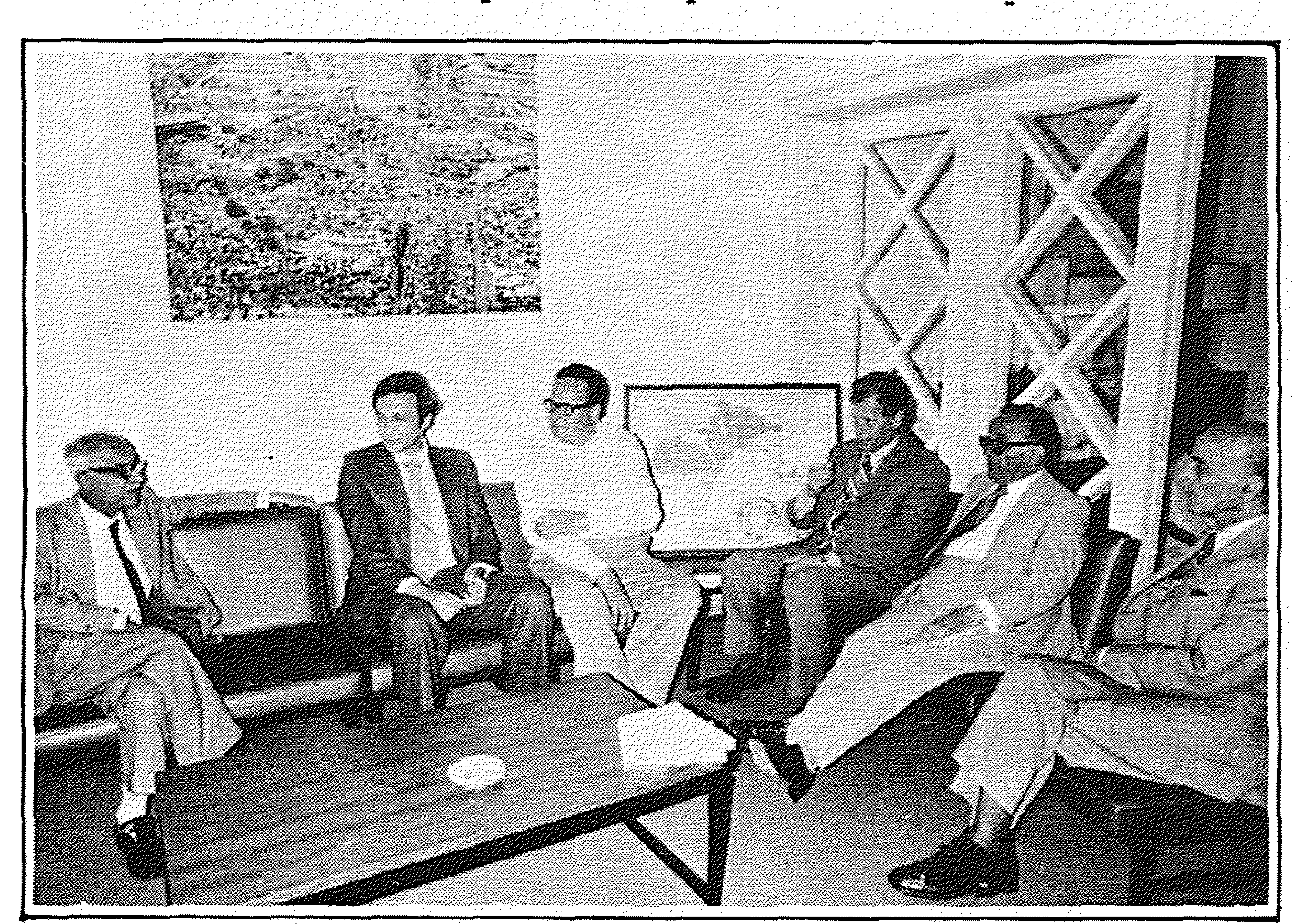
تقليد د. عمر أحد الأوسمة الرسمية اللبنانية ، ويبدو في الصورة الأستاذ عدنان الحكيم ، في ١٨/٥/١٩٧١



د. عمر متقلداً أحد الأوسمة في عام ١٩٧١، ويبدو بجانبه الأستاذ حسين سجعان وبعض تلامذته في مقر إتحاد الشبيبة الإسلامية



د. عمر محاضراً في أحد الأندية الثقافية في طرابلس ، في ١٩/١١/١٩٧٣ .



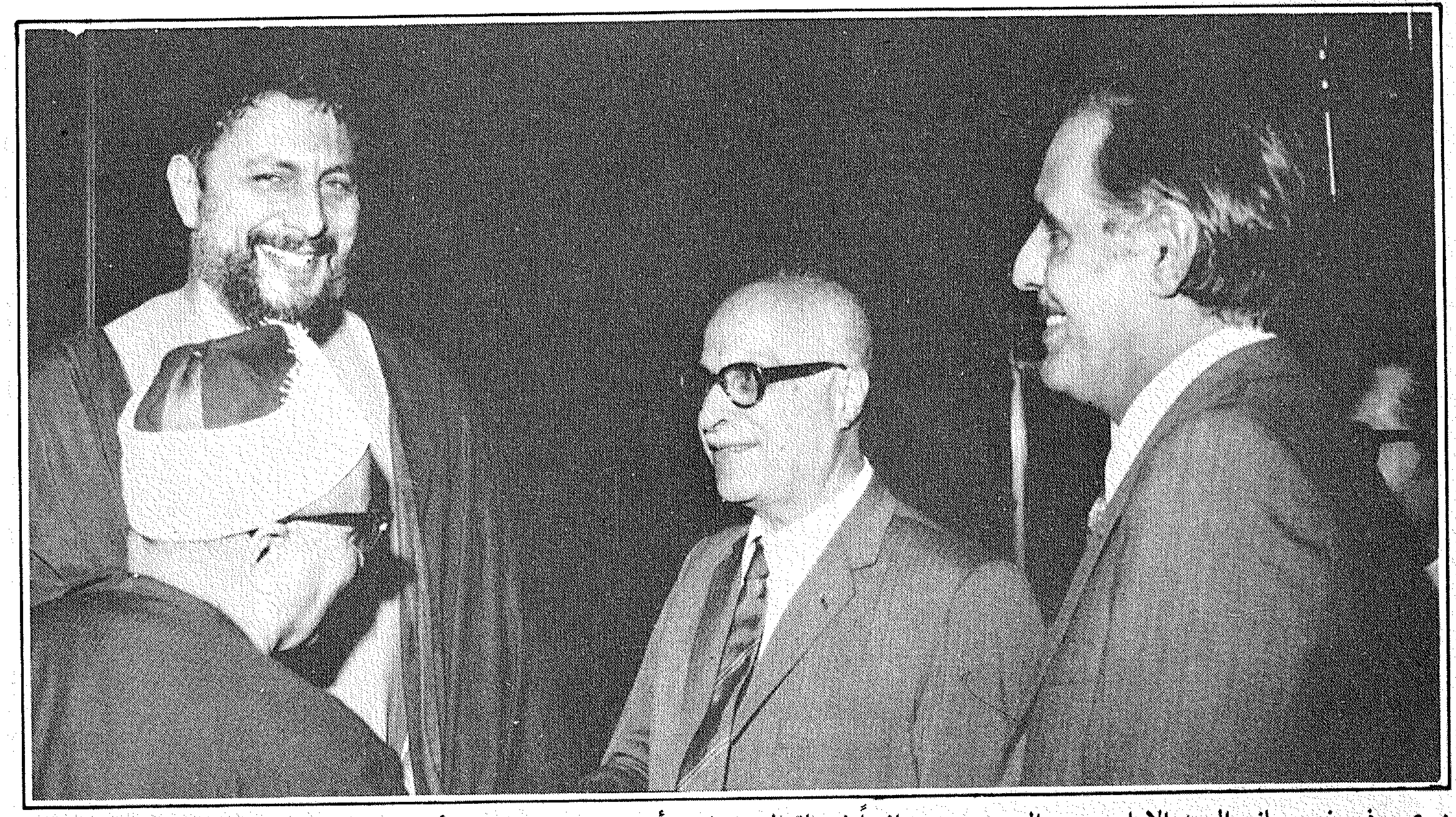
د. عمر في اجتماع ثقافي ضمه والسيد « بران أريل » المستشار الثقافي في سفارة جمهورية ألمانيا الاتحادية في بيروت ، والدكتور « بيتر باخمن » مدير المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت ، والسفير أكرم زعيتر مدير المركز الثقافي الإسلامي والدكتور عماد الصلح والسيد عصام حيدر في مقر المركز الثقافي الإسلامي في بيروت ، في ٢٩/٦/١٩٧٨ .



في اجتماع سياسي - ثقافي ، الرئيس رياض الصلح ، الرئيس عبد الله اليافي ، د. عمر فروخ قبل عام ١٩٥١ ، في منزل د. محمد كنيعو .



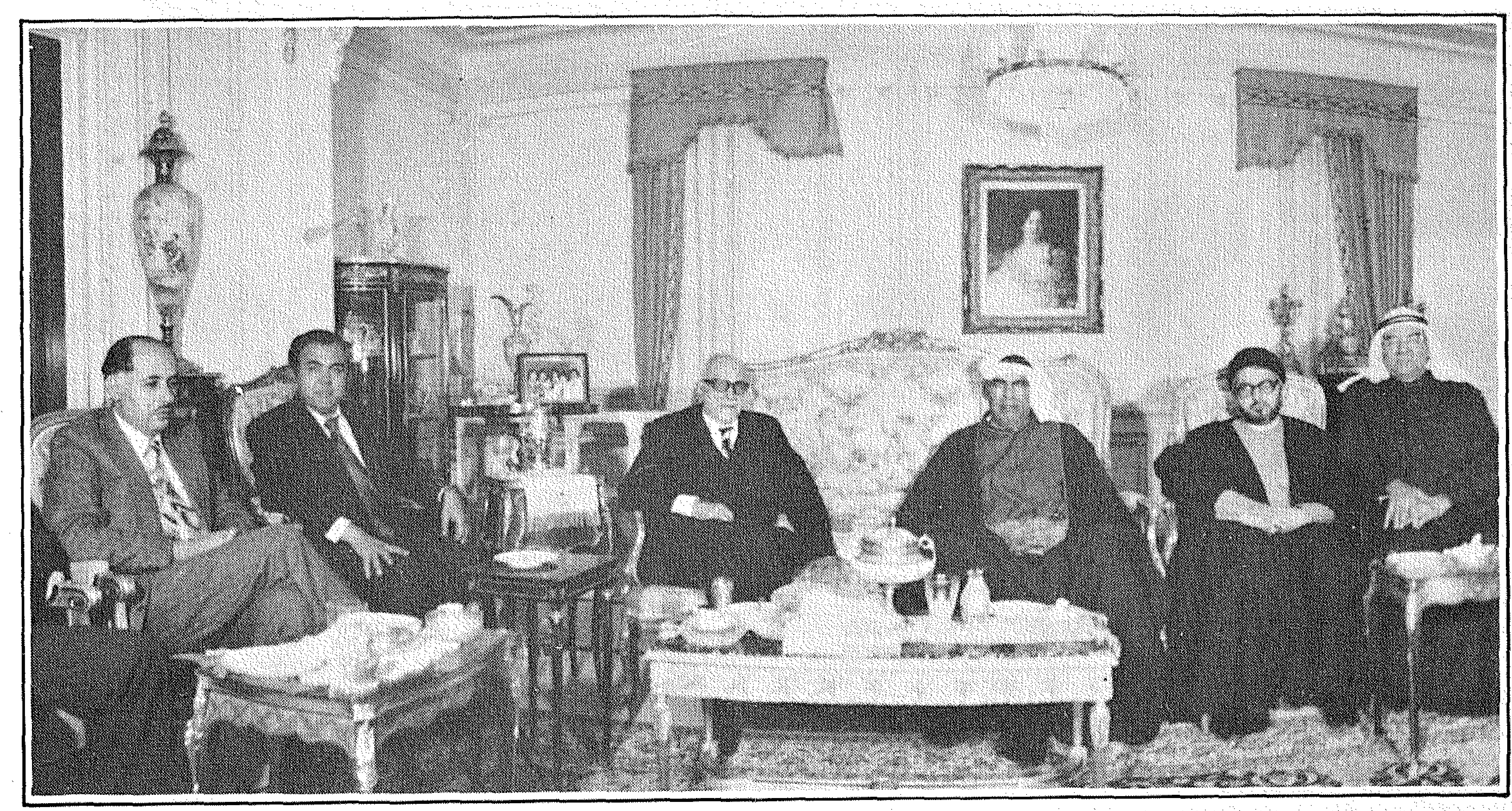
الرئيس صائب سلام ، النائب د. زكي مزبودي ، د. عمر فروخ ، د. علي ماضي وسواهم في فندق الكازار - بيروت ، بمناسبة عيد المعلم ، في ١٣/٣/١٩٧١ .



د. عمر فروخ وبجانبه السيد الإمام موسى الصدر ، ومصافحاً فضيلة الشيخ فهيم أبو عبيه رئيس البعثة الأزهرية ، وسفير الكويت الأسبق .



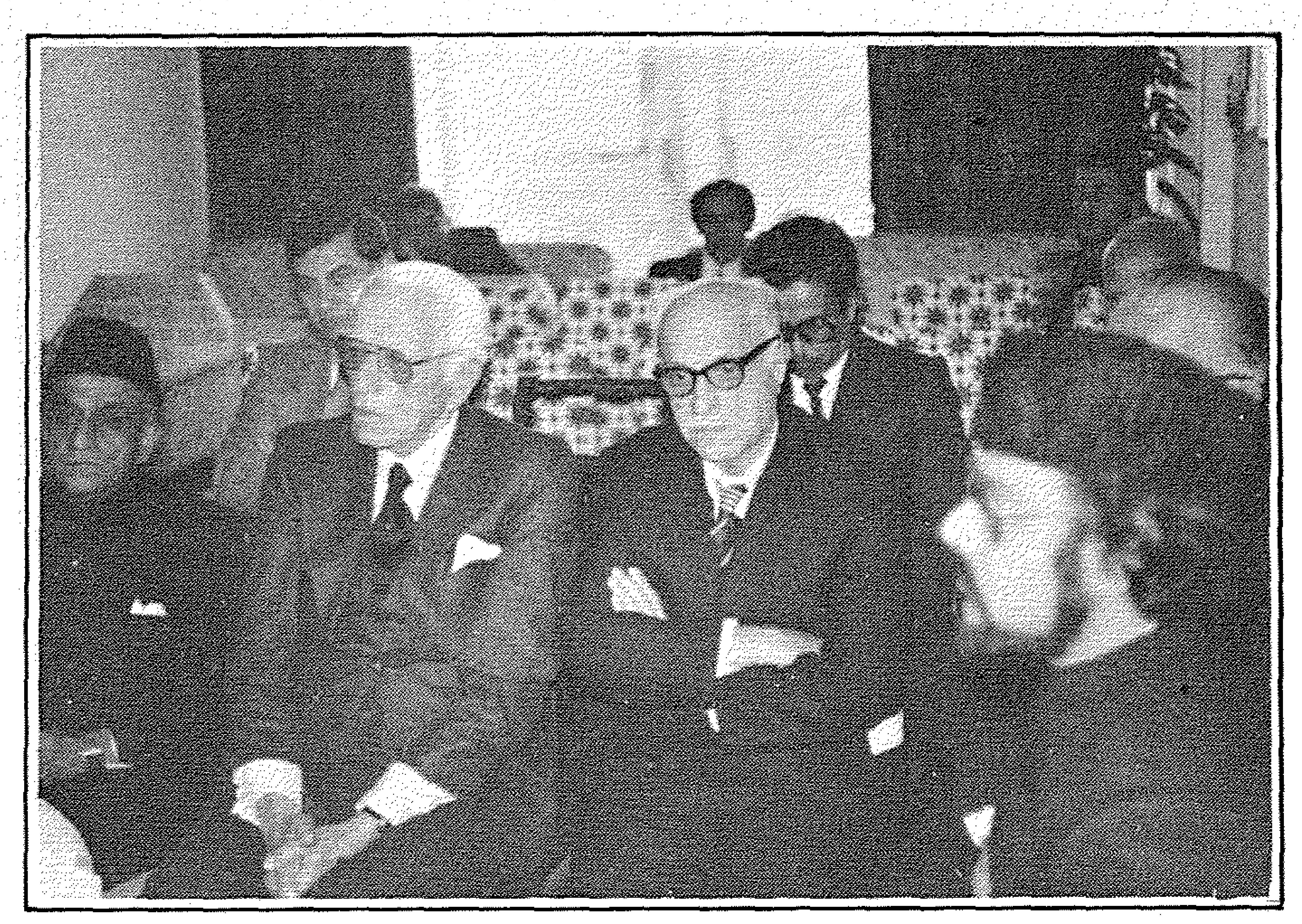
الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وبعض الوزراء المصريين في استقبال د. عمر فروخ وبعض العلماء والأدباء العرب في ٢٨/٤/١٩٦٣ .



د. عمر في دار الحاج محمد قبازرد في الكويت ، ويبدو في الرسم الشيخ السيد محمد بحر العلوم وبعض المشايخ والأدباء ، في ١٩٧٧/١٢/١٩



د. عمر فروخ يلقي محاضرة في قاعة جمال عبد الناصر في جامعة بيروت العربية بمناسبة ذكرى عاشوراء مشاركاً السيد الإمام موسى الصدر وفضيلة الشيخ فهيم أبو عبيه والدكتور عبده الراجحي .



د. عمر فروخ ، الأستاذ عبد الله المشنوق ، وبعض الدبلوماسيين الباكستانيين والسعوديين في سفارة باكستان في بيروت ، في شباط (فبراير) ١٩٨٠ .



المطران الياس عودة مطران الطائفة الأرثوذكسية في بيروت ، يحيط به د. عمر فروخ والسيد إبراهيم زيناتي ، في كنيسة مار الياس المصيطبة ، في ١٩٨٠/٥/٤ .



رسم يضم د. عمر فروخ والارشمنديت تريفن نهرا ، والسيد إبراهيم زيناتي والسيد جورج شكور ، في كنيسة مار الياس المصيطبة ، في ١٩٨٠/٥/٤ .



د. عمر فروخ والسيدة قرينته وابنته لينا في احتفال المركز الثقافي الإسلامي في بيروت بمناسبة بلوغه الخامسة والسبعون من عمره ،ويحيط به معالي الدكتور نسيب البربير ، والمرحومة الدكتورة زينب القاروط ، وجمهرة من المفكرين والأحباء ، في ١٩٨١/٥/٨ .



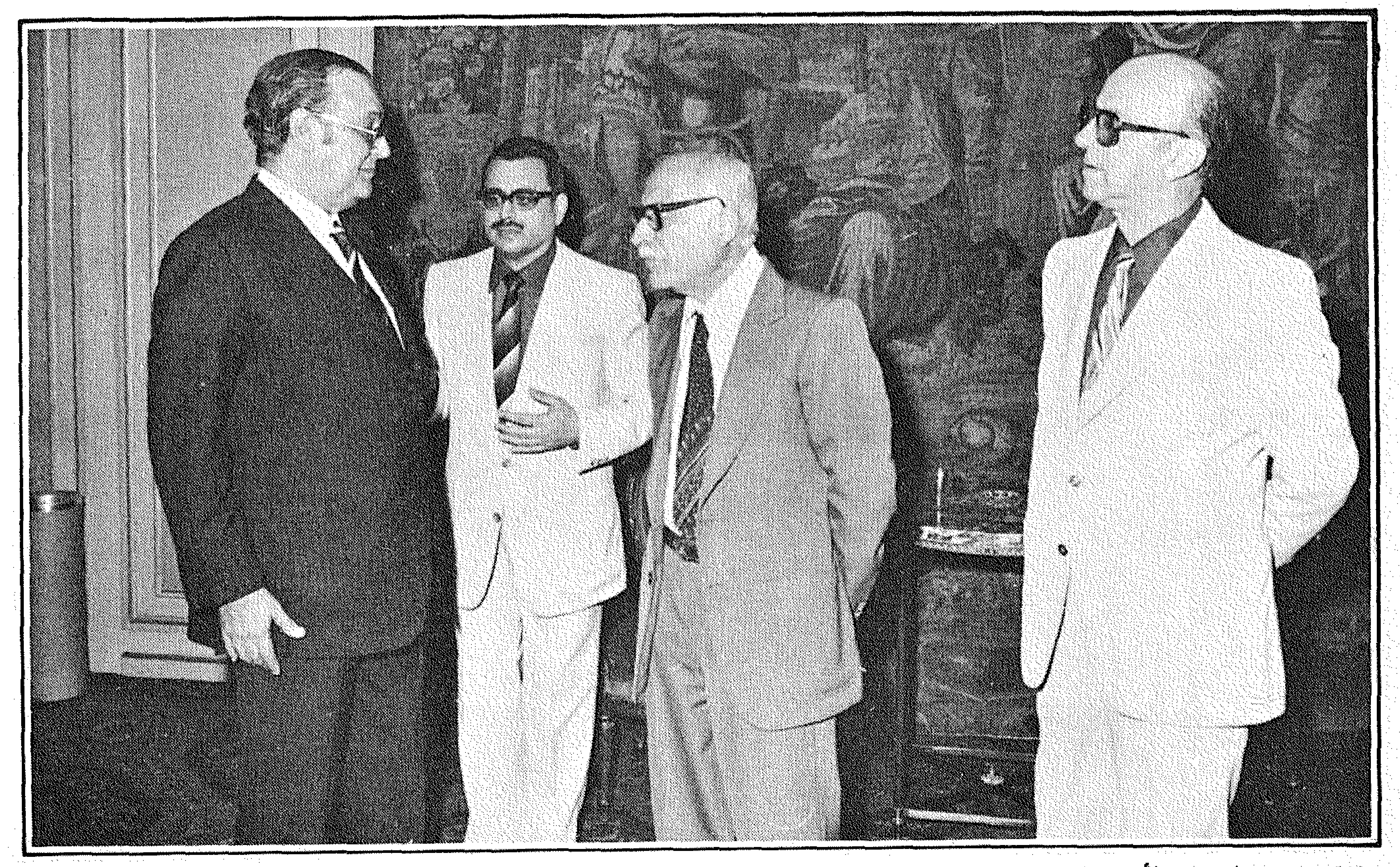
د. عمر فروخ ، د. صبحي المحمصاني، د. زاهية قدورة (د. زكي نقاش متغيب بسبب مرضه) في بهو دار الفتوى بمناسبة منحهم شهادات دكتوراه فخرية من كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية في ١٣/١/١٩٨٣ ، ويبدو السيد توفيق حوري خطيباً .



سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد ودولة رئيس الوزراء آنذاك الأستاذ شفيق الوزان ودولة الرئيس د. سليم الحص ، والرئيس تقي الدين الصلح ، والسيد توفيق حوري رئيس مجلس أمناء المركز الإسلامي للتربية، ود. نسيب البربير ، والمهندس فؤاد البزري وجمهور من المسؤولين والسياسيين ورجال المجتمع ، في حفل تكريم العلماء د. عمر فروخ ، د. صبحي المحمصاني ، د. زكي النقاش ، د. زاهية قدورة، بمنحهم شهادات الدكتوراه الفخرية .



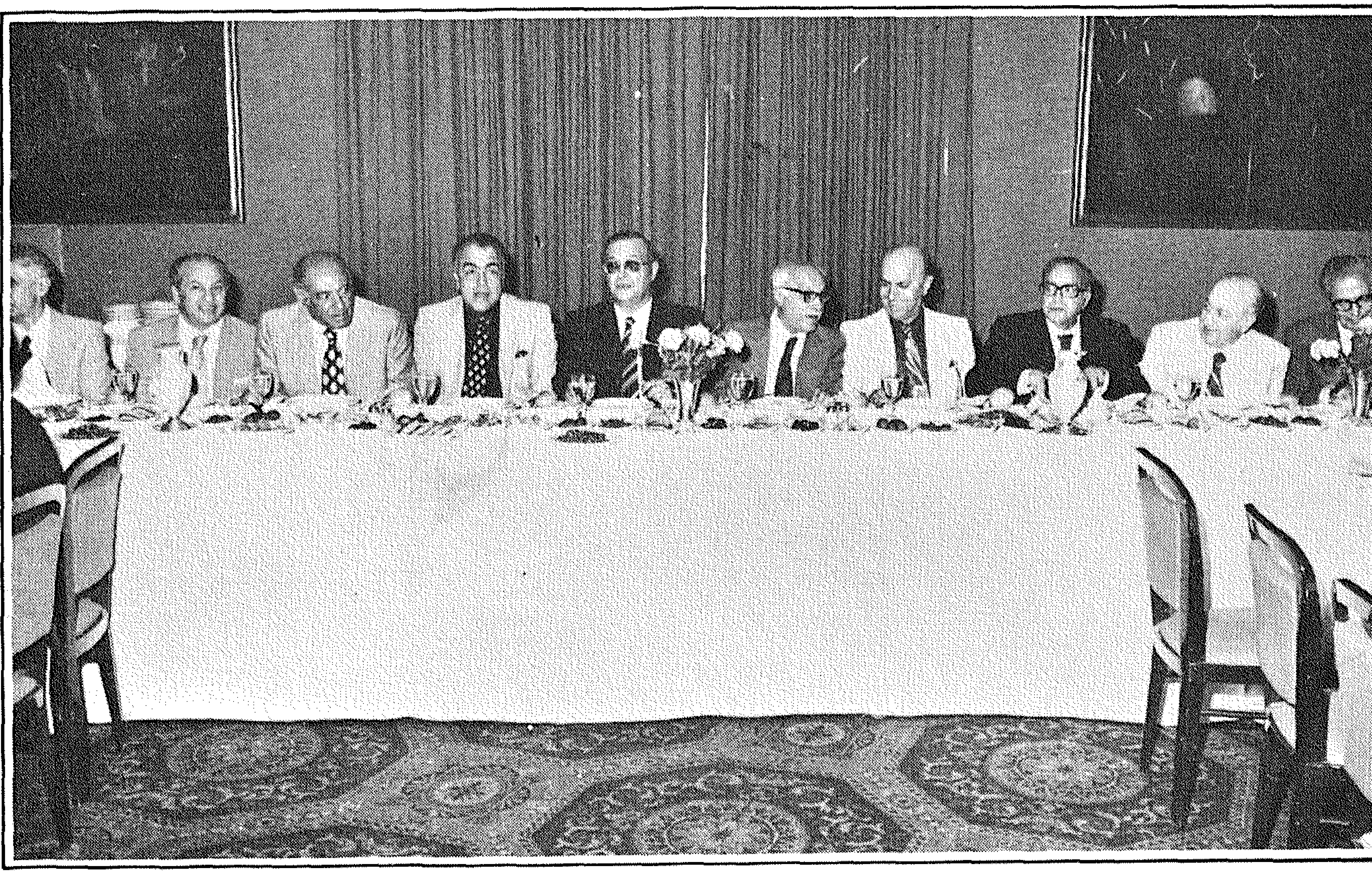
الدكتور محسن خليل في حفل استقبال ، وتبدو في الرسم الدكتورة زاهية قدورة .



وقفة ضمت الرئيس الأسبق لجامعة بيروت العربية الدكتور محسن خليل ، والدكتور عمر فروخ والأستاذ محيي الدين فايد والأستاذ توفيق حوري مستشار الجامعة ورئيس مجلس أمناء المركز الإسلامي للتربية .



د. محسن خليل، د. عمر فروخ، الأستاذ محيي الدين فايد، في حفل استقبال. ويبدو في الرسم وفد جمعية متخرجي جامعة بيروت العربية برئاسة أمين عام الجامعة الأستاذ عصام حوري.



حفل إفطار جامعة بيروت العربية ويبدو في الرسم : د. محسن خليل وعن يساره د. عمر فروخ ، الأستاذ محيي الدين فايد ، د. أحمد أبو الوفا ، د. جميل كبي ، د. أنور سلطان . وعن يمينه : د. محمد زكي العشماوي ، د. ثابت الفندي ، د. محمد عبد العزيز عجمية ، السيد عمر حوري .

تنفيذ
مطابع المقاصد الاسلامية
بيروت - تلفون ٣٠٩٦٢٨/٧

